

المكتبة الصوفية

الرحلة المراكشية

أو

مِرَاة المَسَاوِي الوَقْتِيَّة

وَيَسَمَى أَيْضًا

السِّيفُ المَسَالُوقُ عَلَى المَعْرِضِ عَنِ سَنَةِ الرِّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

تَأَلِيفُ

السَّيِّدِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ المَوْقُوتِ

الجزء الثاني

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

الطبعة الأولى
1434 هـ - 2013
حقوق الطبع محفوظة للناشر
الناشر
مكتبة الثقافة الدينية
526 شارع بورسعيد - القاهرة
25936277 / فاكس: 25938411-25922620
E-mail: alsakafa_aldinay@hotmail.com

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشؤون الفنية

الموقت ، السيد محمد بن محمد بن عبد الله
الرحلة المراكشية او مرآة المصاوي الوقتية / تاليف : السيد محمد بن محمد
بن عبد الله الموقت
ط1 القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية ، 2012
ص ، 24 سم
تدمك : 1-583-341-977-978
1- التصوف الاسلامي
ا- العنوان

ديوى: 260

رقم الابداع: 2012/16298

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ فِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴾ ﴿٢٠﴾

[الذاريات]

obeikandi.com

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

وصلی اللہ وسلم علی مولانا محمد وآلہ وصحبہ وأمتہ وعلینا معهم
قال مؤلفہ محمد المؤقت كان اللہ له: ثم بعد انقراغ من صلاة العصر
أخذ كل منا مكانه إلتفت الشيخ عبد الهادی إلى عبد الباسط المراكشى. وقال
له هات ما عندك.

فقال من عوائد أهلها القبيحة عمل العمارة للعروس، وهو صندوق
مربع مفتوح الجوانب تدخل فيه العروس ويلف بأنواع من ثياب الحرير ويوضع
على رءوس الرجال، ويعرفون عندهم بالرفاعة، ويرقصون بها وهي على
رءوسهم حالة ضرب الطبول والشبابة من طائفة مخصوصة لهذه الحركة وكذا
ضرب المومسات المعروفات بالمداحة، ويأخذ الناس من أقارب الزوجة والزوج
فى إعطاء الدراهم، وذلك بأن يضع كل واحد منهم شيئاً على جهة واحد من
الحاملين لها ويقع التنافس الغريب فى الإعطاء والتفاخر به.

وهكذا فى كل ظرف دقيقة من الزمان، وربما أحصى من المال فى تلك
الحالة ما يقرب من ألف ريال، بل أزيد على حسب البيوت من ضعف
وغنى، ومن أغرب ما يسمع أن العروس إذ غلبها النوم حالة الرقص بها
يدخل أحد الحاملين لها يده بمرأى الناس ليستيقظها، وربما وصلت يده
عورتها.

وربما سقطت العروس من فوق رءوسهم حالة الرقص فيراها كل من
حضر ذلك المجلس من الرجال، وكثيراً ما وقع هذا بنوم منها أو بانكسار تلك

الأعواد أو بحلها من تلك الحبال. ثم يخرجون بها من محل أبيها إلى بيت الزوج على ضرب الطبول والشبابة: أى الغطاء، وكذا ضرب المداحة، وقد زادوا فى هذه الأيام صياح النفير.

ولعلمهم فى المستقبل يزيدون على هذه الآلات إحدى الطوائف الثلاث إما عيساوة أو حمادشة أو اكتاوة أو الجميع لأن الخرق اليوم فى الزيادة. وهكذا إلى أن تصل لبیت زوجها فيتجدد العمل الأول الذى كان من أول الليل إلى الثلث الأخير منه.

فإذا مل الناس من إعطاء المال وفرغ ما بيدهم منه ولو بالسلف، تعلق الحاملون لها بها إلى أن يدفع لهم الزوج قدرًا من المال يرضيهم زيادة على الوباء الحاصل فى ماليته بسببها، فحينئذ يسلمونها له وإلا فضحوه وسبوه ولعنوه وبشروه بالشؤم الداخلى عليه منها حين قطع عنهم العادة المقررة من أزمان

وهذه بلوى عمت سائر البلاد والأنحاء، واستحكمت أمرها وعسر قلعتها من نفوس الجاهلين، حتى صار من المحتم عندهم وجود هذه الصورة فى الأعراس، ولم لم يفعل ذلك: إما لفاقة أو خوف من فتنة عدو أخرق، ولاحظ له فى الإنسانية، وربما قابله بما لا يطلق سماعه.

وهذه إحدى الدواهي التى سجلت على صفحات المغرب خرقًا وحمقًا ما بعده خرق وحمق.

ثم إذا زفوا العروس لزوجها والتحف معها فى فراش واحد، تبقى الرجال والنساء بباب بيته ينظرون ويسمعون ماذا يكون من النكاح ومقدماته، وربما رفعوا أصواتهم بشيء من الشعر أو بضرب آلات اللهو إذا تفاحش الأمر

تسترا عن سماع بعض الناس، وهذا كله من استحكام الجهل، وسكوت من ييدهم الحل والربط عنه.

ثم إن النساء بعد هذا: يسألن عن دم البكارة، وعن الخرق التي فيها الدم. فإذا قام بذلك أخذوه وحرروا النظر فيه: هل هو دم البكارة حقيقة أو دم مصنوع؟ فإذا وقفوا على الحقيقة رفعوه فوق آنية من فضة وصرن يدرن في البدن على الأقارب ويسغنين ويطلقن أصواتهن بالزغاريد في الطرق بمرأى الناس، واستعمال آلات لهوية بيدهن إلى أن يصلن إلى بيت أبي الزوجة، فيصير أهلها يبذلون المال على ذلك برهة من الزمان شكراً لتلك النعمة التي كادت أن تفقد اليوم، وهي صيانة عرضها، وتحصن فرجها.

وبالجملة: فبلادنا أصبحت من السنة خالية، ناهجة نهج الجاهلية، فلا تسأل عن أفعال النساء: فلهن خرافات استهوين بها عقول قومهن، حتى أصبح الرجل على شريعة امرأته الشيطانية العادمة الدين.

وفى صباح غده يعمل الزوج وليمة إسلان، وهو عبارة عن يوم تجتمع فيه الأقارب والأصحاب، ويستحضر فيه من أنواع آلات اللهو ما يمكنه على حسب قوته وضعفه. فمنهم من يجعل شيخ التعريجة وهي آلة مجوفة من تراب مطبوخ مبطنة من جهة بالجلد، وأركان هذه الحركة ثلاثة رجال، وهم من السفاهة بكان: لأنه لا يصدر منهم في حالة اشتغالهم بهذه الآلة إلا القصائد الملحوظة الممزوجة بالسفه والوقاحة والعشق وما فيه من ذكر الصراحة بأوصاف زينب وخديجة وعائشة وحبيبية وأم كلثوم وزهرة ومحجوبة، والتصريح بالصدر والنهد وحوار العين وتكحيلها، والمعصم وحمرة البنان، وغير ذلك من الأوصاف التي تحرك دواعي العشق ولو من الكهول، فهذا كلامهم في هذه التلعبات الشيطانية.

وتراهم يفتخرون بأصحاب هذه الإنشاءات التي احتوت على ضروب
الفتنة، فيقولون: هذا كلام قدور العلمى، وهذا كلام التهامى، وهذا النجار،
وهذا ابن سليمان، وهذا ابن على، وفلان وفلان، ولا شك أن أصحاب هذه
الإنشاءات ضالون مضلون فتانون مفتونون، ومنهم من يجعل جماعة
المطربين، ويقال لهم الآليون، وحركتهم هذه متوقفة على الصنج ذى الأوتار،
وهو الطر والعود والرباب والكمنجة والستير وغير ذلك، وهؤلاء كذلك من
السفاهة بمكان* ومن أسمح عوائلهم وأقبحها أنهم يتدثون موازينهم ولهوهم
بالثناء على الله تعالى أو أمداح نبوية أو صلاة على المصطفى ﷺ ويختمونها
بأدعية مسجعة. فإنهم إن أرادوا بذلك استحلال ما حرم من تلك الآلات
فقريب من الكفر، وإن أرادوا تكفير ما فيه من الوزر فجهل عظيم، بل هو
إلى الاستهزاء أقرب فيزداد الإثم من جهة استعمال ما وضع للتعظيم فى غير
محل التعظيم، وأما حكم هذا الطرب فقد ذكرته فى كتابى "الكشف
والتيان، عن حال أهل الزمان"، وأنه حرام باتفاق العلماء، ولا يختلف فى
تحريمه اثنان ممن لهم القدم الكبير فى السنة المحمدية، وأنه شعار أهل الخمر
والفسوق ومهيج الشهوات والفساد والمجون، وأن هذه الآلات لا يجوز بيعها
ولا شراؤها، والتعيش بها من أكل أموال الناس بالباطل، ومنهم من يجعل
بدل هؤلاء العيافات، وهن عبارة عن جمعية من العاهرات المومسات
السفیهات المكشوفات الرؤوس والصدور الخاسرات الأذرع يتبرجن تبرج
الجاهلية الأولى، ويدهن تعاريج وطر، وربما حضر معهم فاسق بيده الكمنجة
فيسيرون على سيره فى تلك الأعمال، والشيطان يجول جولته المعروفة بين
الرجل والمرأة، سيما إذا كان هذا العمل فى البساتين والمنتزهات.

ولقد أصبح هذا العمل اليوم سنة الناس فكل من تركه عدّه المفتونون متجمداً، وزد على هذه المناكر استحضار المحرمات فى هذا المجلس فكل من أراد حضورهن وأن تقوى شيطتتهن وجنونهن لابد له أن يستحضر لهن الخمر والدخان ومعجون الحشيش والأفيون، فإذا حل بأبدانهن وتمكن منهن أظهرن العجب فى التغنى والرقص ورفع أصواتهن بالزغاريد إلى غير ذلك مما ياباه الشرع الشريف .

ثم فى اليوم الثانى يعمل لهؤلاء أيضاً نزهة ويرتكب فيها ما ارتكب فى اليوم الأول من تلك المناكر المتقدمة التى كانت لغالب من ارتكبتها الفلاس بعد أن كان ذا ثروة، غير أنه يزيد على ذلك بشىء آخر، وهو أنه يرحع من النزهة على ظهر فرس والطبول تضرب له والسفهاء بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وحوله من الأضواء عدد كثير إلى أن يصل لمنزله فيدخل الجميع حتى يكون به نظير ما كان فى النزهة . ثم تتفرق تلك الجموع ككلاب اجتمعت على جيفة وافترقت عنها .

ولقد أضاع الناس اليوم الدين ونزعوا جلباب الحياء إلى غير ذلك من العوائد القبيحة التى يرتكبونها فى هذا الموضوع التى ينبغى لنا أن ننزه أعلامنا عنها .

وأما أمر النكاح اليوم فى نفسه فحدث عنه بما تشاء . فلقد أصبح الكثير من الناس فى غير نكاح صحيح وكثر أولاد الزنا، ومع هذا يدعى غالبهم الشرف ويتبجح به بين الأقران، على أن صحة انشرف مظنونة منذ أزمان لأجل ما ذكرنا .

وقد أذكرنى هذا ما نقله العلامة المؤرخ أو العباس أحمد بابا السودانى فى كتابه "نيل الابتهاج" من ترجمة أبى عبد الله محمد بن محمد التلمسانى المقرئ، ونصه: ومنه ما ذكره عنه أنه يحضر مجلس السلطان ابن عنان ليث العلم، وكان مزوراً الشرفاء بفاس: إذا دخل مجلس السلطان قام له السلطان وجميع من فى مجلسه إجلالا له إلا الشيخ المقرئ فلا يقوم معهم: فأحسن المزوار من ذلك وشكاه للسلطان. فقال له السلطان: هذا رجل وارد علينا نتركه على حاله حتى ينصرف: فدخل المزوار يوماً فقام له السلطان وغيره على العادة.

فنظر المزوار إلى المقرئ. قال له أيها الفقيه: ما لك لا تقوم كما يفعل نصره الله وأهل مجلسه إكراماً لجدى وشرفى، ومن أنت حتى لا تقوم لى. فنظر إليه المقرئ. فقال له: أما شرفى فمحقق بالعلم الذى أبا أشه، ولا يرتاب فيه أحد.

وأما شرفك فمظنون، ومن لنا بصحته منذ أزيد من سبعمائة عام، ولو قطعنا بشرفك لأقمنا هذا من هنا وأشار للسلطان أبى عنان وأجلساك مجلسه فسكت المزوار اهـ.

قال العلامة أبو عبد الله بن الأزرق، وعلى اعتذاره ذلك يكون الشرف الآن مظنوناً إلى آخر كلامه.

وبالجمله فلهم فى عقد النكاح مفاصد يضيق لذكرها صدر المؤمن، ولنذكر ما نعلمه من أمر الناس اليوم تذكيراً للناس (فإن الذكرى تنفع المؤمنين).

فمن مثالبهم: النكاح شغاراً، وهو نكاح البضع بالبضع من غير مهر أو به، بمعنى أن هذا يعطى ذاك ابنته أو أخته على أن يأخذ منه ابنته أو أخته: فإذا أنفق في زفها لزوجها عشرة أنفق الآخر مثله، وتكون كلتاها معلقة على الأخرى بحيث لو تركت إحداها دار زوجها تركت الأخرى لها، أو لواحدة المهر دون الأخرى، وذلك نهى عنه رسول الله ﷺ، وفي صحيح البخارى عن مالك عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ "نهى عن الشغار" والشغار أن يزوج الرجل ابنته على أن يزوجه الآخر ابنته ليسينهما صداق.

ومن بدعهم نكاح من تحرم عليه من حيث الرضاع: وهذا بدعهم نكاح من تحرم عليه من حيث الرضاع: وهذا كثر في بلادنا بحيث يعسر حصره، والناس لرقه ديانتهم لا يقلعون، وربما سول لهم إبليس البقاء على ذلك بمعنى أن المذاهب كثيرة، ولا يخلو الأمر من ذلك، وجاهل اليوم قلبه أشد من الحجارة قسوة.

ولقد كذب اللعين فيما سول له: إذ حرمه الأمر مجمع عليها، فمن نكح من تحرم عليه من هذه الجهة فقد زنى بمحرمه.

فقال أبو زيد عبد الرحمن لعبد الباسط: اذكر لنا ما يحرم من الرضاعة وما يحرم من النسب. فقال: أما ما يحرم من النسب فسبعة: وهى المذكورة فى قوله: (حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت) وكذلك الرضاع يحرم أمهاتكم من الرضاعة وبناتكم من الرضاعة كذلك، وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم من الرضاعة وبنات الأخ من الرضاعة وبنات الأخت من الرضاعة: أى فيحرم الأصول وإن علت، والفروع وإن نزلت.

وأول فصل من كل أصل فقط، ويحرم أيضا فرع الأخت فقط، وأما فرع ما عداهما من الفصول الباقية فلا حرمة نسبا ورضاعا.

واستثنوا من ذلك ست مسائل: وهى أم أخيك أو أختك، وأم ولد ولدك، وجدة ولدك، وأخت ولدك، وأم عمك وعمتك، وأم خالك وخالتك. فهذه وإن حرمت نسباً: حيث إن أم أخيك أو أختك: إما أمك وامرأة أبيك، وأم ولد ولدك حليمة ابنك، وجدة ولدك أم امرأتك وأخت ولدك. أما بنتك أو بنت امرأتك من آخر. وأم عمك وعمتك. أما جدتك أو امرأة جدك، وأم خالك وخالتك: إما جدتك أو امرأة جدك أبى أمك فلا تحرم لو كانت من حيث الرضاع كما ذكرنا.

ومن بدعهم القبيحة: نكاح المرأة فى عدتها: فتدعى أنها وافت القروء الثلاثة. [القرء: الطهر] كذبا وزورا: أو الثلاثة أشهر التى لليائسة ومن لا تحيض لصغر، وربما قيل لها قولى انقضت عدتى كما سمعت بأذنى من المرأة توصى ابنتها بذلك فيقعدها عليها وتنكح فى عدتها.

والمذهب فى ذلك أنه نكاح باطل يفرق بينهما شرعاً ويتأيد تحريمها فلا تحل له أبداً، وفى الموطأ فى باب جامع ما لا يجوز من النكاح: عن سعيد بن المسيب، وعن سلمان بن يسار أن طليحة الأسدية كانت تحت رشيد الثقفى فطلقها فنكحت فى عدتها فضربها عمر بن الخطاب وضرب زوجها بالمخفقة ضربات وفرق بينهما.

ثم قال عمر: "أيمما امرأة نكحت فى عدتها فإن كان زوجها الذى تزوجها لم يدخل بها فرق بينهما. ثم اعتدت بقية عدتها من زوجها الأول ثم كان الآخر خاطباً من الخطاب فإن كان دخل بها فرقت بينهما. ثم اعتدت بقية عدتها من الأول. ثم اعتدت من الآخر. ثم لا يجتمعان أبداً".

قال مالك وقال سعيد بن المسيب " ولها مهرها بما استحل منها " .

فانظر بعينك ما فعله عمر: حيث ضرب المرأة وزوجها بالمخفقة، وهي الدرة التي تكون بيده، وهي سوط عريض، وفرق بينهما. وقال: " لا يجتمعان أبداً " إشارة إلى تأييد التحريم.

وتأمل ما عليه ناس الوقت وما غروا فيه مما صورته النكاح، وهو في الحقيقة زنا بالمحرم.

فلعل من اطلع على هذا ينبه نفسه، ومن يعرفه بذلك، إذ في وجود الزنا خراب الديار، وقد ورد في الحديث القدسي "أبا الله لا إله إلا أنا رب مكة أغنى الحاج ولو بعد حين، وأفقر الزاني ولو بعد حين" نقله الشيخ زروق في نصيحته. وفي بعض الحكم: الغنى والزنا لا يجتمعان في بيت أبداً.

ومن بدعهم السعي في طلاق امرأة من زوجها ليتزوجها الساعى في ذلك، وهذا فيه ما فيه من الحرمة الغليظة التي هي من أكبر الكبائر. أما سمعت الله يقول (فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه) تقبيحاً لأمره في معرض ذكر السحر الذي يتعلمونه من الملكين فتنة حتى قال (ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم) الآية.

فبان بذلك تغليظ إثم التفريق لأن السحر لا يحرم لذاته، إذ من تعلمه ليتوقاه، ولكيلا يضر به جار، فلا يكون في حقه حراماً، وفي الحديث الشريف أن رسول الله ﷺ قال " من فرق بين المرء وزجه فليس منا " رواه الطبراني عن معقل بن يسار، وليس هذا فقط بل ليتزوجها: فإذا طلقها منه

تزوجها حباً لها ورغبة سابقة، والمذهب تأييد تحريمها عليه، وقد حكى بعض الفقهاء الإجماع على ذلك.

وهذا الفعل الدنيء عندنا فى هذا العصر كاد لا يدخل تحت حصر وعلى ذلك فأولادهم الذين يلدونهم أولاد زنى.

ومن بدعهم خطبة المرأة فى العدة، واختلاط الخاطب بها.

ذلك الأمر أصبح ذائعاً فى عصرنا لما تعلم من طمس بصائر الناس اليوم وإقبالهم على الشهوات والأغراض الفاسدة.

فترى المرأة إذا مات زوجها بمجرد حصول ذلك وكانت صالحة للرجال أسرع إليها من يحرص عليها من الناس قبل خروجها من العدة، وخطبها جهاراً من وليها، ولا تكبر على ذلك، ولا خوف من الله، إذ بصائرهم محجوبة وإذا قبل أمره لديهم دخل عليهم وخرج وأهدى الهدايا وجالس مخطوبته وربما تلذذ بها، وربما عقد عليها قبل خروجها من العدة جهلاً بالأمر لحرصه الشديد على ما يشتهى. وإذا تلذذ بها بعد العقد عليها تأبد تحريمها عليه.

بل علمنا أنه يتلذذ بالنظر لأمرها ولأختها وبمن تقرب إليها من النساء، وهم لا يرون منعه بدعوى أنه صار صهراً لهم بمجرد التماسه الزواج بامرأة فى العدة لم تخرج منها، وفى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال "إياكم والدخول على النساء. فقيل يا رسول الله: أفرأيت الحمى؟ فقال الحمى الموت" قيل والحمى أبو الزوج أو الزوجة: أى الموت خير له من الدخول عليها فإذا كان أبوها وأبوه هكذا فكيف بالغير؟.

وأما الخطبة في الغدة مجردة عن الاختلاط فهي حرام: اللهم لا كلاماً بالتعريض كما قال تعالى: (ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكنتم في أنفسكم).

ففي الصحيح في هذا الباب عن ابن عباس (فيما عرضتم به من خطبة النساء" يقول: إنى أريد التزوج ولوددت أنه يسر لى امرأة صالحة. وقال القاسم يقول: أنك على كريمة، وإنى فيك لراغب، وإن الله لسائق إليك خيراً، أو نحو هذا.

فانظر بعينك ما ذكره الإمام البخارى فى تفسر التعريض بالنكاح من غير تصريح، والمذهب حرمة المواعدة وكراهتها من أحد الجانبين، ولكن ناس اليوم لا يبرحون حتى يعقدوا عليها فى عدتها، والعقد فى العدة فى المذهب فسخه بغير طلاق ما لم يتلذذ فتحرم أبداً كما تقدم. قال تعالى: (ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله) أى حتى تنتهى العدة.

ومن بدعهم كونهم يرون النظر إلى المخطوبة عاراً، وهو ضد ما جاءت به الشريعة المطهرة بالنظر إلى مخطوبته"، ونظر هو ﷺ "كان يأمر من يريد الزواج بالنظر إلى مخطوبته"، ونظر هو ﷺ إلى وجه عائشة لما أتاه جبريل بصورتها فى خرقة من حرير كما فى الصحيح، وعن أبى هريرة (رضى الله عنه) "قال رجل أنه تزوج امرأة من الأنصار. فقال رسول الله ﷺ: أنظرت إليها. قال لا. فاذهب فانظر إليها فإن فى أعين الأنصار شيئاً" أخرجه مسلم والنسائى. قال الغزالى فى الإحياء: بعد سوجه لهذا الحديث: اختفت فى المراد بقوله: شيئاً. فقيل عمش، وقيل صغر، وفى حديث آخر: "أنه ﷺ قال انظر إليها فإنه أحرى أن يدون بينكما".

فانظر بعينك إلى الحديثين الناطقين بأمر رسول الله ﷺ بالنظر إلى المخطوبة، وقوله في الحديث الأخير "فإنه أحرى أن يدوم بينكما" حيث صرح بسر حكمة الأمر بالنظر، إذ الخاطب متى نظر إلى المخطوبة عرفها تصلح له أم لا.

وفي الغالب أن المرء لا يرضى إلا بما تطمئن إليه نفسه، ويركن إليه خاطره، وأيضاً في الغالب يقع الفراق بين الزوج وبين المرأة إن لم توافقه حيث لم يرها قبل ذلك.

وليست هذه أول مخالفة ناس الوقت، فإن لهم في الدين بدع لا تسع ذكرها الأسفار، أعادنا الله من التغيير والتبديل، حتى نلقاه سالمين من كل ذلك بمنه وكرمه آمين.

ولهذا تجدد كثيراً من الناس اليوم لا يتزوج إلا على طريق السقايات أو الحمامات، أو محل إصلاح الحبز، أو بيعه، لأن بهذه المواضع يتأتى له النظر في وجه البنات، وكذا بالبادية.

ومن بدعهم الشيعة في أمر الزواج أن مريده يسأل عما يملكه أبو الزوجة، وعن سنه، ويتحرى صدق الخبر في هاتين الجهتين، فإن كان أبوها ذا غنى ويسار، وشيخاً يودع الحياة كل يوم كان محبوباً ومرغوباً فيه، أو كما يقولون: كان هو المطلوب، ولو كانت بنته على صورة قرد، أو خنزير، وإن نقص شيء من ذلك قلت الرغبة فيه وفي بنته، ولو كانت كالشمس، أو القمر.

ومن العجيب أيضاً أن تسمع أن أبا الزوجة وأمها يبحثان عن ذى مال وإن اجتمعت فيه عيوب الحياة كلها ليكون لابنتهما بعلا، على حد قول العامة: فلما جاء خاطباً قال اقرع بفلس. قيل له مد رأسك انبس!

ومن العجب أيضاً أن تسمع أن أبا الزوجة يبحث عن الخاطب، هل له أم أم لا؟

وكذلك الخاطب يبحث عن المخطوبة: هل لها أم لا؟ فإن كان لكل منهما أم تعذر اللقي، وباء كل منهما بالحرمان.

ثم اعلم أن الزواج كما لا يخفى من سنن الفطرة، ولا غنى لأحد من الناس عنه إلا لعله من العلل البشرية، وهو مما لا يستغنى عنه في الحياة الدنيا إلا إذا آن خرابها، وهذا قريب. بدليل اشتغال الناس عنه اليوم بالزنا واللواط، ولقد كان من اللائق بأهل الإسلام أن يعطوا الزواج حقه من العناية والتقدير فإن له شعباً كثيرة، ووجودها مختلفة، وألوانها متنافرة.

أما أهل الصدر الأول، فقد قدروه حق قدره، والفضل في ذلك يرجع إلى نبي الأمة وهاديها مولانا محمد ﷺ فقد قال كما في البخارى ومسلم من حديث أبي هريرة "تنكح المرأة لمالها ولحسبها ولدينها ولجمالها" ثم خص على الاكتفاء بذات الدين، فقال "فاظفر بذات الدين تربت يداك" فذات الدين لا بد أن تكون عفيفة، وذات الدين لا بد أن تكون حافظة لبعْلِها في عرضه وفي ماله، وهى كذلك حريصة على أن تؤدى لأولادها ما يجب عليها لهم من خدمة وتربية وتهذيب، وحريصة على أن تقوم بما لزوجها عليها من حقوق، وليس يطلب من الزوجة شئ وراء هذا: هكذا كان المسلمون قديماً.

أما فى هذه الأيام: فالزواج عندهم بيع وشراء كما تقدم لنا، بل هو عندهم من الشؤون التى تستعمل فيها الحيل للكسب والغنمة الباردة.

وبالجملة فالرجل الذى يحب الزواج اليوم يعرض نفسه لخطر القتل فى كل يوم بسبب مخالفته لهن فى عوائدهن الشيطانية.

ومن مناكرهم الفظيعة أن لا تخرج المرأة اليوم إلا فى أكمل زينتها وأبهى حليها متبرجة تبرج الجاهلية الأولى . بل أشد من ذلك من صدور عارية وأيد مخضبة، ووجوه محسنة، أو مشوهة بالأصباغ والمساحيق الرومية، وسباق عارية، بجورب: أى تقشير يزيدما جمالا .

ومن دون ذلك رداءة هفهاف لا يستر ما تحته ولا بقى حراً ولا برداً، وإنما هو شرك الناظرين، وخدعة المفتونين من أهل الوقت .

وكان من العيوب قديماً أن تخرج المرأة من بيت زوجها إلى بيت أبيها أو أحد أقاربها خفية لا يعرفها جار ولا قريب للمبالغة فى احتجابها، وهى تسير متعثرة لا تهتدى إلى طريقها، كأن من فى الطريق سيتناولها بيده، شأن العفة والحياء، وأصبح اليوم ما قدمناه .

أمرنا الشارع ﷺ أن نحافظ كل المتحفظ على نسائنا لتصان أعراضنا وتحفظ أنسابنا، وتكون خالصة من شوائب الريب .

أعلمنا أن النساء مطمح نظر الرجال، ومحل للشهوة، ومجربة للفتنة وآلة لارتكاب المعاصى، فلم لم نسد باب الفتنة؟ ولم تكف دواعى الشهوة بصيانة النساء عن الخروج إلى الأسواق وغيرها .

أما نتفكر قول الرسول ﷺ " ما تركت بعدى فتنة هى أضر على الرجال من النساء " وقيل:

إذا رأيت أموراً منها الفؤاد تفتت

فتش عليها تجدها من النساء تأتت

ولقد يعلم هذا كل عاقل، ومع هذا نشاهد كثرة النساء كل وقت وساعة

ليلاً ونهاراً في جميع الأسواق والطرقات على الوجه الذي قدمناه، ولا يخفى ما نراه من كل عاهرة وفاسق مما يكدر صفو عيش كل من له أدنى غبرة أو مروءة من المسلمين.

وبالجملّة فيجب على كل من يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله أن يكون صاحب غيرة وحمية على أهل بيته، فإن الغيرة من الدين، ومن لا غيرة له لا دين له.

قال عليه الصلاة والسلام "ثلاثة لا يدخلون الجنة أبداً: الديوث، والرجلة من النساء، ومدمن الخمر، قالوا يا رسول الله: أما مدمن الخمر فقد عرفناه، فما الديوث؟ قال: الذي لا يبالي من دخل على أهله، قيل فما الرجلة من النساء؟ قال: التي تشبه بالرجال".

وكان على (رضى الله عنه) يقول: ألا تستحيون ألا تغارون، يترك أحدكم امرأته تخرج بين الرجال تنظر إليهم وينظرون إليها. فإذا أردت الخلاص من المضرة فاحترز من أن يخلو رجل أجنبي بزوجتك من أقاربك أو أقار بها لقوله ﷺ "إياكم والدخول على النساء، فقال رجل يا رسول الله أرأيت الحموم؟ قال: الحموم الموت" رواه البخاري ومسلم، والحموم هو أبو الزوج، ومن أدلى به كالأخ والعم وابن العم ونحوه. وقال أبو عبيدة يعنى فليمت ولا يفعل ذلك، فإذا كانت هذه رواية في أبي الزوج وهو محرم، فكيف بالأجنبي.

وقال رسول الله ﷺ: "إياكم والخلوة بالنساء، والذي نفسى بيده ما خلا رجل بامرأة إلا دخل الشيطان بينهما، ولأن يزحم رجل خنزيراً متلطخاً بطين أو حمأة خير له من أن يزحم منكبه امرأة لا تحمل له" رواه الطبراني.

وأجمع شيء للخلاص من المضرة أن لا تطيع النساء بحال، لقوله ﷺ " ألا هلك الرجال حين أطاعوا النساء ". وقال الحسن البصرى رحمه الله: والله ما أصبح رجل يطيع امرأته فيما تهواه إلا أكبه الله فى النار. ومعنى الطاعة لها أنها تطلب منه الذهاب إلى الحمامات والعرائس والأعياد والنائحات وزيارة القبور وشراء الرفاق فيجيبها إلى ذلك.

وقال ﷺ: " تعس عبد الزوجة " وإنما قال ذلك لأنه إذا أطاعها فى هواها، فهو عبدها وقد تعس، فإن الله ملكه المرأة، فملكها نفسه، فإذا ملكها نفسه فقد عكس الأمر، وأطاع الشيطان. ومن طاعته لها أن يعلمها أسباب المعيشة المختصة بالرجال، والقراءة الزائدة على الحاجة الدينية والكتابة، والخطابة، والشعر، وغير ذلك، مما يختص بالرجال، ورحم الله القائل:

ما للنساء وللقرابة والكتابة والخطابة
هذا لنا ولهنا منا أن يبتن على جنابة

وفى الحديث عنه ﷺ أنه قال " الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها "

وقال على كرم الله وجهه ورضى عنه: لا تطيعوا النساء على حال ولا تأمنوهن على مال ولا تدعوهن يدبرن أمر عشير فإنهن إن تركن وما يريدون أفسدن المسالك وعصين المالك، وجدناهن لا دين لهن فى خلواتهن ولا ورع لهن عند شهواتهن اللذة بهن يسرة، والخيرة بهن كثيرة، فأما صواحجهن ففاجرات، وأما طواجهن فعاهرات، وأما المعصومات فهن المعدومات، فيهن ثلاث خصال من اليهود: يتظلمن وهن ظالمات، ويحلفن وهن كاذبات ويتمعن وهن راغبات، فاستعيذوا بالله من شرارهن، وكونوا على حذر من خيارهن.

ولا يخفى على كل مؤمن أن النساء مأمورات بالقرار في البيوت. قال الله تعالى - وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى - فيجب على كل مسلم أن يمنع زوجته عن الخروج من البيت إلا لضرورة فإن خرجت بإذنه لغير ضرورة كانا عاصيين. قال رسول الله ﷺ "ليس للمرأة نصيب في الخروج إلا مضطرة، وليس لها نصيب في الطريق إلا الحواشي، وروى عن ابن عباس (رضي الله عنهما) عن النبي ﷺ أنه قال: "المرأة إذا خرجت من باب دارها مزينة ومعطرة بالطيب والزوج بذلك راض بنى لزوجها بكل قدم بيت في النار" أي ويقاس على الزوج الآباء والأمهات إذا رضيا عنها بذلك. وها أنت ترى حال النساء اليوم لا يخرجن من بيوتهن إلا إذا تبرجن، كان ذلك الخروج لأجل الحمامات أو الأسواق أو غيرهما.

فقال أبو زيد لعبد الباسط: وما معنى التبرج؟ قال هو إذا أرادت الخروج من بيتها لبست أفخر ثيابها وتجملت وتحسنت وخرجت تفتن الناس بنفسها، فإن سلمت في نفسها لم يسلم الناس منها، ولذا قال رسول الله ﷺ "المرأة عورة، فأحسبوهن في البيوت" وهي بسبب ذلك متعرضة للزنا ساعة في أسبابه إلى طلابه.

وفي الحديث عنه ﷺ أنه قال: "استعينوا على النساء بالعرى فإن إحداهن إذا كثرت ثيابها وأحسنت زينتها أعجبها الخروج" اهـ

وفي صحيح الإمام مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال "صنفان من أمتي من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مائلات رءوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلون الجنة ولا يجدون ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا" اهـ

فمن تأمل بعين البصيرة والاعتبار فيما يقع للنساء من الآفات إذا خرجن لم يأذن لهن بالخروج خصوصاً فى مثل هذا الزمان الذى كثرت فيه البدع والفسوق والعصيان على رءوس الأشهاد.

ولقد تهاون كثير من الناس فى أمر نسائهم حتى إن كل موضع طلبته امرأة أحدهم أذن لها مع عدم التفتيش على الحاجة التى خرجت لأجلها، وُورفتش لوجودها خرجت لأجل الفسوق والعصيان وفساد النسل، إذ ديدنهم صباح مساء هو ما ذكرنا.

ومن ذلك أن المرأة تطلب من زوجها إذا كان عقيماً أن تزور بعض أضرحة الأولياء بداخل البلاد وخارجها كزيارة أبى اسحاق المولى إبراهيم ابن امغار القاطن بأعلى جبل بجوز مراكش، فيذهب الرجل معها أو يوجهها مع من ليس لها بمحرم، فإذا حلت بتلك الأرض انعزلت عنه إن كانت معه بمحل معد للنساء هناك صورة، وربما لا يراها اليوم واليومين وقد وجدت بذلك فسحة عظيمة وحرية جسيمة فى التواصل للزنا على أى وجه كان بذلك الجبل المملوء بفحول ليس لهم شغل إلا اختلاس مثل هؤلاء والتوصل لهن بأدنى باعث.

فيرجع الديوث، وقد حملت عدوته من غيره، فيزين له الشيطان أن ذلك ببركة زيارة ذاك المولى، وما ذاك إلا من بركة تلك النطفة الخبيثة التى ألقيت فى ذلك الرحم الخبيث.

وهذا أمر فشا فى وقتنا هذا وزاد بلة فى مادة المقت والسخط والغضب وانقطاع النسل، على أنه ينبغى للعاقل الغيور إن كان لأهله حاجة من شراء ثياب أو حلى أو غيرها أن يتولى ذلك بنفسه أو من ينوب عنه ولا يمكنهن

من الخروج إذ أن ذلك يفضى إلى المنكر البين الذى يفعله كثير منهن اليوم جهاراً، أعنى جلوسهن على الدكاكين أى الحوانيت بياسطن أصحابها وغيرهم وهم يمدون أيديهم إلى أجسامهن، كأنهن أزواجهن. وترى الصائغ أى التكموتى، وياع الأساور أى الدمالج من الذهب والفضة والخواتم ونحوها تجتمع النساء حوله وينظر إليهن ويمسك ذراعهن عندما يلبسهن الأساور وغيرها ويضغط على أى عضو شاء منهن.

ولا يخفى ما فى هذا من المفسد الناشئة عن هذا التهاون الذى ينافى غيرة أهل الإيمان، وبهذا التهاون كثر أولاد الزنا فى الوقت، وبسببهم حل ما ترى، ورجع كل شىء إلى ورا. زماننا كأهله وأهله كما ترى. ومما ينبغى الالتفات إليه أنه يجب على الرجل أن لا يأذن لزوجته بالخروج إلى الحمام لقوله ﷺ "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل حليلته الحمام" رواه الترمذى مرفوعاً ولقوله ﷺ "الحمام حرام على نساء أمتى" ويقاس على الحمام غيره من المواضع التى يخشى منها الفساد، ولقوله ﷺ "امنعوا نساءكم الحمام إلا مريضة ونفساء".

ولما اشتمل عليه فى هذا الزمان من المفسد الدنيئة والعوائد الرديئة بدخولهن الحمامات باديات العورات.

وانظر أن الواحدة منهن إذا أرادت الدخول فى الحمام استصحبت معها أفخر ثيابها وأنفس حليها فتلبسه بعد فراغها من الغسل حتى يراها غيرها من النساء فتقع المفاخرة والمباهاة فتطلب المرأة التى ترى ذلك من زوجها مثل ذلك، وقد لا يكون له قدرة على ذلك فتنشأ المفسد، وربما كان ذلك سبباً للفراق، أو الإقامة على الشقاق بينهما، وهذا خلاف مقصود الشارع فى الألفة والمودة التى جعلها الله تعالى بين الزوجين.

فإذا أرادت العودة من الحمام إلى بيتها مشت في الطريق بأحسن ثيابها وحليها وزينتها وعطرها وأضافت إلى ذلك فعلاً قبيحاً شنيعاً، وهو أن تقمط ثيابها وتخرج يديها من رداؤها وتكشف عن كمين قصيرين واسعين مطزين بغرائب الطرز، فيرى ساعدها، ثم تعبت بيديها، فيلمع بريق أسورتها الذهبية المعلقة فيهما، ثم تحرك يديها، فيأخذ ذلك بمجامع قلوب الفاسقين، ويؤثر في سريره المنقين، وتبين ساقيهما، وتضرب برجلها على الأرض، فيلتفت إليها الرجال، وتأخذ بمجامع قلوبهم في الحال والمآل، وهي تتبختر في مشيها، تقدم رجلاً وتؤخر أخرى، فيفتنون بتلك الزينة فتميل قلوبهم إليها بسبب هذه الزخارف التي ما ألقيت على عود إلا افتتن به كل من يراه.

وهذا خلاف ما نطق به الكتاب العزيز. قال تعالى (وليضربن بخمرهن عن جيوبهن) أى فليرخين خمرهن على أطواق قميصهن ليسترن بها صدورهن وما حولها، والخمر جمع خمار، وهو الثوب المصنوع من القطن أو الكتان أو الصوف.

فالذى يجب على المرأة التي تخرج من بيتها لضرورة أن تدلى جلبابها على وجهها حتى تستره ما عدا عيناً واحدة لما روى عن ابن عباس (رضى الله عنهما) أنه قال: قال رسول الله ﷺ: "أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رأسهن بالجلايب ويبدن عيناً واحدة (ولا يبدن زينتهن) أى يسترن أشياءهن التي هي واسطة في الزينة: كالحلى وغيره ولا يضعن الجلاب (إلا لبعولتهن) أى لأزواجهن (أو آبائهن) إلى أن قال (ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن) قال ابن عباس وقتادة (رضى الله عنهما): كانت المرأة تضرب الأرض برجلها إذا مشت

لتسمع قعقة خلخالها ليعلم أنها ذات خلخال، فنهين عن ذلك خوف الفتنة، لأن الرجل الذى تغلب عليه شهوة النساء إذا سمع صوت الخلخال، يصير ذلك داعية له زائدة إلى مشاهدتهن، ويوهم أن لهن ميلا إلى الرجال.

فإذا علمت ذلك فاعلم أن الملاءة: أى الحائك، أو الكساء التى تلبسها النساء اليوم المتخذة من القطن والحرير المصنوع بكمال الزخرفة يأخذ حسنه بالأبصار أدل على محاسن المرأة، وأقوى إلى الداعية من صوت الخلخال المنهى عنه، لأن الخلخال زينة مستورة، والملاءة زينة ظاهرة، ومثلها الخرقه الرقيقة التى تحكى صورة المرأة من ضخامة ورقة خصر إلى غير ذلك مما يستلفت نظر الرجل العفيف إليها، والتأمل فى بدنها ولو كان غافلا.

كيف لا؟ والشيطان مصاحب لها فى جميع حالاتها، إن أقبلت فمع شيطان، وإن أدبرت فمع شيطان. قال مجاهد (رضى الله عنه): إذا أقبلت المرأة جلس إبليس على رأسها، فزينها لمن ينظر إليها، وإذا أدبرت جلس على عجزها، فزينها لمن ينظر إليها.

ومن أعظم مكاييد النساء اليوم حالة خروجهن للحمامات بإذن أزواجهن أو لغيرها أن إحداهن تدخل للحمام وتخرج منه بسرعة فى زى غير الزى الذى دخلت فيه أولا، وتذهب لمن كان مشغوقاً بها قبل ذلك، وإن لم يكن تصر تحتال على من تأخذ بمجامع قلبه، حتى تظفر بمرادها، ثم بعد ذلك ترجع للحمام وتغتسل، وربما غسلت رأسها فقط إذا ضاق عليها الوقت توهم ذلك الزوج أنها اغتسلت، وربما اعتذرت لزوجها بطول المكث فى الحمام لأجل الازدحام إن لامها على ذلك، وهذا من أعظم الأسباب التى اقتضت كثرة أولاد الزنا اليوم.

وبالجملة: فالمناكر التي تتوصل إليها النساء بسبب الخروج للحمامات يضيّق عليها الحصر، وحسبك ما قدمنا. على أنه لا يسمح لها بذلك إلا ديوث، أو من لا دين له.

وقد رأينا من يدعى اليوم القدم في العلم والحديث، بل حتى من يدعى المشيخة والوصول يسمح لزوجته بالخروج للحمامات ولو البعيدة مع ما هن عليه من الجمال، وكشف أعالي الصدر الأبيض واليدين المخضبتين، وتكرر الخروج في كل أسبوع مرتين أو ثلاثة. ولا شك أن هذا مما يوقع في غضب الله.

وسبب هذا من هؤلاء المدعين للعلم، وكذا المرتبة في المشيخة الاغترار بأزواجهن وحسن الظن بأنهن على شيء من الديانة، والنساء من حيث هن لسن على شيء، بل هن فاسقات، عاهرات، خبيثات، شيطانات، مجرمات، وحسبك ما قال فيهم سيدنا على كرم الله وجهه: حسبما قدمنا [فأما صوالهن ففاجرات، وأما طوالهن فعاهرات، وأما المعصومات، فهن المعدومات].

وكما نقل صاحب المدخل عن سيدى إبراهيم بن أدهم رحمه الله: ليس للنساء نصيب في الإسلام فانظره تزدد يقيناً.

ومن منا كرهن زيارتهن للقبور، ولا يخفى أن الواجب في حقهن المنع لما روى البخارى عن أبى يعلى قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة، فرأى نسوة، فقال "أتحملنه؟ قلن لا، قال أتدفنه؟ قلن لا قال فارجعن مأزورات غير مأجورات" قال العلامة القسطلانى: واستفهامه عليه الصلاة والسلام منهن استفهام إنكار وتوبيخ على خروجهن، بمعنى أنه لا ينبغي ولا يجوز.

وروى الترمذى أنه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لعن زوارات القبور. قال العلامة ابن حجر فى زواجه: صريح هذا الحديث أن زيارة النساء للقبور من الكبائر لما فيه من لفهم، فيحمل ذلك على ما إذا عظمت مفسدهن كما فعل كثير من النساء من الخروج إلى المقابر وخلف الجنائز بهيئة قبيحة جداً، إما لاقتنائها بالنيابة ونحوها، أو الزينة عند زيارة القبور بحيث يخشى منها الفتنة.

وسئل القاضى عياض عن جواز خروج النساء إلى المقابر، فقال لا تسأل عن الجواز، ولكن سل عن مقدار ما يلحقها من اللعن فيه. فإذاً يجب على الرجل منع زوجته من زيارة القبور لما يترتب على ذلك من البدع والمحرمات التى يكمل السمع منها، فكيف برؤيتها ومباشرتها.

ومن العوائد الفاسدة أنهن اتخذن عادة مذمومة، وهى إذا جاء يوم عاشوراء جعلن الزيارة إلى المقابر فرض عين، وخرجن فى أفخر حيلهن. ومنهن من يخرجن صباح كل جمعة لزيارة القبور، أو لتطوف على أضرحة الأولياء، وكذا إذا جاء النصف الأول من رجب، فيصرن يتطوفن على أضرحة الأولياء، ويسمونه بيوم أولى أولى هكذا.

ومنهن من تخرج عشية كل جمعة للحضور فى هذه الزوايا المحدثه التى اتخذت شبكة لجمع الدراهم، وهى الزاوية العيساوية، والزاوية الحمدوشية والزاوية الطالبية، والزاوية التهامية، والزاوية الصادقية، والزاوية الغازية وغيرها.

وقد قدمنا أن هذه الزوايا التى حق لها أن تصير دكا، قد اشتملت على ما مفسد عديدة التى منها اختلاط النساء مع الرجال، وكشفهن لوجوههن

وسطهن، ومحادثتهن مع الأجانب، وملاعبتهن لهم: كأنهم أزواجهن، وكثرة الضحك معهم وغيره مما هو معروف عند كل الناس.

ومن منكرهن ما يفعله النساء اليوم، بل كلهن فى ركوبهن على هذه العربات: أى الكواشا، أتومييلات فى الذهاب والرجوع من زيارة القبور. أو من المشى للولائم.

ولا يخفى ما فى ذلك من مس المكارى لهن وتحصينه للمرأة فى إركبها وإنزالها، وربما أركبها بإزائه، وحيثُ يجعل يده على فخدها. وربما أركبها وحدها لأجل ما ذكر، فتوصل لغرضه منها بسبب تلك الخلوة التى ظفر بها، وساعده الوقت عليها، فيذهب بها وهى راكبة معه إلى موضع خال من الناس، فيفعل بها ما شاء إما طوعاً أو كرهاً. وإما جعل يده على كتفها، والحالة أن يديها ومعصمها مكشوفان لا ستر عليهما سيما مع ما ينضاف إلى ذلك من الخواتم الذهبية، والأساور مع الخضاب غالباً، فهذا شئ كثير من لوازم المكارى.

وأما إذا خلا بها وساعده فراغ بعض الأزقة، فلا تسأل عما يكون ولو رأى المسلم ولو أجتينا هذا الفعل الشنيع لأنكره عليهن ومنعهن وسب أزواجهن.

فكيف يراه الزوج أو ذو محرم فيطمئن قلبه ذلك؟ فهذا والله من قلة الدين والانسلاخ من سبيل المؤمنين.

ومن منكرهن طلوعهن الأسطحة، وهذا أعظم وأشنع مما تقدم لما اشتمل عليه من المفاسد والمحرمات المؤدية إلى اختلاط النسل والعصيان.

وقد تساهل الناس اليوم لهن في ذلك من غير مبالاة لهم بما سيقع في السر والجهار، واغترار بصفاء ظاهر حبائل الشيطان، مأوى الفسوق والطغيان، ولو كانت لهم غيرة إسلامية ونخوة إيمانية، لما رضوا بهذا الهوان، المؤدى إلى اختلاط النسل أو العصيان.

وبسبب هذا التهاون أيضاً كثر أولاد الزنا في الوقت، وحل ما حل بالناس من سخط والمقت، فليجتهد العاقل أن يتخلص من هذه العادة الرديئة، والفعلة الدنيئة، وإياه وحسن الظن بالنساء في هذا الزمان. فإنه الداء المعضل، والبلاء المذهل في السر والإعلان.

وتساهل الناس أيضاً في دخول الفراش للدار والسقاء، وهو القراب، وربما انفردت الزوجة بأحد هذين: أما اليهودى الخياط، وإما السقاء، فيقع ما يقع، وكم دخل على الناس من فساد النسل من هذا الوجه القبيح، وقل من يشعر به.

وكذا تساهل الناس في وقوف الطحان الذى يريد شراء النخالة بباب الدور، وربما وجدت المرأة فسحة بسبب ذلك فيقع من الفساد ما يقع، سيما وأرباب هذه الحرف كلهم فساق لا إيمان لهم، وكم أوصلتهم هذه الحرف لمقاصدهم التى لا تدرك الأبها.

وزد على هذا ما يحدث من الموظفين لجمع الزبل بالدروب، ولو ذكرت لك بعض ما صدر منهم من اختلاطهم بالأبكار: فضلا عن تمكنهم من نساء ذوات بعل لسمعت العجب، وفي الإشارة ما يغنى عن العبارة.

ولعل بعض الأغمار الأجلاف ممن لهم صور آدمية، وعقول بهيمية، إذا وقف على هذا يقول أن فلاناً قد أكثر من مقالات هي أشبه بالخيالات فمعذور

فى مقالته، وعاية القول فىه. أنه ألعوبة فى يد عدوته، تلعب به كىف شاءت، ومن كان هكذا حاله فكىف يفرق بين الحق والباطل.

وتساهل الناس أىضاً فى دخول الصبيان والمراهقين أصحاب الحرف، لأجل الحرفة التى تتعلمها المرأة. إما صنعة الخياطة أو طرز السروج والشكائر والمنطقة: أى المظمة، وصنعة القيطان والسفينة والصرمة، وغير ذلك. فىمكن للمرأة أن تتوصل بأحد هذه الحرف لمقصودها من الزنا. إما من هؤلاء الصبيان والمراهقين أو من الرجال بواسطة هؤلاء الصبيان، والرجل لا شعور له بذلك، وعاية ما يظن إذا وجدها مع من ذكر أن ذلك لأجل الصنعة التى بيدها.

ومن هذا القبيل معلم الصبيان لكتاب الله: فلا تسأل ما يكون بزوجه مع كثرة الصبيان والمراهقين الذين يوجههم لداره لأجل الأغراض من السفى وشراء اللحم وغيرهما، وقد شاهدنا من هذا العجب وسمعناه من الثقات.

وتساهل الناس أىضاً فى دخول اليهوديات للديار ومصادقتهن مع الأهلى فى العادات، والتعاون فى الأشغال المنزلية على حسب الأوقات، وربما كانت سبباً للمسلمة فى التفرنج والتوصل للزنا، وزد على هذا من المفاسد الخيانات التى تقع من هؤلاء اليهوديات فى محل المسلمين.

وقد حكى بعض الناس: أنه رأى يهودية تعجن خبز مسلم وهى تتمخط بيدها وتعجن، وتأخذ بيدها القمل من رأسها وتقتله بين أظفارها وتعجن ولا تغسل يديها إلى أن فرغت، وهذا دأب جميعهن مع كل من والاهم من المسلمين، ولا مفهوم للإناث اليهوديات، بل الذكور منهم كذلك وأشد.

وانظر هذا مع حال غالب هذا الوقت: خصوصاً تجارة فى مشاركتهم فى التجارة مع اليهود وتداخلهم معهم فىها مداخلة الدم مع اللحم والعظم،

حتى قال عدد من فجارهم: إن كل تجارة خلت من اليهود تعد خسارة، وهذا كله جهل بالسنة المحمدية، وحرام بإجماع المسلمين لما نشأ عنه من الفساد الذى تقتضيه المباينة الدينية، وهذا أحد الوجوه التى عمت بها البلوى، وضاعت بها صدور ذوى المروءة والتقوى.

وأعظم من هذا معاشرة الرجال لليهود والنصارى، واتخاذهم أخلاء؟ واستحوذ عدد منهم على ضعفاء العقول من المسلمين، وذلك بسبب قلة ديانتهم حتى صار بعض المسلمين المتهاونين فى الدين لا يتحرك بحركة، ولا يتكلم بكلمة إلا عن رأى يهودى أو نصرانى.

ومن المسلمين اليوم من جعل التصرف فى أمواله كلها لليهود أو النصارى ظناً منه أنهم ينصحونه وتنمو حركته، وغاب عليه بقله دينه طعنهم علينا، وتقولهم فى ديننا: فما أقل همة من لا ينفر عنهم بطبعه وجوارحه وقلبه، وما أخس وأخزى من يسمح لهم بقربه. لأن ما من واحد منهم ينظر إلينا إلا ولسان حاله ناطق ببغضنا وسبنا، والطعن فىنا وفى ديننا: خصوصاً اليهود، لعنهم الله.

ألم يسمع العاقل قول الله تعالى (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود).

قال العلامة الجمل فى حاشيته على تفسير الجلالين لهذه الآية الكريمة ما نصه: مذهب اليهود أنهم يجب عليهم إيصال الشر والأذى إلى من خالفهم فى الدين، ومذهب النصارى أن الأذى حرام لهم.

وقال فى تفسير قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود وانصارى أولياء بعضهم أولياء بعض، ومن يتولهم منكم فإنه منهم). قوله

تعالى (ومن يتولهم منكم فإنه منهم) أى فهو من أهل دينهم لأنه لا يوالى أحد أحداً إلا وهو عنه راض، فإذا رضى عنه رضى دينه فصار من أهل ملته انتهى باللفظ والحرف .

وقد شاهدت عدداً فى وقتنا هذا ممن يدعى الإسلام يوالىهم ويوادهم ويؤاكلهم ويباسطهم ويتداخل معهم حتى فى أسرار البيت معتقداً فيهم أنهم من كمل الأصدقاء، وأى دناءة مثل هذه الدنائة، وأى خسة مثل هذه الخسة، ولكن الأمر كما قال تعالى (الخبثات للخبثين والخبثون للخبثات).

وسبب هذا فساد النسل بأحد الوجوه التى ذكرنا، وأما النسل إذا كان طيباً فمن المحال أن ينحاز لهؤلاء الخبثات .

حكى عن الإمام القيسى رحمه الله أن يهودياً كان يخدم السلطان أبا عنان المرينى فبلغ بذلك من الطغيان أن غير لبعض الصبيان شيئاً من القرآن، وذلك أنه مر بصبي يستفتى صبيّاً فى قوله تعالى (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين).

فقال اليهودى: قل (ومن يبتغ الإسلام ديناً) فأسقط الصبى لفظة غير، ولما رجع المعلم للمكتب وسمع الصبى يقرؤها كذلك أنكر عليه. وقال: من قال لك هذا. فقال له الصبى: رجل مر الآن بنا. فقال للصبى قم أرنى إياها، فلم يزل معه يمشى فى الطريق إلى أن لقيه فعرفه، فذهب المعلم من حينه لأستاذ كان السلطان يجود عليه بقراءة السبع فأخبره بالخبر، وكان السلطان يرسل للأستاذ فرسا يأتيه عليها: فلما جاءت ركب وجاءه ولم يذكر له شيئاً من ذلك: فأخذ فى تجويد لوحه فاتفق له أنه كان فيه (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه

منهم إن الله لا يهدى القوم الظالمين) فلما قرأها قال له الأستاذ أعد، فأعادها. فقال له: أعد، فأعادها: فلم يزل يعيدها، والأستاذ يقول له أعد: حتى فهم السلطان، ووضع اللوح من يده وقام لصاحب السيف وقال له إن خرجت ولم أجد رأس ذلك اليهودي عن يمين الطريق وجسده عن شماله جعلتك مكانه. ثم رجع لموضعه وأخذ في لوحه حتى فرغ وقام الأستاذ واتبعه السلطان على العادة، وإذا باليهودي كما أمر. فقال له الأستاذ ما هذا؟ فقال هل على تكريرك الآية: فأخبره حيثئذ بالخبر.

ونظير هذا ما حكى عن القرافي وغيره: أن الخليفة غضب على الشيخ أبي الوليد الطرطوشي: فأمر بإحضاره عازماً على عقوبته. فلما دخل عليه الشيخ رأى وزيراً من الرهبان جالساً بإزائه. فقال الشيخ ارتجالاً:

يا أيها الملك الذي جوده يطلبه القاصد والراغب

إن الذي شرفت من أجله يزعم هذا أنه كاذب

فاشتد غضب الخليفة على الراهب عند سماع البيتين، وأمر بالراهب فسجن وضرب وقتل.

وأقبل الخليفة على الشيخ أبي الوليد وأكرمه وعظمه بعد أن عزم على إذايته.

وهذا الخير العظيم إنما حصل للشيخ والخليفة بسبب استحضارهما بغض الراهب للنبي ﷺ فلم يبالي الشيخ بما كان يخشى من غضب الخليفة وأذاه، فوقاه الله وكفاه، وقلب للكرامة قلب الخليفة وأرضاه، ولم يبالي الخليفة بما كان في قلبه على الشيخ من هواه، فقواه الله على نفسه وهداه، وطهره من

قرب عدو الله ورسوله، فغزا فيه بعد أن تولاه. فكذلك يجب على كل مؤمن أن يستحضر بغض كل كافر بيننا مولانا محمد ﷺ، ويستحضر عظيم عداوتهم لنا، وطعنهم علينا في ديننا. وأن كل كافر منهم ولى الشيطان اللعين، العدو المبين، قد استحوذ عليه فأخذ بعقله، ومجامع قلبه، وقاده من ناصيته، حتى لا يتحرك بحركة، ولا يتكلم إلا عن رأيه.

فيرى كل مؤمن حينئذ بنور إيمانه: أن كل يهودى إنما هو إبليس بعينه، فيفر منه بدينه، حتى لا يغتاله بقربه، من حيث لا يشعر به، وأقرب ذلك أن يتجنب له بشيء من ماله أو أدبه حتى يوقع في قلبه شيئاً من حبه، يستوجب بذلك سخط ربه، أو يطعمه من طريقة أو خمر أو جيفة أو يدخل عليه ربا في كسبه.

حكى أن قاضياً استعمل يهودياً فى أشغاله حين ظن أن تخديمه من إذلاله. قال وكان يتصرف فى أشغالى، ويظهر النصيحة لى، فأعطيته يوماً ثيابى فلم آمنه أن يغيب عليها فكان بين يدى يغسلها وأنا أنظر حتى عرضت لى حاجة، فخرجت إليها ورجعت بسرعة فوجدته فوق ثيابى يبول عليها فقبضته وضربته ما شاء الله، وتبت عن تقريب جميع أعداء الله.

وبالجملة: فاليهود أهل غش وخيانة وخديعة وعداوة ومكر، ودينهم مبني على هذه الأركان الخمسة، ولا يمكن لليهودى أن ينسلخ عن هذه الأركان مهما وجد الفرصة فى إيصالها لمسلم أو نصرانى.

وبهذا كان دين اليهود أخطر الأديان كلها، وأخسها وأرذلها وأشقها وأقبحها.

ومما تساهل فيه الناس اليوم وعدوه من الأخلاق الحسنة دخول أقارب

المرأة والجيران عليها، وفي ذلك من الدسائس الشيطانية ما لا يخفى على أهل الإيمان. منها أننا بلغنا عن الثقات: أن عدداً من النساء يدخلن الرجال لبيوتهن في زى النساء ويمكثون عندهن في بيوتهن اليوم واليومين والثلاثة على الفسوق والعصيان، والرجل ما في ذهنه من هذا إلا أنها أخت زوجته أو خالتها أو عمتها أو جارتها، وإن لم يكن هذا فيكون نظيره، وهو أن تدخل امرأة ذات سحاق: والسحاق هو استغناء المرأة بالمرأة عن الرجل، وهو نوع من أنواع عمل قوم لوط، ولا يخفى ما يجر هذا من المفسد في الدين، وإن لم يكن هذا فيكون تغير أخلاق المرأة على الرجل بسبب تداخلهن في أحوال الرجال ووسوستهن بما يعود ضرورة على الرجل، وإن لم يكن هذا فيكون ما هو قريب منه، وهو تصرف المرأة في مال زوجها بغير إذنه ورضاه لأجل هؤلاء الأقارب أو الجيران إلى غير ذلك مما يطول ذكره.

وبالجملة فالناس اليوم فيما يجب عليهم من الاحتياطات تساهلوا، وعن الأهم من ضروريات دينهم أعرضوا، وإلى الأسباب الجالبة لارتكاب المعاصي جنحوا، وهذا حال أهل هذه الحضرة، فكيف بمن في القرية والبوادي، ولو أردنا أن نذكر لك مساوئهم وما هم فيه لطال بنا المقام.

ومما تساهل الناس فيه أيضاً إدخالهم المستخدم المراهق والبالغ للدور واختلاؤه بالزوجة غالب الأوقات خصوصاً حالة سقى الماء فتجد الزوجة بذلك فسحة للزنا، ويكون الديوث أيضاً قد تسبب في فساد النسل.

وكذا العمل فيمن جعل على باب داره بواباً ودفع له مفاتيحها: فلا تسأل عما يقع منه من الفساد: بل منهم من يدخل الأجانب على الزوجة المحروسة به صورة.

ويظن الديوث أنه بالغ في أسباب الصيانة والرفاهية حيث اتخذ بواباً يحرسه، إلى غير ذلك مما لا ينبغي السكوت عنه .

ومن عوائد أهل الوقت وبدعهم: أنهم إذا خطبت امرأة. قالوا للحاطب زوجناك ثم يعطونها غيره، كثيراً ما نرى هذا في بلادنا، ذلك أن الرجل يطلب من آخر زواج من عنده لنفسه أو غيره. فيقول الولي: قد أعطيت، وهذا في الشرع عقد معتبر كان هناك شهود في الوقت أم لا؟ إذ الشهود شرط في صحة النكاح فقط كما عليه المذهب، ولو كان هذا الكلام هزلاً، لا جدّاً. ففي الحديث الشريف أن رسول الله ﷺ قال: "ثلاث جدهن جد، وهزهن جد: النكاح والطلاق والرجعة" رواه أبو داود عن أبي هريرة (رضي الله عنه).

ولقد وقع لرجل أعرفه بعد أن أشهد الشهود على النكاح ووقع بينه وبين أبيها إيجاب وقبول، عمد أبوها إلى غيره فزوجها إياه في غيبته من غير طلاق وقع من الأول، وولد أولاداً من حرام، وعاشت معه مدة على غير عصمة.

ومن بدعهم خطبة الرجل على خطبة أخيه، وذلك أن الرجل إذا أحس أن أحداً من الناس دعا فلانة لزواجه أو خطبها من أهله ذهب من ورائه إلى وليها أو إليها وخطبها، وهو حرام بلا نزاع، إذ هو من السوم على سوم الأخ كما جاء في الحديث "لا يسم المسلم على سوم المسلم" رواه مسلم عن أبي هريرة. لكن إذا ركن إلى الأول. أما إذا لم يركن إليه أو كان عاصياً جاز ذلك كما نص عليه الفقهاء.

لكن أهل هذا العصر ليست هذه لهم فقط: بل حتى في البيع والشراء

يسوم الرجل منهم على سوم أخيه كثيراً فيزيد في المهر، ويزيد في الثمن ولا حرمة بينهم، والأمر لله الواحد القهار.

ومن بدعهم أخذهم بعض ما أعطوه للمرأة أو كله، قد فشا هذا الأمر عندنا فشوفاً عظيماً. فترى الرجل إذا أمهر امرأته مهراً وبنى بها تحايل عليها في أخذه وأخذه منها، وكذلك إذا عزم على فراقها أخذه سرقة أو قهراً عنها كما نشاهده، وهذا من أكبر الكبائر. قال تعالى (وَأْتِمُمْ إِحْدَاهُنَّ قَنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بِهَتَانَا وَإِنَّمَا مِيبِنَا).

فانظر كيف نهى الله عن الأخذ من صداق النساء وشنع على أخذه حتى قال (أتأخذونه بهتاناً وإنما ميبنا) أى باهتين آثمين وإنما ظاهراً بينا.

ومن عوائدهم الشنيعة التجاهر بالزنا واللواط. فقد أصبح اليوم الزنا تجارة، والمرشدون انقطعت حيلهم حيث أن البلاد أخذت لقب الحرية في ارتكاب المناكر، وأرياب الحكم صرحوا لأولات العهر المومسات بإفشاء ذلك وعدم المؤاخذه فيما يصدر منهم في وجوه تلك المسالك، إلا أن يقصروا في إعطاء تلك الضرائب الموظفة عليهم من أجل ارتكاب هذه المهالك.

أفبقى للإسلام أيها المسلم اليوم بعد ذلك اسم أو رسم: لقد ضاع وضاع أهله، وأسفاه واديناه، بالله عليك يا دين هل تعيرنى سمعك إن فهمت متأسفاً متوجعاً، أين مجبوك، أين ناصروك، أين كرمائك، أين علمائك، أين حمائك وشجعانك، ذهب الكل وبقى الذين حياتهم لا تنفع، كنت في أول الأمر غريباً فما قد صرت الآن غريباً وحيداً، من يقوم بحقك من يأخذ بيدك، من يذود عنك العار.

فيا ويل أهل العصر من ديان يوم الدين، وقد اختلطت غير العاهرة بالرجال، وشاركت المرأة زوجها اليوم في أمره، وتبرح النساء بالزينة لغير حلائلهن، واختلى الأجنبي بالأجنبية، وجال بجنوده وصال.

فملاأت الفاحشة البيوت، وتدنس شرف ذوى الشرف، وأصبح أمرنا اليوم على شفا جرف.

ومن عوائد غالبهم السرقة: وهذه الحرفة قام بها عدداً من الناس اليوم وعظمت فيها الرغبة لكون تجارتها لا تبور، وصار الناس يدخلونها أفواجاً أفواجاً، ولهم فيها رؤساء قائمون بتنظيم شئونهم آناء الليل وأطراف النهار.

فمنهم من رصدوه بالدور، ومنهم بالحمامات، ومنهم بالأسواق، ومنهم بالمساجد، وكل عدد منهم واقف بمركزه الذى عين له بحيث لا يتعداه لغيره.

وبالجملة فلقد فشا فى بلادنا التلصص حتى أصبح المسلم غير آمن على نفسه وماله وعياله.

إذ أحدث الناس اليوم حتى سرقة الصبى والصبية: فضلا عن المال، ولا مفهوم للرجال فى هذه الحركة التعسة بل حتى النساء والبنات لهن القدم الكبير فيها، ومنهن من لا شغل لها ليلاً ونهاراً إلا هذه الحركة، وهذه الجرائم قد توالى نوائبها، واستجمعت مصائبها، ولو أن الحكومة أجرت البحث بقوة خارقة للعادة عن اللصوص الذين شاعوا فى الوقت وداخلوا الناس فى حرفهم كدخول الماء فى العود، وحكمت عليهم بحكم الله تعالى، أو بمقاساة ظلمات السجون لاضمحلت هذه الحالة السيئة بالمرّة.

وهذه المسألة إحدى الأمور المهمة التى تحتاج إليها هذه الحضرة المراكشية لما لها من الأهمية والاعتبار.

ومن جملة الأمور التي ينبغي الاهتمام بها في هذه المدينة أن تكون منظمة مضبوطة، لا كما هي عليه الحالة الآن: فإن الحالة الآن بس الحالة خصوصاً حالة الحسبة التي صارت في الوقت ملعبة.

بيان عقائدهم

ثم إن الشيخ عبد الهادي قال لعبد الباسط: وما قولك في عقائد أهل بلدك اليوم؟ فقال غالبهم على أشد عقيدة، إذ منم من قلد الآباء، ومنهم من قلد من أهل العلم من غلب عليه الغرور والفتن كأصحاب الطرق، ومنهم من قلد المفتونين في دينهم الذين تمسكوا بأباطيل داحضة، وأحدثوا في الدين ما ليس منه، وادعوا أنهم أئمة وفارقوا سادة الأمة، واختلقوا لهم مذاهب يعلم الله أنها إلى النار، وأنهم هم شر الأشرار.

وبالجملة فغالب الناس اليوم ضالون مفتونون: غير أن بعضهم أضل من بعض، وأشد فتنة:

ثم قال له: وما قولك في بدعهم ومثالبهم في العبادات؟

فقال عبد الباسط: أما ما شهدناه منها فكثير لا يدخل تحت حصر، ولكن نذكر لك بعضها، ولنبدأ بالمساجد التي شاهد لها مثالب يأسف لها المؤمن، وما ذاك إلا من رقة ديانة النظار القائمين بشأنها الذين لا رغبة لهم إلا في جمع الأموال.

وها نحن نرى أحدهم يدخل لهذا الوظيف الديني، وهو ذو مرتبة فلا تمضى عليه أعوام إلا وصار ذا ثروة عظيمة، وضياع فخيمة، وما ذاك إلا أنه أحد النصوص الوقتية، والسبب في قوة الأزمات الزمانية.

ومن أغرب ما يسمع أنك لا ترى واحداً منهم يصلى فى مسجد من المساجد إلا ما قل وندر، من كان هكذا فكيف يلتفت للمصالح الدينية؟

نعم: يلتفت لمصالحه الشيطانية من إعطائه لبطنه وظهره متتهاه، ومن فرجه مشتهاه، وهذا الحال قد أدى إلى خرق طاقة صعب سدها، وفتن مترادفة عز دواؤها (والفتنة أشد من القتل) بإجماع أهل المروءة والعقل؟

من المناكر انى شاهدناها بالمساجد النوم فيها، ويكثر ذلك خصوصاً أيام الصيف فتراهم بكثرة، وذلك فيه ما فيه من المضرات، منها خروج الريح فى بيت الله: فتأذى الملائكة الكرام، وكذا المصلون بذلك، ومنها سيلان الريق من أفواههم حال نومهم مع انخفاض رؤوسهم، وذلك يكون من المعدة، وعلامته أنه ماء أصفر منتن، وهو بخس فينجس المسجد، ومنها ما يأخذهم من الحلم فيه، ولذا قال الفقهاء لا يجوز النوم فيه إلا لابن السبيل إذا لم يجد مأوى، وكذلك المعتكف.

ومن عيوبهم القبيحة الشنيعة: استنشاق تبغا الخبيثة فيه، ولكن هذا الفعل الخبيث ما شهدناه إلا من بعض أهل فاس القاطنين بهذه البلدة المراكشية، وقد صارت هذه الغشبة الخبيثة اليهودية ديدن غالبهم ولا يسلم منها إلا النادر، بل جل علمائهم فضلاً عن عامتهم يرتكب هذا الفعل الخبيث، وهو منكر غليظ دليل على خراب باطن صاحبه: أنظر فى هذا الموضوع كتابنا [الكشف والتبيان، عن حال أهل الزمان].

ومن عيوبهم البصاق والامتخاط فى المسجد وهذا أحد المناكر الفظيعة.

ومن بدعهم وضع السراويل النجسة بالمنى أو البول فى المسجد وهو حرام، وذلك إذا كانت سراويل الرجل متنجسة بما ذكرنا يتزعها بجواره ويصلى، وقد نص الفقهاء على حرمة ذلك، وكذا كل لباس ما عدا النعل.

ومن عيوبهم القبيحة اتخاذ بعض المساجد مكتباً لتعليم الأطفال كتاب الله، ولا يخفى أن الأطفال قد يدخلون المراحيض ويخرجون منها حفاة، ثم يدخلون المسجد من غير غسل أرجلهم، والإمام مع كونه ينتسب إلى العلم لا ينهأهم عن ذلك، وكان في إمكانه أن يتخذ داراً أو محلاً خاصاً لتعليمهم غير بيت الله، والله يقول (في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه) ومعنى ترفع تطهر من النجاسات وتتقدس من كل ما ليس من أمر الدين في شيء.

ومن مثالبهم تصرفهم في حصر المسجد، وذلك متى كان لأحدهم جنازة أخذ من حصره ما تحصل له به الكفاية، وهذا لا يجوز خصوصاً وأنهم يلوثون فرش المسجد بأرجلهم وما يتناولون من مأكلاً ومشروباً.

وربما أخذ المؤذن حصر المسجد ففرشها لضيوفه أو أتى بها لقضاء مصلحة عليها خاصة، إذا كان من أصحاب المسجد، وكل ذلك أصله الجهل بالدين وخروج التقوى من الصدور.

وبالجملية فالمنكر التي يرتكبها المؤذنون اليوم في المساجد وخارجها شيء كثير، ومن أعظمها تعاطيهم لأشياء تقذح في مروءتهم. منها استنشاق تبغاً وشرب الدخان والتلصص وارتكاب بعضهم المحرمات، وأكل الحشيشة والأفيون وغير ذلك.

ومن مثالب أهل الوقت اتخاذ المساجد دوراً للتحدث بالدنيا فيجعلونها مجالس الكلام الدنيوى فترى خاصتهم وعامتهم يتذاكرون في متاجرهم ومزارعهم وأحوالهم الخارجة عما بنيت له المساجد، وهى إنما بنيت لذكر الله، وقد ورد "إذا تكلم الرجل فى المسجد قالت له الملائكة اسكت يا ولى الله: فإذا تكلم ثانياً قالت له اسكت يا عدو الله، فإذا تكلم ثالثاً قالت له

اسكت عليك لعنة الله" وروى البيهقي عن الحسن البصري مرسلًا أن رسول الله ﷺ قال: "يأتي على الناس زمان يكون حديثهم في مساجدهم في أمر دنياهم فلا تجالسوهم فليس لله فيهم حاجة".

ومن متالبهم اتخاذ المسجد موضع حفلاتهم في ليالي الشيوخ التي يقيمونها للأولياء أو لقراءة المرآة النبوي، ويأكلون ويشربون داخله، وربما حضر النساء في ذلك، ويتسع إذ ذاك الفساد، ويدخل الصبيان حفاة والشبان والكهول الذين لا دين لهم، لأجل الأكل والشرب حتى يكون المسجد كأنه مرحاض أو أحد القهاوى الوقتية، وربما عمروا هذا المجلس بالانشادات ومزجها بنينى نينى وأنا وأنا وأنا، ويدعون أنهم سلكوا طريق أهل الله، والطريق منهم براء. إذ هى العمل بالشرعية ومن زاغ عن الشرع فهو مطرود، وربما زاد هذا المدعى للمشيخة بالزور والبهتان فى هذا المجلس الرقص والشطح المزوج بقصائد العشق وما فيه من ذكر الصراحة بأوصاف زينب وسعدى مثلاً والتصريح بالصدر والنهد وحوار العيون وتكحيلها والمعصم وغير ذلك من التصريحات التى يبعث الشيطان بها بواعثه. وكم كان من مثل هذا فى المسجد الأعظم اليوسفى إلى أن طهره الله على يد بعض ولاة الوقت.

فيا للعجب من جهل الجاهلين، وسكوت العالمين بينهم ولقد أصبح جل الناس اليوم لا يفرق بين الضلال والهدى، وكل ذلك من غرابة الإسلام.

لم يكن فى الحسبان ما وصلت إليه حالة مساجدنا من الانهماك والتلاعب بحرماتها وعدم صيانتها من عبث العابثين، ومن اطلع اليوم على ما يقع فيها صباحًا مساءً، ليلاً نهاراً: من المخازى التى يحمر منها وجه الإنسانية خجلاً. أصبح يقلب كفيه على ما آلت إليه معابدنا من الإهمال المشين حتى

إنها صارت مأوى للسكيرين الذين كتب الله عليهم الشقاوة فواصلوا بياض نهارهم بسواد ليلهم، لا ينفكون عن معاقرة بنت الحان، وعندما تدب الخمرة فى أدمغتهم المجوفة دبيها يأوون إلى المساجد، ولا رادع يردعهم ويمنعهم من الدخول إلى بيوت الله.

فكأننا لم نكن من أمة القرآن، ولم نكن من الذين أمروا أن يأمر بالمعروف وينهوا عن المنكر. إنا لله وإنا إليه راجعون، ربنا لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا.

دخلت مسجداً لأداء فريضة يوماً فألفيت به سكيراً واقفاً كالخطيب يعرّب ويمطر على المصلين وابل الشتائم: الأمر الذى ترتعد له الفرائص وتشتمئز منه الأنفس فلم أتمالك إلى أن دنوت منه ودفعته دفعة قوية أوقعته على الأرض مستلقياً على قفاه، فتقدمت إليه وسحبته إلى خارج المسجد، فما كان منه إلا أن قام وأخذ ينهال على بالسياب. شأن كل سكير ضل عقله وغاب رشده، وجعلت الألفه وأذكره بأن شرب الخمر حرام، ولا يجوز له أن يقرب المسجد حتى يصحو ويثوب إليه رشده.

ولكن ما الحيلة؟ كيف يعى لكلامى فاقد العقل، ومن أين له أن يذكر، وأنى له الذكرى؟ فذهب كلامى معه أدراج الرياح.

أطرق رأسه وبعد تفكير عميق أجابنى قائلاً لم دفعتنى وطرحتنى على الأرض ثم سحبتنى وأخرجتنى من المسجد إلى الزقاق، أما تعلم أننى عضو فى هذا المسجد؟ أو ما علمت أننى حزاب موظف مع هؤلاء الذين يقرأون القرآن به صباح مساء، وعندما سمعت منه هاته الكلمات الآخرة أخذ منى العجب مأخذه، وقلت فى نفسى يا الله العجب من أناس يسندون الوظائف

الدينية للذين لا يعرفون لها معنى ولا يقيمون لها وزناً لا يفرقون بين الحانة وبين الجامع، لبئس ما كانوا يفعلون (فى سوت أذن الله ترفع ويذكر فيها اسمه) يعربد السكيرون ويشوشون على المصلين صلواتهم ويمنعونهم من الدخول إليها (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها) أليس هذا من عجائب الزمان، أليس فى هذا إهانة لبيوت الله، والنبي ﷺ يقول "أهان الله قوما أهانوا مساجدهم" فأى إهانة أعظم من هاته: فتسلقت أنظار رؤساء الجمعية الدينية إلى أمثال هذه المناكر التى أصبحت من أكبر المضرات على الدين الحنيف: إذ المسئولية ملقاة على كواهلهم المسئولون عن ذلك.

وبينما نحن فى هذه المسامرة البديعة الشكل البعيدة المرمى، ذات المصلحة العامة شرقاً وغرباً، التى صار يلقيها علينا فضيلة الشيخ عبد الباسط، كان الله له ورضى عنه، وكثر أمواله فى الأمة المحمدية، إذ حان وقت صلاة المغرب فأدينها واشتغل كل منا بورده على مقتضى ما جاءت به السنة المحمدية.

ولا يخفى على كل عاقل أن الاعتناء بالورد يخرج العبد من عالم الحيوانية ويحقق له كمال الإنسانية، ولا يترك الورد الذى رغبت فيه السنة المحمدية إلا سفلة الناس وسقاطهم، ومن لا عقل له ولا ديانة ولا مروءة له ولا خلق.

والورد عبارة عن ذكر الله تعالى بنحو تهليل وتسييح وتحميد وصلاة على مولانا رسول الله ﷺ، والاعتناء بالورد الذى أمر به الشارع ﷺ من علامة السعادة الأبدية، والإعراض عنه أو نسيانه فى جل الأوقات لكل خسارة

ورزية، وحسب تاركه قول الله تعالى (ومن يغش عن ذكر الرحمن نفيض له شيطاننا فهو له قرين) أى من أعرض عن ذكر الله سلط الله عليه شيطاننا لا يفارقه ويزين له العمى، ويخيل إليه أنه على الهدى، وفى الصحيحين عن أبى موسى الأشعري (رضى الله عنه). قال: قال رسول الله ﷺ "مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكر ربه كمثل الحى والميت".

وبالجملة فقد ذهب الذاكرون لله بخيرى الدنيا والآخرة فعليك به، وانظر فى هذا الموضوع: كتابنا العظيم الموقع، الغريب فى بابه. [الورد العام، لجميع طوائف الإسلام]: تر العجب، والله الموفق.

وبعد فراغ كل منا من ورده على حسب ما سمح به الوقت استحضر لنا الفقيه أبو عبد الله المذكور الذى نحن بمنزلة طعاماً حسناً خفيفاً، وبعده تناولنا كئوس الشاى.

الكلام على بقية المناكر

وفى هذه الحالة التفت رب المنزل المذكور إلى الشيخ عبد الهادى وقال له أريد من سيادتك أن تستعطف فضيلة محبنا الشيخ عبد الباسط أن يتم لنا الكلام على العوائد والمناكر الوقتية، المتعلقة بالأحكام الدينية فقال الشيخ أجل، ونحن أحوج منك إلى سماع هذا منه.

فالتفت إلى عبد الباسط وقال له: ما قولك فى مثالب أهل هذه الحضرة فى الطهارات. قال عبد الباسط: الخرق الآن قد اتسع ولندكر ما شاهدته فيها: من ذلك الاستبراء، وهو اليوم صار لا يعرف عند غالب الناس، وكاد أن يعمهم التخلق بأخلاق الأورويين واليهود فترى الرجل يبول ويستنجى دفعة واحدة بمرأى من الناس كأنه لا يجب عليه استبراء، ولم يدر أن صلاته

تلك باطلة، والأمر لله (فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور)، ومنهم من يستبرئ بيمينه كما رأيتُه بعني ثم بعد ذلك يمسح يده بحائط، ويصير بعد ذلك يتناول بها ما شاء من مس ثياب وأكل ومصافحة وغيرها.

ومن أغرب ما يسمع أن بعض من له مسكة في العلم استبرأ بيده اليمنى واليسرى أخذ بها طرف سرواله ثم مسحها بالحائط وأراد أن يضافحني بها لكوني فاجأته بالوقوف بين يديه، ولا علم لي سابقاً بما كان. فقلت له تصافحني ويدك ملطخة بالبول. فقال ألم يكف في ذلك مسحها بالحائط، وأمثال هذا كثير، واستوى فيه العالم والجاهل والكبير والصغير، ومن أعجب ما يحكى في هذا الموضوع: أن الكثير من الناس اليوم خصوصاً الفراعنة ممن قد اتخذ سروالا روميا لا يمكنه حالة قضاء الحاجة أن ينسلخ منه كهذه السراويل العربية، وإنما بوسطه ثقب، فإذا دعت الضرورة لا راقه البول أخرج ذكره منه، وبعد فراغه أغلقه باستبراء أو بدونه اقتداء بالنصارى واليهود في كون البول عندهما ليس بنجس، وربما استبرأ بعضهم واستنجى بالماء على ذلك الحال، ولكن فإنه الاحتياط من سريان البول إلى ثيابه، وبالضرورة يصلها حالة الاستبراء أو حالة الاستنجاء بالماء.

ومن مثالبهم أنهم يستنجون من ميضأة واحدة، وهذا يرى عورة هذا، وهذا يرى عورة هذا، وربما كشف عورته والناس يتوضأون وربما بال عندها، وقد يكون كل من على الميضأة أو جلهم مكشوفى العورة المغلظة ينظر بعضاً، والأمر لله.

وقد بلغنا فى النصيحة كثيراً، ولكن صاحب النفس الشيطانية يرى الباطل حقاً، والضلالة هدى.

ومن ذلك أيضاً كثرة الفيران وموتها في الماء، نراها تسكن المرحاض فتدخل وتخرج في الحياض الصغيرة التي داخل المرحاض للاستنجاء وتدخل النجاسة في أرجلها والمصلون يجدون العذرة في الماء: بل وكثيراً ما تتغير الميضة فيكشف عنها فإذا فيها فأرميت، وقد تغيرت رائحتها.

وتالله لقد توضع الكثيرون وصلوا ولم يعبدوا صلاتهم، كل ذلك لركة الديانة ولم يتخذ المصلون الاحتياطات اللازمة، وقد قال ﷺ "الماء طهور إلا ما غلب على ريحه أو طعمه" رواه الدارقطني عن ثوبان، وفي حديث آخر "حلق الماء طهوراً لا ينجسه إلا ما غير لونه أو طعمه أو ريحه"

ولو رأيتهم على الأنهار عراة يقتحمونها عراة في غيظانهم عراة في اغتسالهم لعلمت حق العلم أن الساعة قريب، ولقد عرفنا من طريق الخبرة أن هؤلاء لم يبارك الله لهم في أرزاقهم، وفي الحديث "أن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه".

ومن مثالبهم عدم تحريمهم في الاستبراء من البول من البول مع أنه واجب شرطاً بلا كلام، وقد ورد في الحديث "تزهوا من البول فإن عامة عذاب القبر منه" رواه الدارقطني عن أنس، وفي صحيح الإمام البخاري عن ابن عباس قال: "مر النبي ﷺ بقبرين فقال أنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير. أما إحداهما فكان لا يستبرئ من بوله. وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة" وهو معنى ما رواه مسلم عن الأعمش. فقال [لا يستبرئه] ولابن عباس عساكر [لا يستبرئ]، وقوله [وما يعذبان في كبير] المراد تصغير ذات الفعل لا تصغير الذنب، 'ذهما من الكبائر، وقد نص الفقهاء على بطلان صلاة المهمل في الاستبراء حيث يصلى بالنجاسة.

وما وقع فيه أكثرهم فأفسدوا صلاته أن يبول فمتى انقطع البول استنجى وقام وفي قصبة الذكر شيء تخلف من البول قد ينزل بعد ما توضأ فيفسد وضوءه وهو لا يشعر، فتكون صلاته باطلة لأمرين: بطلان وضوئه ونجاسة ما أصابه من ثوب أو بدن فيكون من جملة تاركى الصلاة، وهو يظن أنه من المصلين ويعذب في قبره إلى يوم الدين.

إذن فلتعلم أن الواجب عليك الاعتناء بالطهارة والأداء وملاحظة ما طلب منك الشرع من قبل الصلاة شرطاً أو ركناً أو أقل من ذلك سنة أو مستحباً فلأن يرفع عملك إلى الله كاملاً خير لك من أن تدعه ناقصاً. فقد كان السلف الصالح يدققون في العمل ويتقنون ويخافون، وهم يفعلون ما يؤمرون.

ونحن اليوم على العكس مقصرون وعلى الشفاعة والمغفرة متوكلون، فنحن وسلفنا الصالح متباينون.

إذا علمت هذا فالاستبراء اليوم صار لا يعرف عند غالب الناس، وكاد أن يعمهم التخلق بأخلاق الأوروبيين واليهود حسبما قدمنا.

مثالب الحمامات

ومن مثالبهم دخولهم الحمامات جماعات للاغتسال مكشوفى العورة ينظر بعضهم عورة بعض ويستقبحون السترة، وقد ورد عن سيد الخلق ﷺ أنه قال "لعن الله الناظر والمنظور إليه"، وجاء عن عائشة رضی الله عنها أنها قالت: "كنت أنا ورسول الله ﷺ نغتسل من إناء واحد ما رأى منى ولا رأيت منه" فانظر رحمك الله ما وقع مع النبي ﷺ وزجه، مع أن الله يقول: (هن لباس لكم وأنتم لباس لهن) والأمر لله.

لقد فشا الجهل فشواً عظيماً حتى أداهم إلى هذا الحال الذى يتتزه عنه أعداء الدين، ولا مفهوم للرجال فى هذا بل الرجال والنساء فى هذه المثلبة سواء فكما أن الرجال يغتسلون مكشوفى العورة ينظر بعضهم عورة بعض، كذلك النساء اليوم يغتسلن مكشوفات العورة ينظر بعضهن عورة بعض، مع أن المرأة مع المرأة فى ذلك كالرجل مع الرجل سواء بسواء، ما لم تكن المرأة ذات سحاق فنظها حتى إلى زوجها حرام.

مثالب الأذان

ومن مثالبهم فى الأذان طلوع المؤذن إلى المنارة بقصد التغنى لا غير: وكثيراً ما يقع هذا فى أذان يوم الجمعة فيروح ويجيء بالتنميط والتغنى والتقطيع فى الصوت، لا يهमे إلا أن يقال أن فلان يعرف الأذان المشرقى، وله صوت حسن، ومنهم من يغنى بالتكبير والتسميعة بطريقة المغنيين.

ولا يخفى ما فى هذا من الأمور الخارجة عن الشرع التى حق لمرتكبها أن يزجر بأنواع من الزجر.

مثالب الصلاة

فقال له الشيخ عبد الهادى اذكر لنا منابر الصلاة ومساوئها بأرضكم هذه. فقال عبد الباسط: لقد شاهدت للصلاة من المثالب والعيوب هذه. فقال عبد الباسط: لقد شاهدت للصلاة من المثالب والعيوب ما لا يكاد يمكن حصره، ولكن نذكر منها البعض على حسب ما يقتضيه المقام.

فمن مثالبها إخراجها عن وقتها، وهذا أمر لم يتخلف عنه فى بلادنا عالم ولا جاهل إلا ما قل ونذر.

ولقد تساهل الناس فى شأنها حتى أخرجوا الصبح لآخر النهار والظهيرين والعشاءين لآخر الليل، مع أن تأخيرها عندنا من الكبائر، وفى الحديث " من جمع بين الصلاتين من غير عذر، فقد أتى باباً من أبواب الكبائر " رواه الترمذى والحاكم عن ابن عباس .

والأعذار عند السادة المالكية رضوان الله عليهم عشرة: الصبا، والجنون، والكفر، والإغماء، والسكر، والنوم، والغفلة، والحيض، والنفاس، وفقد الطهورين .

فليس من أعذارك أيها المؤمن زرع ولا جمع ولا متجر ولا مرض . قال العلماء (رضى الله عنهم): من كان على أشد حالة من المرض ولو أشرف على الموت، وهو فى عقله وأخرها لقى الله عاصياً . وقد يسر الله الأمر ولم يحرجنا كما هو شأن الحنفية السمحاء، من فقد الماء أو لم يقدر على استعماله لمرض فليتم، وكذا من خاف خروج الوقت بالغسل بحيث لو اغتسل من غير تراخ طلعت الشمس فعندنا يتيمم ويصلى ثم يغتسل، وكذلك إذا خاف خروج الوقت بالوضوء ينتقل إلى التيمم، ومن لم يستطع القيام فى الصلاة استقللاً أدى استناداً والأصلى جلوساً وإلا فاضطجاعاً كما هو مقرر فى محله عند الفقهاء .

فما بال المؤمن يؤخرها لجلسة الفاسق ويقول فى اعتذاره الكاذب: حبستنى الضيف، حبستنى العمل، حبستنى خدمة شيخى، حبستنى خدمة الأولاد، وكذا وكذا من وجوه الأباطيل المتخلق بها غالب أهل الوقت .

حكم تأخير الصلاة عن وقتها

فالتفت أبو عبد الله إلى الشيخ عبد الهادي. وقال يا سيدي أحب منك أن تبسط لنا الكلام على هذا الموضوع وتذكر لنا حكم خروج الصلاة عن وقتها بأبسط مما ذكره عبد الباسط فأنت أدري بهذا من غيرك.

فقال عبد الهادي: قال الله تعالى في كتابه العزيز (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا).

قال الصحابي الجليل ابن مسعود (رضي الله عنه) ليس معنى أضاعوها تركوها بالكلية، ولكن أخروها عن وقتها. قال إمام التابعين سعيد ابن المسيب، هو أن لا يصلى الظهر حتى يأتى العصر، ولا يصلى العصر إلى المغرب، ولا يصلى المغرب إلى العشاء، ولا يصلى العشاء إلى الفجر، ولا يصلى الفجر إلى طلوع الشمس.

فمن مات وهو مصر على هذه الحالة ولم يتب أوعدده الله بغى، وهو واد في جهنم بعيد قهره شديد عقابه، وقال تعالى (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) قال ﷺ: "هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها، وورد في الحديث عنه ﷺ أنه قال "من ترك صلاة حتى مضى وقتها عذب في النار حقباً، والحقب ثمانون سنة كل سنة ثلاثمائة وستون يوماً كل يوم ألف سنة مما تعدون"، وهذا الحديث أخرجه صاحب روح البيان في تفسيره. هذا حكم تأخير الصلاة عن وقتها، فكيف حال من تركها بالكلية؟ وحسبك أنه كافر.

وقال شيخ الإسلام شمس الدين ابن القيم الجوزية في كتاب الصلاة: وأحكام تاركها ما نصه: وأما الصورة الثانية، وهى ما إذا ترك الصلاة عمداً

حتى خرج وقتها، فهي مسألة عظيمة تنازع فيها الناس، هل ينفعه القضاء ويقبل منه أم لا ينفعه، ولا سبيل له إلى استدراكها أبداً؟ .

فقال أبو حنيفة والشافعي وأحمد ومالك يجب عليه قضاؤها ولا يذهب القضاء عنه إثم التفويت، بل هو مستحق للعقوبة إلى أن يعفو الله عنه .

وقالت طائفة من السلف والخلف من تعمد تأخير الصلاة عن وقتها من غير عذر يجوز له التأخير، فهذا لا سبيل له إلى استدراكها ولا يقدر على قضائها أبداً ولا يقبل منه، ولا نزاع بينهم أن التوبة النصوح تنفعه ولكن هل من تمام توبته قضاء تلك الفوائت التي تعمد تركها، فلا تصح التوبة بدون قضائها أم لا تتوقف التوبة على القضاء؟ فيحافظ عليها في المستقبل ويستكثر من التوافل . وقد تعذر عليه استدراك ما مضى، هذا محل الخلاف .

ونحن نذكر حجج الفريقين . قال الموجبون للقضاء لما أمر النبي ﷺ النائم والناسى بالقضاء، وهما معذوران غير مفرطين فيوجب القضاء على المفرط العاصي أولى وأخرى، فلو كانت الصلاة لا تصح إلا في وقتها لم تنفع قضاؤها بعد الوقت في حق النائم والناسى . قالوا وقد صلى الله عليه العصر بعد المغرب يوم الخندق هو وأصحابه .

ومعلوم قطعاً أنهم لم يكونوا نائمين ولا ساهين عنها، ولو اتفق النسيان لبعضهم لم يتفق للجميع . قالوا: وكيف يكون المفرط بالتأخير أحسن حالا من المعذور؟ فيخفف عن المفرط ويشدد على المعذور . قالوا وإنما أنام الله سبحانه وتعالى رسوله والصحابة ليبين للأمة حكم من فاتته الصلاة، وأنها لا تسقط عنه بالتفويت بل يتدراكها فيما بعد . قالوا: وقد أمر النبي ﷺ من أفطر بالجماع في رمضان ناسياً أن يقضى يوماً مكانه . قالوا: والقياس يقتضى

وجوب القضاء، فإن الأمر متوجه على المكلف بفعل العبادة في وقتها فإذا فرط في الوقت، وتركه لم يكن ذلك مسقطاً لفعل العبادة عنه.

قال الآخرون: أوامر الرب تبارك وتعالى نوعان: نوع مطلق غير موقت، فهذا يفعل في كل وقت، ونوع موقت بوقت محدود، وهو نوعان: أحدهما ما وقته بقدر فعله كالصيام.

والثاني ما وقته أوسع من فعله كالصلاة، وهذا القسم فعله في وقته شرط في كونه عبادة مأموراً بها، فإنه إنما أمر به على الصفة فلا تكون عبادة على غيرها، قالوا فما أمر الله به في الوقت فتركه المأمور حتى فات وقته، لم يمكن فعله بعد الوقت شرعاً، وإن أمكن حسابه بل لا يمكن حسابه أيضاً، فإن إتيانه بعد الوقت أمر غير المشروع. قالوا ولهذا لا يمكن فعل الجمعة بعد خروج وقتها. ولا الوقوف بعرفة بعد وقته. قالوا ولا مشروع إلا ما شرعه الله ورسوله، وهو سبحانه ما شرع فعمل الصلاة، والصيام والحج إلا في أوقات مختصة به، فإذا فاتت تلك الأوقات لم تكن مشروعة، ولم يشرع الله سبحانه فعل الجمعة يوم السبت، ولا الوقوف بعرفة في اليوم العاشر ولا الحج في غير أشهره.

وقد أطال هنا الكلام هذه الفرقة إلى أن قال حاكياً عنها: فتقول لمن قال أنه يستدركها بالقضاء أخبرنا عن هذه الصلاة التي تأمر بفعلها هي التي أمر الله أم هي غيرها؟ فإن قال هي بعينها، قيل له فالعأمد بتركها حينئذ ليس عاصياً لأنه قد فعل ما أمر الله به بعينه، فلا يلحقه الإثم والملامة، وهذا باطل قطعاً.

وإن قال ليست هي التي أمر الله بها، قيل له فهذا من أعظم حججنا عليك إذا ساعدت أن هذه غير مأمور بها.

ثم نقول أيضاً ما تقولون فيمن تعمد تفويتها حتى خرج وقتها، ثم صلاها أ طاعة صلاته تلك أم معصية؟ فإن قالوا صلاته طاعة وهو مطيع بها خالفوا الإجماع والقرآن والسنة الثابتة، وإن قالوا هي معصية قيل فكيف يتقرب إلى الله بالمعصية، وكيف تنوب المعصية عن الطاعة.

فإن قلتم هو مطيع بفعلها عاص بتأخيرها، وهو أنه إنما تقرب بالفعل الذي هو طاعة، لا بالتفويت الذي هو معصية.

قيل لكم الطاعة هي موافقة الأمر وامتناله على الوجه الذي أمر به فأين أمر الله ورسوله ممن تعمد تفويت الصلاة بفعلها بعد خروج وقتها حتى يكون مطيعاً له بذلك، فلو ثبت ذلك لكان فاصلاً للنزاع في المسألة.

قالوا وأيضاً فغير أوقات العبادة لا يقبل تلك العبادة بوجه كما أن الليل لا يقبل الصيام، وغير أشهر الحج لا يقبل الحج، وغير وقت الجمعة لا يقبل الجمعة.

فأى فرق بين من قال أنا أفطر النهار وأصوم الليل، أو قال: أنا أفطر رمضان في هذا الحر الشديد، وأصوم مكانه شهراً مكانه شهراً في الربيع، أو قال أنا أؤخر الحج من شهره إلى المحرم، أو قال أنا أصلى الجمعة بعد العشاء الآخرة أو أصلى العيدين في وسط الشهر، وبين من قال أنا أؤخر صلاة النهار إلى الليل وصلاة الليل إلى النهار، فهل يمكن أحداً قط أن يفرق بين ذلك.

قالوا وقد جعل الله سبحانه للعبادات أمكنة وأزمته وصفات فلا ينوب مكان عن المكان الذي جعله الله مكاناً ميقاناً لها كعرفة ومزدلفة ومنى ومواضع الجمار والمبيت والصفاء والمروة، ولا تنوب صفة من صفاتها التي

أوجبها الله عليها عن صفة، فكيف ينوب زمان عن زمانها الذي أوجبها الله فيه .

قالوا وقد دل النص الإجماع على أن من أخر الصلاة عن وقتها عمداً أنها قد فاتته كما قال النبي ﷺ " من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله " وما فات فلا سبيل إلى إدراكه ألبتة، ولو أمكن أن يدرك لما سمي فائتاً وهذا مما لا شك فيه لغة وعرفاً، وكذلك هو في الشرع . وقد قال النبي ﷺ " لا يفوت الحج حتى يطلع الفجر من يوم عرفة " أفلا تراه جعله فائتاً بفوات وقته لما لم يمكن أن يدرك في يوم بعد ذلك اليوم، وهذا بخلاف المنسية، والتي نام عنها، فإنها لا تسمى فائتة، ولهذا لم تدخل في قوله " الذي تفوته صلاة العصر، فكأنما وتر أهله وماله " .

قالوا: والأمة مجمعة على أن من ترك الصلاة عمداً حتى يخرج وقتها فقد فاتته، ولو قبلت منه وصحت بعد الوقت لكان تسميتها بذلك لغواً وباطلاً وكيف يفوت ما يدرك؟

قالوا: وكما أنه لا سبيل إلى استدراك الوقت الفائت أبداً، فلا سبيل إلى استدراك فرضه ووصفه .

قالوا وهذا معنى قوله ﷺ في الحديث الذي رواه أحمد وغيره " من أفطر يوماً من رمضان من غير عذر لم يقضه عنه صيام الدهر " فأين هذا من قولكم يقضيه عنه صيام يوم من أى شهر أراد؟

قالوا: وقد أمر الله سبحانه المسلمين حال مواجهة عدوهم أن يصلوا صلاة الخوف، فيقصرون من أركانها ويفعلون فيها الأفعال الكثيرة، ويستدبرون فيها القبلة، ويسلمون قبل الإمام، بل يصلون رجالاً وركباناً حتى

لو لم يمكنهم إلا الإيماء أتوا به على دوابهم إلى غير القبلة في وقتها، ولو قبلت منهم في غير وقتها وصحت، لجاز لهم تأخيرها إلى وقت الأمن وأمكن الإتيان بها.

وهذا يدل على أنها بعد خروج وقتها لا تكون جائزة ولا منقولة منهم مع هذا العذر الذي أصابهم في سبيله وجهاد أعدائه، فكيف نقبل وتصح من صحيح مقيم لا عذر له ألبتة وهو يسمع داعي الله جهرة فيدعها حتى يخرج وقتها ثم يصلها في غير الوقت.

وكذلك لم يسمح في تأخيرها عن وقتها للمريض بل أمره الشارع أن يصل على جنبه بغير قيام ولا ركوع ولا سجود، وإذا عجز عن ذلك ولو كانت تقبل منه، وتصبح في غير وقتها لجاز تأخيرها إلى زمن الصحة.

فأخبرونا أى كتاب أو سنة أو أثر عن صحابى نطق بأن من أخر الصلاة وفوتها عن وقتها الذى أمر الله بإيقاعها فيه عمداً يقبلها الله منه بعد خروج وقتها، وتصبح منه وتبرأ ذمته منها، ويثاب عليها ثواب من أدى فريضة في وقتها.

هذا والله ما لا سبيل لكم إليه ألبتة حتى تقوم الساعة انتهى منه باللفظ والحرف.

فاعلم هذا المذهب واعمل عليه فإنه الحق المبين والصراط المستقيم.

حكم أكل أموال الظلمة ونحوهم

ثم قال الشيخ عبد الهادى بعد هذا. وقد سئل الإمام مالك (رضى الله عنه) عن أموال أهل الظلم والحراية والتعدى وتارك الصلاة هل يؤكل أم لا؟.

فأجاب أن أموالهم حلال تؤكل بالسرقة والغضب

وروى عن علي (رضي الله عنه) أنه قال: كلوا أموالهم بقدر طاقتكم عليها بالإيجاب والقهر وإلا فبالسرقة. فوال ابن القاسم وابن وهب وسحنون: أن ترك أحد الفرائض من غير عذر تؤكل أمواله شرعاً ويتل بعد المطالبة أن امتنع، قال الباجي وابن شاس: تؤكل أموال أهل الحرابة بإذن الإمام وبغير إذنه: انظر هذا الموضوع في منتخب الأحكام، وفي المعيار، وفي ابن يونس.

ولما انتهى الدرس إلى هنا، قال عبد الله المراكشي للشيخ عبد الهادي جزاك الله عن الإسلام والمسلمين خيراً، فمثلك من يعظ عامة المسلمين وخاصتهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم وينشر فيهم الأوامر القرآنية.

مثالب الصلاة

ثم قال الشيخ عبد الهادي لعبد الباسط: أتمم لنا تلك العوائد والبدع فقال عبد الباسط: ومن عوائد غالب أهل زماننا هذا ترك الصلاة بالمرة، ولا أظن أنه كسل منهم: بل اعتقاد أنها ليست من الدين، ولربما سخروا من فاعليها وهزئوا به، ولا سيما من تخرج من هذه المدارس الوقتية ودرس كتب الفلسفة: فإنه أشد سخطاً على المصلين، وأسرع تجاهراً بعداوته للدين.

ومن بدعهم نقر الصلاة نقراً، لا يتمون حركاتها ولا سكناتها، وذلك مبطل لفعلها، ففي صحيح الإمام البخاري عن أبي وائل عن حذيفة "أنه رأى رجلاً لا يتم ركوعه ولا سجوده، فلما قضى صلاته. قال له حذيفة ما صليت" قال: أي الراوي أبو وائل وأحسبه قال "ولو مت على غير سنة محمد ﷺ"، وفيه أيضاً عن أبي هريرة (رضي الله عنه) "أن النبي ﷺ دخل

المسجد فدخل رجل فصلى . ثم جاء فسلم على النبي ﷺ فرد النبي ﷺ السلام: فقال ارجع فصل فإنك لم تصل، فصلى: ثم جاء فسلم على النبي ﷺ فقال ارجع فصل، إنك لم تصل ثلاثاً. فقال: والذي بعثك بالحق ما أحسن غيره فعلمنى . فقال: إذا قمت إلى الصلاة فكبر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن. ثم اركع حتى تطمئن راکعاً، ثم ارفع حتى تعتدل قائماً. ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم ارفع حتى تطمئن جالسا، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم افعل ذلك فى صلاتك كلها" ، وروى أبو القاسم الأصبهاني عن أبي هريرة (رضى الله عنه) عن النبي ﷺ قال "إن الرجل ليصلى ستين سنة وما تقبل له صلاة: لعله يتم الركوع ولا يتم السجود ويتم السجود ولا يتم الركوع" . والطمأنينة وهى استقرار الأعضاء فرض عند الفقهاء من أئمتها من أئمتها المالكية، من تركها بطلت صلاته .

قال الإمام ابن الجوزى: فى تلبس إبليس: ما نصه، وقد لبس إبليس على جمهور العوام بالجرىان مع العادات، وذلك أكثر أسباب هلاكهم .
فمن ذلك أنهم يقلدون الآباء والأسلاف فى اعتقادهم على ما نشئوا عليه من العادة: فترى الرجل منهم يعيش خمسين سنة على ما كان عليه أبوه، ولا ينظر أكان على صواب أم على خطأ؟ .

ومن هذا تقليد اليهود والنصارى والجاهلية أسلافهم، وكذلك المسلمون يجرون فى صلاتهم وعباداتهم مع العادة: فترى الرجل يعيش ستين سنة يصلى على صورة ما رأى الناس يصلون، ولعله لا يقيم الفاتحة ولا يدرى ما الواجبات، ولا يسهل عليه أن يعرف ذلك هونا بالدين، ولو أنه أراد تجارة لسأل قبل سفره عما ينفق فى ذلك البلد. ثم ترى أحدهم يركع قبل الإمام،

ويسجد قبل الإمام، ولا يعلم أنه إذا ركع قبله فقد خالفه في ركن: فإذا رفع قبله فقد خالفه في ركعتين فبطلت صلاته.

وقد رأيت جماعة يسلمون عند تسليم الإمام، وقد بقى عليهم من التشهد الواجب شيء، وذلك أمر لا يحمله الإمام فتكون صلاتهم باطلة، وربما ترك أحدهم فريضة وزاد نافلة، وربما أهمل غسل بعض العضو كالعقب، وربما كان في يده خاتم قد حصر الإصبع فلا يديره وقت الوضوء، ولا يصل الماء إلى ما تحته فلا يصح وضوؤه اهـ.

وعدم إتمام هؤلاء للركوع والسجود وقلة الطمأنينة في جميع الأركان أحد الوجوه التي عمت بها بليتهم، وعظمت منها خطيئاتهم وأفسدت عليهم الصلاة وأحلت عليهم غضب الله.

وها أنت ترى غالبهم ينقر صلاته نقر الغراب فتكون صلاته فاسدة مع ما يترتب عليها من الوزر. قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " لا ينظر الله إلى عبد يوم القيامة لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده". وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " شر الناس سرقة الذي يسرق من صلاته " أى لا يتم ركوعها ولا سجودها. يصلى الإمام أو الفذ ولا يهمله إلا عدد الركعات لا غير، أما الفاتحة فقول سريع لا ينطبق على القراءة، وأما السورة فكلمة أو كلمتان، ولا يمكننى أن أصف حال الإمام فى سرعته، وهذا غالب حال أئمة المساجد اليوم، ولو شئت أن أقول لك بل كلهم لما قلت زوراً، وفى صحيح الإمام البخارى (رضى الله عنه) " لما اشتكى بعض الأصحاب من طول قراءة معاذ بن جبل حيث صلى بهم العشاء بالبصرة أو النساء أمره رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يخفف وقال له اقرأ بسخ اسم ربك الأعلى، والشمس وضحاها أو الليل إذا يغشى، وقال له أفان أنت يا معاذ"، وقد

ثبت كما فى كشف الغمة أن عمر بن الخطاب طول يوماً فى الصبح القراءة
فما انصرف حتى كادت الشمس تطلع . فقال له المصلون يا أمير المؤمنين تطلع
الشمس . فقال: لو طلعت لم تجدنا غافلين .

فانظر عنايتهم بالدين الذى تهاون به أئمة المساجد اليوم .

ثم إنى لم أمرك بطول يمل الناس إن كنت إماماً بهم ، إذ أنت مأمور من
قبل الرسول بالتخفيف ، ولكن تخفيفاً غير مجحف بحق القراءة والصلاة .
فى الحديث الشريف " إذا صلى أحدكم بالناس فليخفف فإن فىهم الضعيف
والسقيم والكبير ، وإذا صلى أحدكم لنفسه فليطول ما شاء " والتنطع الصادر
من بعض الطوائف اليوم بهذه الحضرة المراكشية مخرج عن العرض المراد ،
ومع كونهم يدعون أنهم مالكيون بل منهم من لا يتقيد بمذهب ، ويدعون
التعبد بالسنة ، ويسبون المقلدين للأئمة .

ومن ذلك استعمالهم للقبض فى الصلاة الفرضية وذكر البسمة جهراً
قبل الفاتحة فى الصلاة الليلية وغير ذلك من مخالفتهم للمذهب المالكي
وهؤلاء فى الحقيقة أعداء المذهب ، وعدو المذهب كاد أن يكون عدواً للدين
من جهة تضليله للإمام بزعمه أنه يعمل بالسنة ، وهى سنة القبض وكذا
وكذا .

قال الإمام الشاطبى فى الاعتصام: حكى عن أحمد بن حنبل ، أنه قال
إذا رأيت الرجل يبغض مالكا . فاعلم أنه مبتدع ، وهذه غاية فى الشهادة
بالاتباع ، وقال أبو داود أخشى عليه البدعة ، يعنى المبتغض لمالك . وقال ابن
مهدي: إذا رأيت الحجازى يحب مالك بن أنس فاعلم أنه صاحب سنة ، وإذا
رأيت أحداً يتناوله فاعلم أنه على خلاف السنة . وقال إبراهيم بن يحيى بن

هشام: ما سمعت أبا داود لعن أحد قط إلا رجلين: أحدهما رجل ذكر أنه لعن مالكا، والآخر بشر المريسي اهـ.

قال إمام المالكية فى وقته: أبو عبد الله الخطاب فى شرحه لمختصر الشيخ خليل نقلا عن ابن سهل. أنه قال: كل من زاغ عن مذهب مالك فإنه ممن رين على قلبه، وزين له سوء عمله، فقد رأيت فى أقاويل الفقهاء ورأيت ما صنف من أخبارهم إلى يومنا هذا فلم أر مذهباً أنقى ولا أبعد من الزيغ من مذهب مالك اهـ منه.

ومن مثالبهم التى هم فيها واقعون عدم إحسانهم لقراءة الفاتحة وعدم مراعاتهم حروفها وتشديدها فتجد أحدهم يخطفها خطفاً ويكاد أن لا يبين منها حرفاً مع أنه متى اختل شرط من شروطها التى من جملتها مراعاة الحروف والتشديدات لم يصح فتبطل الصلاة.

والمشهور من المذهب أن الإمام اللحن لا تصح الصلاة خلفه، قيل مطلقاً فى الفاتحة وغيرها، وقيل فى الفاتحة فقط، ومن اللحن عدم التمييز بين الضاد والطاء، وإلى هذا أشار الشيخ خليل بقوله: وهل بلا حن مطلقاً أو فى الفاتحة وبغير ميم بين ضاد وطاء خلاف.

ومن مثالبهم القبيحة: وهو مما يكثر وقوعه من كثير منهم أن يصلى أحد الناس منفرداً عن الصفوف وحده، وهذا مكروه مفوت لفضيلة الجماعة فلا يحصل لمن فعله من ثوابها إن كان فى أحد الصفوف فرحة وإلا فمعدور، ونقل الفسنى فى تحفة الإخوان ما نصه: روى الترمذى فى نوادر الأصول من حديث عثمان بن مظعون (رضى الله عنه). قال فى آخره "يا عثمان لا ترغب عن ستى فمن رغب عن ستى ثم مات قبل أن يتوب صرفت الملائكة

وجهه عن حوضى يوم القيامة". قال الفسنى: ومن ترك السنة والرغبة عنها كمن يمتنع من تسوية الصفوف والرص فيها. وقد تساهل الناس فى هذه السنة وأماتوها بالكلية، وذلك سبب موت قلوبهم، ووقوع الحسد والحقد والعداوة بينهم كما دلت عليه السنة. نسأل الله تعالى العافية اهـ.

ومما يحصل منهم كثيراً أن يقتل الرجل أو المرأة عند لسع قملة إياه أو برغوئاً وتبقى قشرة المقتول فى ذلك الثوب أو على الظفر أو بين أصابعه حتى يصلى بها، وذلك مبطل للصلاة، ومن حقق النظر فى أحوال الناس اليوم يجد الكثير منهم يصلون صلاة فاسدة بسبب عدم التحرز من النجاسات السارية لهم حتى من المأكولات والمشروبات والملبوسات والمنكوحات فى حركاتهم وسكناتهم وخلواتهم وجلواتهم.

ومما عمت به البلوى، وعظمت بسببه الرزية التى أفسدت صلاتهم، وأحلت على مرتكب ذلك غضب الله انتقالهم للتيمم بلا موجب شرعى، بل ترى الواحد منهم ربما حصل له أذى جرح أو دمل أو جرب ونحو ذلك أو مسه ألم خفيف فى بدنه ينتقل للتيمم. على أن الفقهاء اشترطوا أن لا ينتقل للتيمم إلا بأحد شيئين: الضرر بغسل الصحيح وقلة الصحيح جداً كيد أو رجل، فإذا كان الصحيح من الجسد هو الأكثر فلا يتيمم بحال بل يجعل جسيرة على ذلك العضو الذى به جرح أو دمل ونحوهما، ويمسح عليها. ويجب غسل ما سواها من أعضاء الوضوء: فإن أعرض عما ذكره وانتقل إلى التيمم بطلت صلاته.

ولكن هؤلاء لا يعتبرون الدين، وإنما يعتبرون ما يوافق هواهم ولو أداهم إلى ما فيه غضب الله وسخطه.

ولما كان الواقع هو متابعة الهوى فى كل شىء سلط الله عليهم من لا

يرحمهمز

ومما عمت به البلية أيضاً وفسدت به صلاتهم عدم ستر عورتهم ما بين السرة والركبة فى الصلاة، وذلك ما بين محترم وغير محترم، فالمحترم تراه مشمراً ثوبه حتى تكون ركبته مع فخذه مكشوفة، ويصلى كذلك فتكون صلاته باطلة، وغير المحترم يكون طوقه مفتوحاً أو كمه واسعاً بحيث ترى من أحدهما عورته لغيره ولنفسه إذا ركع: فتبطل صلاته أيضاً، إذ الواجب سترها حتى عن نفسه فى الصلاة، فيجب على من كان محترماً أن يرخى من ثوبه ما يستر ركبته لتحقق ستره فخذه، وإلا لم تصح صلاته، وعلى من كان ذا طوق أو كم مفتوح أن يحتزم، وكذا إذا كان ثوبه مخرقاً من فوق فخذه أو تحت سرتيه أو من ظهره مما يقابل ما تحت السرة بحيث يبدو منه ولو يسيراً من البشرة فلا تصح الصلاة، ولا بد من ستره. ومما وقع فيه النساء من ذلك أن تصلى إحداهن وبعض ساعديها مكشوف أو قدميها، وربما كان لباسها لا يبلغ عقبها فيكون مكشوقاً، وذلك مما لا تصح به الصلاة، إذ جميع بدننها فى الصلاة عورة إلا الوجه والكفين حتى باطن القدمين إذا انكشف شىء منه ولو فى سجودها بطلت صلاحها إلا عند أبى حنيفة (رضى الله عنه).

فلا يغتفر لها عندنا معشر المالكية كشف شىء من البدن مطلقاً، ولو كانت فى خلوة إلا وجهها وكفيها فقط: فإن انكشف شىء من عنقها أو ساعدها أو من عقبها أو بطن قدمها فى أثناء الصلاة بطلت، وإن دخلت فيها وشىء من ذلك مكشوف لم تتعقد رأساً، والساتر إذا كان لا يستر اللون لا يغنى فى الستر شيئاً، ومن لم ينبه زوجته وعياله على ذلك ويحثهن عليه كان

عليه من الإثم ما عليهن في عدم الصلاة، إذ صلاتهن هذه كالعدم فكأنهن لم يصلين .

ومن البلوى التي عمت غالبهم الغفلة عن معاطف البدن فلا يصل إليها ماء الغسل فتبقى جنابتهم على حالها إذ متى بقى ولو قدر الخردلة من البدن لم يصله الماء فالجناية بحالتها، وذلك في الغسل من نحو الكوز أو الإبريق يصب الماء على رأسه فلا يصل إلى صماخي الأذن وما تحت الإبطين ولا تحت الذقن، وربما كان واقفاً ضاماً فخذيه فلا يصل الماء إلى الدبر وما حوله، وكثيراً ما يكون في السرة وسخ منعقد ولو قليلاً يمنع وصول الماء إلى ما تحته فلا بد من تعهد جميع ذلك حتى لا يبقى شيء منه بلا غسل وإلا لم يصح غسله .

ومن المغتسلين في المغاطس والحمامات من يضع إصبعه في أذنيه أو يديه على رأسه مع التحامل ويغطس فلا يصل الماء إلى ما تحتهما . ثم لا يلتفت إلى غسل لك بعد فهو باق على جنابته أيضاً ما لم يغسله .

وجميع ما ذكر في الوضوء والغسل للرجال يجري في النساء، ويزدن بأنه يجب عليهن نقض: أي حل صفائر شعرهن إن لم يصل الماء إليها إلا به وبالاسترخاء يسيراً عند غسل ما تحتها .

ومما ضلوا فيه وحل به عليهم غضب الله تأخير الصلوات عن أوقاتها حسبما قدمنا، فيجمع الواحد منهم الظهر والعصر بل المغرب والعشاء ويصلها جميعاً مرة واحدة مع أن من الكبائر تأخير الصلاة ولو واحدة حتى يخرج وقتها لا عذر شرعي، وقد ورد في الحديث " الصلاة عماد الدين فمن تركها فقد هدم الدين " . وقال صَلَّى " من حافظ على الخمس صلوات بكما

طهورها ومواقيتها كانت له نوراً وبرهاناً يوم القيامة، ومن ضيعها حشر مع فرعون وهامات". وقال ﷺ "من صلى صلاة لوقتها وأسبغ وضوءها وأتم ركوعها وسجودها وخشوعها، عرجت وهي بيضاء مسفرة تقول: حفظك الله كما حفظتني".

ومما وقعوا في ورطته ولم ينتبهوا له أن الرجل منهم يمر على البهائم وهي تبول أو تروث فيصيبه منها شيء ولو قليلا يدرکه البصر فيستخف به ولا يغسله بل يصلى متلوث البدن أو الثوب فتكون صلاته باطلة، وإذا أفضى الأمر إلى غسل نجاسة إن كانت في بدنه غمس عضوه في ماعون وأخرجه مكتفياً بذلك مع أنه قد يبقى شيء فيه، أو في ثوبه صب عليه الماء ثم عصره ولا يفتش فيه مع أنه ربما كانت فيه النجاسة باقية، وهذا من الغفلة الكبرى: إذ بذلك يبقى المحل على نجاسته لا تصح معه صلاة.

فالواجب عليه أن يتفقد النجاسة فإن كانت حكمية لا وصف لها كرشاش بول كفاه تعميم موضعها بالماء، وإن كانت عينية ولها جرم أزاله أو لا يحك أو نحوه ثم صب عليه ما يغمرها من الماء فإن زالت به فقد طهر وإلا أن بقي أعاد الغسل واستعان بالحك والصابون فإن زال وإلا عفى عنه.

ومما عمت به البلوى في الوضوء: أن لا يستوعب المتوضئ منهم العضو المغسول بالغسل، وهو الوجه من منبت شعر الرأس إلى منتهى اللحين طولاً، ومن الأذن إلى الأخرى عرضاً، واليدان من رءوس الأصابع إلى المرفقين، وهما مفصلاً العضد والذراع فيبقى شيء من هذه الأجزاء بلا غسل لعدم سيلان الماء عليه فلا يتم الوضوء فتكون الصلاة التي يصلّيها فاسدة، وقد يعمم الشخص العضو كله بوضوءه بالمشح. فتجب المحافظة على

سيلان الماء على كل أجزاء الأعضاء حتى لا يبقى منها ولا قدر السمسة بلا ورود الماء عليه .

ومن جملة ذلك ما تحت الأظفار من الأوساخ المتجمدة المانعة من إيصال الماء إلى البشرة، سيما إذا عظمت الأظفار وطالت كما هو حال غالب أهل الوقت . فترى أظفارهم كأظفار النسور فى الطول من دون احتشام ولا حياء، وذلك أحد وجوه المسخ المعلق باليدين، حتى أن بعضهم إذا أراد أن يصابحك ربما جرح يدك بتلك المناشر التى هى أحد من موسى الحلاق .

وكم حصل لى مثل هذا حتى تركت هذه السنة، لأجل تلك الأسنة، وازدادت كراحتى لها بسبب استعمال غالب الناس لهذه العشبة اليهودية، ألا وهى استنشاق طابقو وغير ذلك، مما تقدم لنا بعضه . فإذا لم تخرج تلك الأوساخ من تحت الأظفار ويغسل ما تحتها لم يصح الوضوء ولا يكفى .

ومما يقع كثيراً من غالبهم : أن يسعل أحدهم فى الصلاة أو يتنحج بلا ضرورة، وذلك مبطل للصلاة، أما إذا كان لعذر فلا يضر .

ومما لا يتحرزون منه : وهم فيه خاطئون مرورهم أمام من يصلى، ولا شىء أمام المصلى .

ومما لا يتحرزون منه : مرورهم أمام من يصلى إلى نحو جدار فيمشون بينه وبينه، وذلك إثم ميبين . قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ " لو يعلم المار بين يدى المصلى ما ذا عليه من الإثم لكان أن يقف أربعين خيراً له من أن يمر بين يديه " . قال الراوى لا أدرى أقال أربعين يوماً أو شهراً أو سنة رواه البخارى فى صحيحه، وكذلك تخطيهم الرقاب يوم الجمعة، ورأى النبى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رجلاً فعل ذلك وهو يخطب : فلما فرغ من الصلاة . قال له قد آتيت وأذيت، أى تأخرت عن

البكور، وأذيت الحضور. ثم قال ما منعك أن تجمع معنا، إشارة إلى أن ذلك أحبط عمله وكأنه لم يحضر الجمعة.

ومما أحبط ثواب صلاتهم لعبهم فيها بأيديهم أو لحاهم أو التفاتهم لأمر يبدو يمنة أو يسرة أو تطلعهم لجهة السماء، وقد ورد "أن الالتفات في الصلاة اختلاس يختلسه الشيطان من الصلاة"، وفي الحديث "أما يخشى أحدكم إذا رفع بصره إلى السماء وهو في الصلاة أن يأخذ الله بصره"، "ورأى رسول الله ﷺ رجلا يعيب بلحيته في الصلاة. فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه"، وقيل لخلف بن أيوب: ألا تطرد الذباب الذي يؤذيك في الصلاة. قال لا أعود نفسى شيئاً يفسد على صلاتي: أنا قائم بين يدي ربي أفأتحرك لذبابه. وقال بعض السلف: أربعة في الصلاة من الجفاء: الالتفات، ومسح الوجه، وتسوية الحصى، وأن تصلى بطريق من يمر بين يديك.

ومن مثالبهم تساهلهم بأمر الجماعة فلا يزال الرجل منهم في أمر ولو لعبا حتى تفوته صلاة الجماعة كأن يلعب بالكرطة أو الضمنة أو الشطرنج وهذا هو الحرمان بعينه، ومنهم من يتغافل عنها بالبيع والشراء، وكأنه لم يسمع قول الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون)، وقد وصل حد الغفلة لبعضهم أنه يتهاون بصلاة الجماعة فيتركها لأدنى ملابسة من الأشغال الوقتية.

ومن مثالبهم أيضاً ترك صلاة الجمعة لأدنى غرض، ولو غير شرعى كجلسة مع زائر فاسق، مع أنها أفضل الصلوات كلها التي هي رأس الدين، وقد شدد رسول الله ﷺ في أمرها حتى جعل تاركها لا صلاة له ولا زكاة له ولا صيام له ولا حج له ولا بر له، فمن كانت هذه حاله فهو من الهالكين ييقن إذ من حرم هذا كله فقد هلك.

ومن المصائب التي عمتنا جميعاً أن الواحد منا يصلى بجوارحه، وقلبه يبيع ويشترى ويزرع ويحصد ويأمر وينهى ويروح ويبقى، ويشغل بما لم يكن يخطر فيه قبل ذلك إلى أن يفرغ ولا يدري ما صلى أربع ركعات أم عشرة؟، ولا يستحضر من هو واقف بين يديه، ومن يقول له (إياك نعبد وإياك نستعين)، وكأنما هي ألفاظ يحفظها تقال في الصلاة فيقولها فتكون الصلاة عادمة القبول، خالية من الثواب، تلف كما يلف الثوب الخلق وتضرب وجه صاحبها، وتقول ضيعك الله كما ضيعتني، ونقل عن سفیان الثوري أن من لم يخشع فسدت صلاته، وروى عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال "إن العبد ليصلى الصلاة لا يكتب له سدسها ولا عشرها، وإنما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها".

ومن مثالبهم ترك الباقيات الصالحات عقب كل صلاة، ومنهم من يذكرها على وجه هو أقرب للعبث، ولا يمكنني أن أصف لك تلك السرعة التي يقرؤها عليها غالب أهل هذا العصر: بل حتى من ينتمى للعلم وليس من أهله، فلا تسمع منهم عند ذكر سبحان الله، إلا سبح سبح سبح لا غير، وعند ذكر الحمد لله حمد حمد حمد لا غير، وعند ذكر الله أكبر، لهكبر لهكبر لهكبر لا غير، واستوى في هذا الخاص والعام إلا من رحم الله، وقليل ما هم.

ولما كان هذا الذكر نهاية الفلاح، ومنتهى الفوز والرياح، حسبما أخبر الحق سبحانه بذلك في كتابه العزيز بقوله (والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخيراً أملاً) وكذا ما ورد فيه من صحيح الأحاديث من ذلك ما رواه البخاري عن أبي هريرة (رضي الله عنه). قال "جاء الفقراء إلى النبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقالوا: ذهب أهل الدثور من الأموال بالدرجات العلى والنعيم المقيم، يصلون

كما نصلى، ويصومون كما نصوم، ولهم فضل من أموالهم يحجون بها من ويعتصرون ويجاهدون ويتصدقون، قال ألا أحدثكم بما إن أخذتم به أدركتم من سبقكم، ولم يدرككم أحد بعدكم وكنتم خير من أنتم بين ظهرائه: إلا من عمل مثله: تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة ثلاثا وثلاثين، فاختلنا بيننا. فقال بعضنا: نسبح ثلاثا وثلاثين، ونحمد ثلاثا وثلاثين، ونكبر أربعاً وثلاثين: فرجعت إليه. فقال تقول: سبحان الله والحمد لله والله أكبر حتى يكون منهن كلهن ثلاثا وثلاثين" [والدثور: الأموال الكثيرة]: جمع دثر بفتح فسكون، وزاد مسلم وأبو داود في آخرها هذا الحديث "وتختم المائة بلا إله إلا الله وحده لا شريك له: له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير".

قطعهم الشيطان الرجيم عن هذا الفضل العظيم، وألقى على ألسنتهم بدنه ألفاظاً كادت أن تكون كفرية، وكيف لا يكون الأمر كذلك. ولفظه لهكبر ولفظه سبح اسمان لشيطنين، وراجع في هذا الموضوع الدنيء: الكتاب المسمى [بالدر المنظوم، وخلاصة السر المكتوم، في السحر والطلاسم والنجوم] للكشناوى المصرى تقف على تحقيق ما أشرنا به، والله الموفق.

ومن مثالبهم إذا مرض أحدهم ترك الصلاة رأساً حتى يبرأ، وبعد ذلك قضاها أو لم يقضها، وقد سبق لنا بعض هذا فتراهم يتركونها ولو لمرض ساعة أو ساعتين ويدعى لركة ديانتة أنه مريض: على أن الأليق بالمؤمن العاقل إذا مرض خاف وازداد خوفه وقصر أمله وتذكر الآخرة وخشى اللحوق بها، فينبغى أن يعيرها التفاتاً ويهتم بما عليه من الحقوق الدينية لله أو لخلقه قبل أن يبعثه الأجل، فيلقى الله بغير عمل، وقد جاء في الحديث الشريف "من ترك

الصلاة متعمداً كتب الله اسمه على باب النار ممن يدخلها" رواه أبو نعيم،
 وفي الحديث 'ولا تترك الصلاة متعمداً فإن من ترك الصلاة متعمداً فقد برئت
 منه ذمة الله ورسوله" رواه أحمد بسند صحيح، وسبق لنا أن من يؤخرها ولو
 فى أعلى درجات المرض وعقله حاضر لقى الله مغضوباً عليه، بل ترى المرأة
 التى لا دين لها إذا خافت ربما انتظرت بعد انقطاع الدم أوقاتاً بل أياماً بلا
 صلاة بدعوى أنها لم تغتسل من الحيض أو كون زوجها منعها من الخروج إلى
 الحمام إذا كان رجلاً نقياً غيوراً، وكذا النساء مع أن الفقهاء نصوا على أنها
 إذا انقطع دمها بحيث تدرك بعد الظه خمسه ركعات قبل المغرب أو أربعاً قبل
 الفجر وجب الظهران أو العشا آن فيحرم عليها التراخى شرعاً، ويحرم على
 الزوج إقرارها على ذلك، ووجب عليه زجرها وردها إلى الدين، ولكن أين
 هذا اليوم مع قوة سيطرتهم وسطوتهم على الرجال؟ حتى كاد الرجل أن لا
 يقدر أن يتكلم بين يديها بشيء يؤلمها، والويل له ثم الويل إن خاطبها بما
 يخالف هواها خصوصاً إن كانت لها معه أولاد فلا تسأل عما تقابله به صباح
 مساء بل فى كل ساعة، والنساء اليوم وجدن على هذا الظلم والتعدى
 والخروج عن الصراط المستقيم أعوداً فى الوقت من قضاة الوقت وولاته،
 فىرى القاضى يغلب جناب المرأة على الرجل كيفما كان العمل خصوصاً إذا
 خاصمت امرأة صبيحة زوجها: أى ذات حسن وجمال فلا تراه إلا قد قضى
 على زوجها بما تحب، ولو كان يؤديه إلى الكفر واللعنة والفسوق، وقد
 أذكرنى هذا قول القائل:

فتن القاضى لما رفع الطرف إليها

فتنته ببنان وبخطى حاجبيها

فقضى جوراً على الخصد م ولم يقبض عليها
كيف أبصر منها نحرها أو ساعديها
لصبا حتى تره ساجداً بين يديها

وقدم رجل امرأة حسنة النقيبة إلى القاضى . فقال يعمد أحدكم إلى
المرأة الكريمة فيتزوجها ثم يسىء إليها ففطن الرجل بحال القاضى فعمد إلى
نقابها فأسفره فرأى القاضى وجهه كاد أن يكون وجه خنزير فحكّم عليها:
وقال قومى لعنك الله: كلام مظلوم، ووجه ظلم. فقال زوجها:

قومى إلى رحلك أم حاتم قد كدت تسبين فؤاد الحاكم

ومن مثالب أهل الوقت القراءة جهراً فى الصلاة السرية وبالعكس ولا
يفرقون بين السر والجهر مع أنه سنة مؤكدة فى الفاتحة فهم يقرأون سراً فى
الجهرية، وما هو إلا جهل يتمشى على الخلاف فى تارك السنة عمداً إذا
الجاهل كالعامد: فيجب تعليمهم وتنبههم على ذلك.

ومن مثالبهم سبق الإمام فى الركوع والسجود، وهذا حرام واستعجال
عى الإمام منهى عنه شرعاً، وكل ذلك لعدم اعتنائهم بشأن الصلاة، وفى
الصحيحين عن أبى هريرة (رضى الله عنه) أن النبى (ص) قال: "أما يخشى
أحدكم إذا رفع رأسه من ركوع أو سجود قبل الإمام أن يجعل الله رأسه رأس
حمار أو يجعل الله صورته صورة حمار"، روى البزار والطبرانى بإسناد
حسن عن أبى هريرة (رضى الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال "الذى يخفض
ويرفع قبل الإمام إنما ناصيته بيد شيطان"، وفى الحديث "أن من أشرط
القيامة إماتة الصلوات واتباع الشهوات" رواه البرزنجى فى أشرط الساعة عن
بن عباس.

ومن مثالبهم تقطيع الصفوف بحيث يصلى فى الأول جماعة دون إتمامه: فإذا جاء آخرون أحدثوا صفًا ثانياً دون إتمامه: فإذا جاء آخرون أحدثوا صفًا ثالثاً، وهكذا حتى تكون قطع صفوف ليس فيها صف كامل ولو أنهم اجتمعوا لكانوا صفًا أو صفين، وذلك منهى عنه شرعاً، فقد روى الناسى وابن خزيمة والحاكم وصححوه عن ابن عمر (رضى الله عنهما) أن رسول الله ﷺ قال "من وصل صفًا وصله الله ومن قطع صفًا قطعه الله". وقد روى الطبرانى فى الأوسط عن أبى هريرة (رضى الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال "إن الله وملائكته يصلون على الذين يصلون الصفوف، ولا يصل عبد إلا رفعه الله بها درجة".

ومن مثالبهم اعوجاج الصفوف، فترى هذا داخلا وذاك خارجاً، وكل ذلك مناف لما كان عليه السلف الصالح. فقد روى الإمام مسلم فى صحيحه عن ابن مسعود (رضى الله عنه) قال "كان رسول الله ﷺ يسمح مناكبنا فى الصلاة، ويقول استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم، لىتنى منكم أووا الأحلام والنهى، ثم الذين يلونهم".

وبالجملة فلا يتساهل فى أمر إلا غافل عن الله واليوم الآخر، والبركة كلها فى امتثال الشارع الحكيم، ولكن من اعوجت بصيرته وكسل عن العمل وعاشر الجهلاء، وكره العلماء، وترك النظر، وعاش أبله، واقتصر على جمع الأموال كحال غالب أهل هذا الوقت، فكيف يمكن له أن يمتثل أمر الشارع ﷺ.

ومن مثالبهم الشنيعة التى رماهم بها إبليس حتى أفسدت عليهم عقولهم وغيرت طبائعهم، وانعكست إنسانيتهم، وصاروا فى حيز الدواب، ومن قيل

فيهم (لهم قلوب لا يفقهون بها، ولهم أعين لا يبصرون بها، ولهم آذان لا يسمعون بها، أولئك كالأنعام بل هم أضل، أولئك هم الغافلون) استعمالهم لهذه العشب الخبيثة استنشاقًا وشربًا، ويحضرون صلاة الجماعة بداخل المسجد في الصف الأول، وذاك حرام عليهم لأذية المصلين والملائكة، إذ رائحتهم أنتن من الجيفة.

وأدنى ما يحصل لمن يكون ملاصقًا لبعض هؤلاء في الصف تشوش باطنه من تلك الرائحة القبيحة وعدم حضور قلبه في الصلاة، وربما قطع الصلاة قصدًا لأجله من كثرة تلك الروائح الخبيثة خصوصًا شرب الدخان الحوزي والأوروبي، ولهذا ترى كثيرًا من الناس يتباعد عن الصف الأول لأجل من قامت به هذه العلة التي أفسدت دينه وذاته ودينه، ولا يقال أن الدخان لم يكن على عهد رسول الله ﷺ حتى ينزل به حكم مخصوص، بل نقول إنما يقال على الروائح الكريهة حيث تضر الملائكة والمسلمين، وفي الحديث " لا ضرر ولا ضرار " رواه الإمام أحمد في مسنده عن عبادة بن الصامت، وفي صحيح البخاري عن جابر بن عبد الله (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال " من أكل ثومًا أو بصلا فليعتزلنا أو قال فليعتزل مسجدنا وليقعد في بيته " وكذا رواه مسلم، وفي رواية له " فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم " ولا دليل على الخصوص، ومذهب إمامنا مالك (رضي الله عنه) سقوط الجمعة عنه حيث لم يجد مزيلة ووجوب ترك الجماعة.

فالدخول إلى المسجد بهذه الرائحة حرام من حيث إذية المسلمين والملائكة، وهذا موجود في شرب الدخان عند من يشربه من المسلمين وإنى لأجد صداعًا في رأسي، وإذية قبيحة بينه إذا جالسنى أحد، أو مر بإزائي في

الطريق من يستعمله خصوصاً عند المكاملة فلا تسأل عما يحصل لى من الإذاية، وعندى أفواه هؤلاء المتعاطين لهذه العشبة اليهودية الأوروبية كمحارجهم حالة خروج الغائط من غير فرق.

وإذا كان هذا فى حق الأدمى، فكيف بالملائكة الكرام الذين هم أدنى شىء من الروائح الكريهة ينفهم، ومعلوم أنهم يحضرون مجالس الخير كالقراءة والذكر.

والقياس الجلى أخو النص الصريح فى الدين كما هو معلوم، فلعل المكابر يرجع عن دعوى الاجتهاد ولا يعيب على الفقهاء فى تحريمهم الدخان ويقول لم يرد له نص صريح، على أننا لا نرى من ابتلى بهذه العشبة الخبيثة قد أفقدته الصحة، وأورثته قرحة، وجلبت له ترحة، وجرت له عار الأبد، وذل الأمد، وبؤس النكد، فلا تراه يحبه أحد، ولا يشفق عليه والد ولا ولد، يفرون منه كأنه داء، وكيف لا وداؤه أعياء الأطباء.

وما أنت ترى الغالب منهم كالخيال حيث امتص الدخان لحمه ودمه وفوق ذلك أورثه العار بين أهله وخراب الديار من كثرة ما ينفقه فى ثمنه وبعضه على مأكله وملبسه، فلهذا ترى المتعاطين له معظمهم فى نكد.

واستعمال التدخين من أعلى علامات شقاوة صاحبه، عياداً بالله، فمن أن ينظر إلى شقى يمشى على وجه الأرض، فلينظر إلى صاحب التدخين، وكذا المستعمل تابِعاً: أى طابقوا، ويكفى فى خسة التدخين أنه مهيب للعقل، ضار بالنسل، موقع فى الذل.

وقد ذكر الأطباء أن شرب الدخان أعظم الأسباب التى تجلب من أنواع الأمراض ما لا حصر له: منها فساد الأسنان وورم اللثة.

وقد ذهب الإمام المنوفى ومن تبعه إلى أن التدخين من قبيل الخمر وعنده يجلد متعاطيه، وإن جميع ما نزل في الخمر فهو به أمثل، ولا فرق في ذلك بينه وبين تابغا، أى طابقوا، وبين الحشيشة والأفيون والمعجون المستعمل من الحشيشة.

قال العلماء: والدخان والتبغ لا منفعة فيهما، بل من أضر العادات التى بلى بها هذا النوع الإنسانى، ومن أعظم المصائب والكبائر التى توجب غضب الرحمن فى السر والإعلان. بل هما المصيبة الكبرى، والداهية العظمى، والمنكر الفظيع، والعصيان الشنيع. الذى استقبلته الشريعة ونافرته الطبيعة.

وقد جاءت نصوص الشرع هادمة لأقل من هذه الخبائث القبيحة محذرة منها، فما بالك بهذا الخبث الذى كاد أن يكون أم الخبائث، وقد اعتنقه الكثير، وأربى فيه الكبير والصغير، ودخله الناس أفواجًا وأفذاذًا وانتشر فى جميع أقطار الأرض، وعم الطول والعرض، فى أقرب وقت انتشاراً لم يعهد له نظير، وصار فى المحافل والجموعات، ديدن النسناس، تبعاً للمجوس واليهود وحزب الوسواس الخناس، فلا تمر بطريق بل لا ترفع قدمًا دون أخرى فى هذه الأزمنة الأوانشق رأسك والصدع من كثرة روائح التدخين على اختلاف أنواعها وارتفاع أثمانها، وأعظمها نتنا التدخين الحوزى، ويلىه التدخين الأوروبى، وهذه العشبة الخبيثة والداهية السارية فى أجسام المشغوفين بها، فلما تجدهم يغيبون عنها ساعة من الساعات، بل منهم من لا تفارقه ليلاً ونهاراً على حسب الساعات والدقائق.

وفى حاشية علامة زمانه الشيخ الرهونى على الزرقانى فى باب الزكاة ما نصه: الكلام على مسألة شرب الدخان الذى عمت به البلوى فى هذا الزمان،

وقد أكثر المتأخرون الكلام فيها، فمنهم وهم الأكثر من منع وشدد في المنع، ومنهم العالم المحدث الأصولي الصوفي المحقق أبو زيد سيدى عبد الرحمن بن محمد الفاسى قائلاً: فإن الذى ينبغى اعتماده بلائياً، ويستند إليه فى صلاح الدين والدنيا، مع وجوب الإعلان به والإعلام، والإشادة به فى جميع بلاد الإسلام: أن مما عمت به البلوى سف دخان طابة محرم الاستعمال لاعتراف كثير ممن له تمييز وتجربة بأنها تحدث تقثيراً وخدرًا فتشارك أولية الخمر فى نشوتها، وتشبه الأفيون والحشيشة فى جنسها ونوعها.

وقد فسر غير واحد الأفتار باسترخاء الأطراف وتخدرها وصيرورتها إلى وهن وانكسار فيها. وذلك من مبادئ النشوة، وذلك كله موجود فيها من غير شك ولا مین بالتجربة عند أهلها حتى أنه يكتفى بها عن تعاطى القليل من الخمر.

ثم قال: فإن قلت سلمنا كونها مخدرة ومفترة لما ذكرته، فأين الدليل على حرمة المفتر، قلنا الدليل على ذلك ما ثبت فى أبى داود ومسند الإمام أحمد عن أم سلمة قالت: "نهى رسول الله ﷺ عن كل مسكر ومفتر.

قال العلقمى: وحكى أن رجلاً من العجم قدم القاهرة، وطلب دليلاً على تحريم الحشيشة: وعقد لذلك مجلساً حضره علماء العصر، فاستدل الحافظ زين الدين العراقى بهذا الحديث، فأعجب الحاضرين. قال ونبه السيوطى على صحته، وكذا استدل به ابن حجر على حرمة المفتر ولم يكن شراً ولا مسكراً فى شرح البخارى فى باب الخمر من العسل، وكذا احتج به القسطلانى فى المواهب اللدنية على ذلك أيضاً، وذكره السيوطى فى جامعه. ولولا صلاحيته للاحتجاج به ما احتج به هؤلاء، وهم رجال الحديث وجهابذته.

ثم قال: وأما مسألة الغبار المجعلول في الأنف عند غوغاء الناس وسفلتهم فهو في أصله نبات طاهر إذا سلم من العوارض، لكن قال الشيخ إبراهيم اللقاني: أن المجلوب من بلاد النصارى يرشونه بالخمير، ولذلك كان تعاطيه قاذحاً في الشهادة والإمامة، لأنه خارق للمروءة، إذ هو من فعل السفهاء لا أهل المروءة والديانة، والإدمان والديانة، والإدمان عليه قاذح في العدالة.

ثم قال بعد كلام: وكان السلطان مولاي أحمد رحمه الله أمر بإحراقها فأحرقت بديوان فاس الجديد، حين قدم من مراكش وضاع فيها مال عظيم لبائعها، إذ لو كان استنشاقها مباحاً لم يكن سبيل إلى إحراقها ولا إلى منع التجارة فيها اهـ المراد منها.

وفي حاشية الشيوخ جنون ما نصه: قال الشيخ أبو بكر الكتاني (رضي الله عنه): كنت بدعة أول ما ظهرت هذه العشبة وأنا حديث السن في أوائل الاشتغال بالطلب، فبينما نحن ذات ليلة والطلبة مجتمعين في ليلة خميس كما هر شأنهم في ليالي تعطيل القراءة، فأتى بعضهم بهذا الدخان، فتناولوه فيما بينهم إلى أن جاءت إلى، فتناولتها وأخذت منها نفساً أو نفسين فلما نمت جاءني في عالم النوم رجلان في يديهما حرب من حرب السودان وما كنت رأيتهما قبل ذلك، فأخذا يضرباني ويعذباني، ويقولان لم تناولت الدخان وأنا أعتذر لهما وأقول: لا علم لي بشأنها، ولا يقبلان عذري في ذلك. وعذباني عذاباً شديداً، حتى استيقظت ووجدت أثر الضرب في جسدي ظاهراً أتألم منه ألماً شديداً وبقيت مريضاً من أجل ذلك نحواً من سبعة أشهر اهـ.

وقال الشيخ أبو العباس الناصري في كتابه [الاستقصاء] ما نصه: وفي

سنة إحدى وألف أتى بالقبيلة من بلاد السودان إلى المنصور، وكان يوم دخولها بمراكش يوماً مشهوداً، برز لرؤيتها كل من بالمدينة من رجال ونساء وشيوخ وصبيان. ثم حملت إلى فاس في رمضان سنة سبع وألف، وكان دخول القبيل إلى فاس يوم الاثنين سادس عشر رمضان من السنة المذكورة، وخرج أهل فاس ذلك اليوم للقاء القبيل بنحو مائة ألف نفس.

وبسبب دخول هذه القبيلة إلى المغرب: ظهرت هذه العشبة الخبيثة المسماة بتابع: لأن أهل السودان الذين قدموا بالقبيلة يسوسونها قدموا بها معهم يشربونها، ويزعمون أن فيها منافع: فشاعت منهم في بلاد درعة ومراكش وغيرها من بقاع المغرب، وتعارضت فيها فتاوى العلماء (رضى الله عنهم): فمن قائل بالتحريم، ومن قائل بالتحليل، ومتوقف، والعلم عند الله فيها سبحانه، لكن من تأمل أدنى تأمل في قواعد الشريعة، وآدابها علم يقيناً أن تناول هذه العشبة حرام: لأنها من الخبائث، وأنت لا تجد أخبث ولا أقدر من رائحة أفواه شربة الدخان ولا أنتن ولا أعفن من نكهات المستفين لغبار تابع، وهذا النتن من أقبح العيوب في نظر الشرع حتى أنه جعل الخيار لأحد الزوجين إذا كان صاحبه أبخر.

فإذن لا نشك أن استعمال هذه العشبة الخبيثة في الفم أو الأنف من أعظم المحظورات: لأنها تصدم غرضاً كبيراً من أغراض الشرع وتضاده وتنفيه، ولو كان نتنها يعلق بعضو من الأعضاء غير الوجه لكان هيناً، لكنه يعلق بالفم والأنف اللذين وضعهما الحكيم العليم في وسط الوجه الذي هو أشرف الأعضاء: فأى مضمضة، وأى استنشاق، وأى سواك يزيل ذلك النتن الذي يرسخ في أنفاس أهلها وأفواههم وخياشيمهم رسوخاً لا يمانله شيء.

ولقد أفصح العامة عن شدة هذه العشبة، وصادفوا الصواب حيث قالوا
أن فضلة الدخان المسماة عندهم بالقبر تنجس النجاسة.

هذا إلى ما يتبع ذلك من المفاصد المتعددة من تغيير عقل متعاطيها حتى
أنه إذا انقطعت عنه صار كالمجنون لا يبالي بما صدر منه، ومن دحول الشك
في صيامه لأن بقايا ذلك الدخان أو ذلك الغبار قد تمكنت في حلقه إلى طلوع
الفجر وما بعده: لأن جلهم إذا قرب الفجر والوا استعماله حتى يكون هو
خاتمة سحورهم.

وبالجملة فلا يستعمل ذلك إلا من لا خلاق له ولا يكثر بمروءة ولا
دين وهو فادح في الشهادة والإمامة انتهى منه بلفظه.

فالتفت عبد الصمد المصرى إلى عبد الباسط: وقال لو ذكرت لكم ما
عندنا فى شأنه لسمعت العجب العجاب.

ومن أعظم المصائب أن عامة فقهاء المشرق متساهلون فيه فضلا عن
عوامهم، وقد رأيت كثيراً ممن يستعمله فى المساجد ولا يتحرشون، وهو أمر
شنيع، ولا ينبغى أن يختلف فى امتناعه لكراهة رائحته وخبثها ومنافاة تعاطيه
للتعظيم والوقار المطلوبين فى المساجد حتى أنه يحرم كل ما يخل بتعظيمها
ويقتضى إهانتها حتى الثوم والبصل مع الاتفاق على إباحتهما، ولو اضطر
أكلهما لدواء: إلا أن أهل المشرق فى الغالب يخلون بتعظيم المساجد يأكلون
فيها ويشربون ويحلقون رءوسهم وينامون.

ثم قال عبد الصمد لما كشف "خرستوف" جزيرة كوبا من جزائر الهند
الغربية رأى بعض الأهلين وبأفواههم لفائف مدخنة متخذة من ورق نبات

اسمه بيتوم ينمو فى جزائر الانتيل كافة وفى المناطق الاستوائية من أمريكا:
فلما رجع هو ومن معه إلى أوروبا أخذوا معهم منه أغراسًا.

دخل ذلك السم القاتل الأندلس أخريات القرن الخامس عشر، ومن ثم
انتشر فى سائر أوروبا، وسماه الفرنجة بالتبك نسبة إلى جزيرة تباغو.

وقد فطن ملوكها وقادتها منذ أوائل القرن السادس عشر إلى مضاره
فمنعوا تعاطيه، وهددوا متعاطيه بجذع الأنف أو بالقتل.

ولما رأى مفتى تركيا ولوع الترك به، وكان الفرنجة جلبوه إلى القسطنطينية
سنة خمس وستمئة وألف فى عهد السلطان أحمد القانونى: أفتى بتحريمه
فهاجت الأمة وماجت، ولم يذعنوا لفتواه وظلوا فى غيهم يعمهون، ولم
يشدد عليهم النكير فاستكثروا منه وأكبوا عليه رجالا ونساء.

وأمر لويس الثالث عشر ملك فرنسا سنة خمس وثلاثين وستمئة وألف
ألا يشرب ولا يباع إلا للصيديات، وكان ذاع بين الناس أنه دواء لكثير من
الأدواء.

وتوعد من تجاوز أمره بالنكال والعذاب، ولكنه على الرغم من هذه
المناهضة العنيفة تهافت التجار على الاتجار به لما نالوا من الريح الوفير، ولا
زلنا حتى الآن نراهم يحرزون منه ثروة طائلة تقدر بألوف الألوف. ثم تفشى
هذا الوباء فى كثير من بقاع المعمورة، وأعزم الناس به لا سيما المصريون أولًا
السبق فى تقليد كل جديد، وعلق به رجالهم وبعض نسائهم وصبيبتهم،
وتغالوا فى ذلك حتى جاوزوا حد الحزم والقصد، وإنى ليحزننى، وأيم الله
أن أرى العامل الفقير على قلة أجره ينفق فيه كل يوم ما لا يقل عن أربعة
قروش أو خمسة: فيستنفد منه هذا الصنف وحده فى شهر: جنيهاً ونصفاً
تقريباً.

دع عنك هؤلاء الأغنياء الذين يأبى عليهم ترفهم إلا أن يبتاعوا من اللقائف القيمة ذات الخمسين قرشاً، مالو تصدقوا ببعض ثمنه فى وجوه البر والإحسان لا لانتشلوا البائسين من أبناء وطنهم من مخالبا التعس والشقاء، بربك سائل مدمنيه عما جنوه من ثمرة ينبؤك أنهم لم ينلهم منه إلا كل داء لا يبرئ منه، وضرر وبيل من اسواداد الأسنان وتسويسها وزرقة الشفتين وبتونة ريح الفم والتهاب اللسان واللوزتين وتقريح الحلق وتكدير اللعاب الذى يؤلم المعدة ويشل حركة الهضم، ويهيج الكلى، ويهيئها للأمراض، وينقص ضربات القلب، ويذيب بعض كرات الدم الحمراء: فيحدث شحوباً فى اللون، وفقراً فى الدم، وفسادا فى الرتتين قد يفضى إلى متابعة السعال: بل إلى السل وحموداً فى الأعصاب، واهتزاز فى العضلات، ورعشة فى الأيدي، ودواراً فى الرأس، وألماً فى الجبهة، وضعفاً فى العينين، ودمعاً واحمراراً وسخونة فيهما عقب الاستيقاظ من النوم وفتوراً فى الذاكرة، فضلاً عن رائحته الكريهة، وما يجره من المغرم على الجيوب، وما يصيب شاربيه من ألم المزاج وضيق الصدر إذا حيل بينهم وبينه.

ولا أطيل عليكم فهو شديد المضرة لمتعاطيه لا سيما النحفاء والأحدا ومن لم يتكامل نمو أجسامهم.

أجل إن مدمنيه أعرف الناس بما يحدث منه من المضار ولكنهم ل يملكون التخلص من ربقته إذا صار لهم عادة، وسلطان العادة لا يقهر وحكمها لا ينقض.

ولقد أصبح عندنا من أخص مظاهر التمدن الحديث تقديم الليفة هدية لكل زائر، وتحية لكل قادم قياماً بواجب الإكرام والحفاوة كما أن واجب الذوق والمجاملة يقضى عليه أن يشعلها.

وفاته أن تلك الليفة التي شربها لهوا ولعبًا: تشغل بلاء وشرًا مستطيرا. إذ لا يلبث أن يجد ريح الدخان في خياشيمه فيهرع إلى شرابه ويقبل عليه أيما إقبال، فحذار أيها الناشئ أن يستهويك شيطان الغرور وأن أهدي إليك خليلا من خلانك ليفة فردها رداً جميلا، ولا تصدق ما يوسوس به إليك من أنها تمحو الهموم وتشتت قاتل الأفكار، وتؤنس في الوحشة، وتسلو بها حين التفكير.

فلديك من ضروب الرياضة العقلية والبدنية ما يغنيك عن سلوك ذلك الطريق العسر المسلك.

ولتكن لك أسوة حسنة بدعاة الإصلاح من ملتك الذين يحرمونه ويحظرونه ويعدون تعاطيه إقدامًا على الانتحار البطيء، وأظلم الناس من ظلم نفسه وقتلها بيده.

فقال عبد الباسط بعد هذا، وبالجملة فقد كثر القول في استعمال الدخان وتبعًا بالكراهة والتحريم. والقول بتحريمهما هو الذى يدان الله به.

فمن يرى حرمة: شيخ الإسلام سيدى إبراهيم اللقانى المالكى، والشيخ عبد الكريم القيسمطينى، والحافظ الأفرانى المراكشى، والإمام المقرئ، وابن جلال، والغسانى، والجولانى، والعنبرى، والعارف سيدى عبد القادر الفاسى، والعارف سيدى عبد الرحمن، والعلامة أبو حامد الفاسى. والشهاب القليوبى، وصاحب الذهب لأبريز، وأبو على اليوسى، والشيخ أبو عبد الله محمد بن الناصر، والعارف بالله الشيخ أبو العباس بن ناصر الدرعى، والشيخ محمود الكردى، والشيخ المحقق البنانى وأبو سالم العياشى، والشيخ ابن علان المكى، والشيخ سالم السنهورى والشيخ الفكون، والشيخ عبد

الرحمن الصومعى، والشيخ الخرشى، وأبو حسن على الزعتري المصرى،
والشيخ على الأجهورى آخرا، وغير هؤلاء بكثرة.

رجل هؤلاء المشايخ لهم فيه تأليف ردوا على من أباحه ردًا بليغًا
ونقضوا حجته عروة عروة، وقد بسطنا الكلام على هذا الموضوع بما لا مزيد
عنه فى كتابنا [الكشف والتبيان. عن حال أهل الزمان]. فراجعته تزدد يقينًا
والله الموفق.

وأما أهل هذه العشبة الخبيثة المعروفة على لسانهم بطابقو فتراهم من
شدة شغفهم بها دائمًا يدهم حق منها وخرقة لا تفارقهم حتى فى داخل
الصلاة، ومنمه من يأكلها أكلا ولو وجد السبيل لأكل الحق الذى هى به
خصوصًا فى هذا العصر بعض أهل فاس وعلمائه حتى بداخل المساجد من
دون حياء ولا احتشام، والأمر لله (فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى
القلوب التى فى الصدور).

ولا تسأل عن العفونات الحالة بذواتهم وثيابهم بل كل شىء مسته يدهم
تعفن أشد العفونة حتى كؤوس الشاى.

فلهذا تجدد الكثير ممن خصهم الله بالنظافة وطهرهم من هذه العشبة
الخبيثة مهما حضروا وليمة وقد تناولت فيها أكواب الشاى وكان المباشر لها
طاهرًا مما ذكر إلا وكان نصيبهم منه الكأس الأول. إلا إذا لم يتبدل وتحقق أنه
هو خوفًا من تنجس أفواههم بشىء مسته تلك الأيدي والأفواه الخبيثة.

ومن أقبح عيونهم فيها، وأرذل مساويهم التى زهدت الناس فى
مجالستهم وقطع مواصلاتهم كونهم مهما جلسوا على فراش إلا وقذروه
بنفض أيديهم حالة الاستنشاق ثم مسحها بذلك الفراش كان لهم أو لغيرهم

ولا يخفى ما فى هذا من الظلم إن كان لغيرهم، ومن أين لهم أن يعرفوا وجوه الظلم وهم سكارى؟.

وكان الغالب على متعاطيها فى الزمن الماضى التستر ما أمكنه من وجهين: الأول كونه يعلم أنه مهما استنشق هذه العشبة إلا ودمعت عيناه، واحمر وجهه وغاب عقله وانطمت بصيرته واسترخت أطرافه وانكسرت قوته وانحط رأسه وتبدلت خلقه حتى أنه قد جن أو مسخ.

الوجه الثانى: كونه يعلم أن المتعاطى لهذه العشبة هم اليهود ذكراً وإناثاً، وإنما الباعث له على تعاطيها المحبة لهم والافتداء بهم لا غير.

فلهذا كان أربابها سابقاً حالة الاستنشاق يتسترون غاية التستر بحيث لا يطلع عليهم أحد ظناً منهم أن أثر ذلك التقليد اليهودى لا يظهر على وجوههم. على أنه لا يخفى على كل مؤمن ذلك الأثر: أثر الذل والمسكنة كما لا تخفى تلك الغبرة والزرقة التى تصيب شارب الدخان فى جميع حالاته، وهذا بين واضح يراه كل من نور الله بصيرته بالإيمان.

ثم إن الشيخ عبد الهادى التفت إلى الشيخ عبد الباسط. وقال له: حسبك اذكر لنا غير هذا. فقال.

شغف غالب الناس يأكل الحشيشة

والأفيون وشرب الخمر

ومن مساويهم الشيعة أيضاً شغف غالبهم بأكل الحشيشة والأفيون وشرب الخمر. على أن مضار الحشيشية لا تخفى على كل عاقل: بل حتى المتعاطى لها، وقد نقل الشعرانى فى كتابه [المن] عن قطب الدين العسقلانى

أنها تورث أكثر من ثلاثمائة داء في البدن وكل داء لا يوجد له دواء . فمنها تنقيص القوى، وإحراق الدماء، وتنقيب الكبد، وتقريح الجسد، وتجفيف الرطوبات، وتضعيف اللثات، وتصفير اللون، وتخفير الأسنان البخر في الفم، وتولد السوداء، والجذام والبرص والخرص وموت الفجأة، وتورث كثرة الخطأ والنسيان، والضجر من الناس، وتولد الأغشاء في العيون، وتخلط العقل، وتورث الجنون غالباً، وتورث تقليل الحياء، وتسقط المروءة، وتفسد الفكرة، وتولد الخيال الفاسد، والفراغ من أمور الآخرة، وتنسى العبد ذكر ربه، إلى غير ذلك مما يطول بنا ذكره .

وحسبك ما ذكرناه، ومع هذا قال حكماء الزمان وأطبأؤه إن مضار استنشاق تبغاً وشرب الدخان أعظم من المضار المتولدة من استعمال الحشيشة، وأما مضار الأفيون فقريب من مضار الحشيشة، وأما الخمر فحكمها واضح، وحسبك أنها أم الخبائث، ولقد فشا شربها بها اليوم حتى عند النساء وانصيان: بل حتى في مدعى العلم من أهل هذا العصر وليس من أهله، بل حتى في بعض قضاة الوقت ومتوليه، وكل ذلك من غرابة الإسلام ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

كنت أعتقد أن علماء الوقت بعيدون عن طريق الغواية واتباع الشيطان حتى إذا خالطت الكثير منهم كشفت لى المخالطة أشياء لم تكن من حسابانى . ذلك أنى عرفت رجالا منهم ينطوون على أغراض فاسدة لا يباليون بالدين عابئين بأدابه، وهاجرين لأحكامه، يغشون أماكن الرقص ومواضع النقص، ويتغالون فى الخمر ومعاقرها، والموسمة ومداعيتها، ومنهم من لهم نصيب كبير فى الشغف بالفتيات السائرات فى الطرقات، ومنهم من إذا سكن

فى دار سعى فىها فساداً، ولو بالسخرىات والعزرىات، ومنهم من لا يصلى بالمرّة، وربما صلى الجمعة فقط، ومع هذا يدعى الرىاسة فى العلم والفتوى.

ولولا آلامى الجسام لقصصت عليك ما يقشعر له البدن من أحوال بعض علماء العصر ومحدثيه، وهم فى نظر العامة القدوة التى تهدى إلى الإسلام.

وكنت سابقاً أظن أن أهل العلم الدينى هم معقل رجائنا، ومناط آمالنا نعدهم وعاضاً لنا ومرشدين. وتركن إليهم فى هداية الأمة إلى الصراط المستقيم، ونثق بهم فى نشر الفضيلة، ومحاربة الرذيلة: فإذا هم كما سمعت خصوصاً إذا أسندت إليهم الأعمال الوقتية من ولاية فقضاء فحسبة فتظارة فإفتاء فعدالة فمراقبة. فالفساد إذن ينتهى لمتهى غايته، ويرتقى لما فوق طاقته.

ومما يزيد فى رجائى لإصلاحهم وإن كان سوادهم لا يزال يؤم نوادى اللهو والمسرات والفكاهات تكفل الزمن بردهم إلى الصواب، وتقيمهم أن الغرض مما حملوه من العلم الدينى هو التخلق بأخلاقه من فضيلة وقوة ونشاط وإخلاص وحزم وعزم وصبر على المكاره، وبعد عن السفاسف وإقال على الخير، وبعد عن الشر.

وحاشا لىله أن أقصد أهل العلم بإيلام أو جرح عواطفهم وإنما سطرت ما سطرت بغية الإصلاح وإسباغ ثوب الكمال المستطاع على إجلائهم مصابيح الأمة ونجوم هدايتها.

وقفنا الله وإياهم للحق، والانصياع إليه، وبصرنا وإياهم بما يعود علينا وعليهم وعلى أمتهم بالسعادة آمين.

من عوائدهم المنكرة لعبهم القمار والشطرنج وغيرهما

ومن مثالبهم الشنيعة استعمال أنواع المقامرة، واللعب بالشطرنج والضامة والكرطة.

أما المقامرة فخرفة قام بها عدد من الناس اليوم إحياء لأيام الجاهلية وقلدوهم في ذلك حتى الصغار والمرهقون. قال الله تعالى في كتابه العزيز (إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون * إنما يرد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم متتهون) الميسر: القمار بأى نوع كان، وسبب النهى عنه وتعظيم أمره أنه من أكل أموال الناس بالباطل الذى نهى عنه بقوله (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) وأيضاً فهو داخل في قوله وَاللَّهُ "إن رجالا يتخوضون في مال الغير بغير حق فلهم النار".

وروى الإمام البخارى في صحيحه ن رسول الله ﷺ قال "من قال لصاحبه تعال أقامرك فليصدق". فإذا اقتضى مطلق القول طلب الكفارة والصدقة المنبئة عن عظيم ما وجبت، أو سنت فيه، فما ظنك بالفعل والمباشرة.

وأما حكم الشطرنج: فقد أخرج أبو بكر الأثرم في جامعته بسنده عن وائلة بن الأسقع (رضى الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال "إن لله تعالى في يوم ثلاثمائة وستين نظرة إلى خلقه، ليس لصاحب الشاه فيها نصيب". وفسر صاحب الشاه: يلاعب الشطرنج لأنه يقول شاه.

وأخرج أبو بكر الأجرى في سنده عن أبى هريرة (رضى الله عنه) أن

رسول الله ﷺ قال " إذا مررتم بهؤلاء الذين يلعبون بهذه الأضلام النرد والشطرنج وما كان من اللهو، فلا تسلموا عليهم، فإنهم إذا اجتمعوا وأكبوا عليها جاءهم الشيطان بجنوده، فأحذق بهم كلما ذهب واحد منهم يصرف بصره عنها لكزه الشيطان بجنوده، فما يزالون يلعبون حتى يتفرقوا كالكلاب اجتمعت على جيفة. فأكلت منها حتى ملأت بطونها ثم تفرقت.

وروى عنه ﷺ أنه قال " أشد الناس عذاباً يوم القيامة صاحب الشاه: يعنى صاحب الشطرنج. ألا تراه يقول: قتلته والله، مات والله افتراء وكذباً على الله ".

وسئل محمد بن كعب القرظى عن اللعب بالشطرنج، فقال أدنى ما يكون فيها أن اللاعب بها يخسر يوم القيامة مع أصحاب الباطل، وقال مجاهد: (رضى الله عنه) ما من ميت يموت إلا مثل له جلساؤه الذين كان يجالسهم إن كانوا أهل لهو فأهل لهو، وإن كانوا أهل ذكر، فأهل ذكر.

احتضر رجل ممن كان يلعب بالشطرنج، فقيل له: قل لا إله إلا الله، قال شاهك. ثم مات، فغلب على لسانه ما كان يعتاده فى حال حياته من اللعب بها.

ونظير ما ذكر عن هذا المختوم له بقوله شاهك ما جاء عن إنسان كان يجالس شربة الخمر، فلما احتضر لقن الشهادة، فقال لمن يلقنه اشرب واسقنى ثم مات، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

وهذا مصداق الحديث الصحيح المشهور الذى خرجته الإمام مسلم بنى صحيحه "يموت كل إنسان على ما عاش عليه، ويبعث على ما مات عليه". وأما الضامة: فاللعب بها كاللعب بالشطرنج من باب واحد. قال الحافظ

الحجة ابن المبارك صاحب [الذهب الإبريز] وسألته يعنى شيخه سيدى عبد العزيز الدباغ (رضى الله عنه) عن حكم اللعب باللعبة المعروفة بالضامة، فقال هو حرام فقلت ولم؟ فقال جميع المحرمات إنما حرمت لسبب واحد، وهو ما فيها من الانقطاع عن الله تعالى، فكل قاطع للعبد عن الله تعالى ولا غرض فيه للشارع، فإن الله يحرمه. قال: وهذه اللعبة لا منفعة فيها إلا الشغل عن الله تعالى، فإن أربا بها تراهم حين تعاطيها منقطعين إليها بالقلب والقالب حتى تنسد جميع عيون ذواتهم عن الحق سبحانه وتعالى فى تلك الساعة أهـ.

وأما حكم اللعب بالكرطة: فكاللعب بالضامة من باب واحد، فما جرى على الضامة يجرى عليها.

وأيضاً اللعب بها يخل بالمروءة التى يجب تحصينها، ويزيل السكينة التى ينبغى تحصيلها، والمشاهد من اللاعب بها كثرة الوثوب والطيش والهرج والفحش والحمق والسب والكذب واليمين الغموس والخيانة والبهتان. وهذا ليس من أخلاق أهل الإيمان.

وأيضاً فالمحل التى تكون فيه تنفر عنه الملائكة قطعاً لأجل ما فى أوراقها من تصاوير الحيوان: من آدمى وغيره تامة الصورة.

فقال له الشيخ عبد الهادى وما قولك فى الأيمان التى يرتكبوها اليوم هى مبنية على صدق أم كذب؟

حكم الأيمان الكاذبة

فقال عبد الباسط: أما أمر الأيمان فحدث عنه ما تشاء، فقد ملأت البدو والحصر، فجرت القلوب وخرج منها خوف الله، فما شاء الناس فعلوا

غير مقيدین بكتاب ولا سنة، استحكم أمر الجهل فأعمى البصائر فولوا عن الهدى مدرين .

أصبحت الأيمان بالله تلاك في أفواه السفهاء وضعفاء الإیمان بالله، بل وبرسوله وكتابه، اتخذوها وسيلة إلى أكل الحقوق وهضمها ولم يخافوا يوماً تزيف فيه الأبصار، وتبلغ القلوب الحناجر .

ولنذكر لك ما يحضرني في هذا الأمر، فنقول: من ابتداعاتهم في الأيمان الحلف بالله كاذباً .

لقد فشا هذا الأمر فشواً يسيء صاحب الدين، ويزرى بالإسلام وأمه . ومن العجيب تنأى الكافر عنه وورود المسلم مورده . وهذا من أكبر فسوق العبد إذ هو من المعاصي التي وقعت في الوجود، به أغرى إبليس آدم على الأكل من الشجرة . وذلك ما لم يكن تهاونا بالحلف، وإلا فهو كفر لا مشاحة فيه .

وقد ورد كما في صحيح البخارى عن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضى الله عنهما) أن رسول الله ﷺ قال "الكبائر الإشراف بالله وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس" . وهى الكاذبة، سميت غموساً لأنها تغمس صاحبها في النار .

وقد ورد أن رجلاً تقابل مع إبليس فقال له: بأى شىء أكون مثلك فقال: اترك الصلاة ولا تحلف بالله صادقاً .

وروى الإمام مسلم فى صحيحه عن أبى إياس بن ثعلبة الحارثى (رضى الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال "من إقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد

أوجب الله له النار وحرّم عليه الجنة، فقال له رجل: وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله؟ قال وإن كان قضييماً من أراك"

وعن عبد الله بن مسعود (رضى الله عنه) قال "كنا نعد من الذنب الذى ليس له كفارة اليمين الغموس، قيل وما اليمين الغموس؟ قال الرجل يقتطع بيمينه مال الرجل" رواه الحاكم.

وبهذا تعلم أن غالب الناس فيما هم فيه من اليمين الغموس مارقون من عمل أهل الإسلام، إذ هم يكذبون فى أيمانهم لأدنى سبب.

أما يخاف صاحب اليمين الكاذبة أن يجلب الله له خراب الديار فوق استخفافه عذاب النار. وفى الحديث "واليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع" ولهذا تجدد الفقر والاضطرار فى السوقة الذين يبيعون ويتاعون بها، فلا تكاد تراهم إلا وهم فى إقلال وفقر مدقع.

ومن بدعهم الحلف بغير الله مع ورود النهى عن ذلك، فمنهم من يحلف بمن اشتهر فى الوقت بالصلاح.

ومنهم من يحلف بالأخوة والأبوة والطعام والمحبة، وأمثال هذا الخور الذى لا يخرج إلا من لسان أحرق لا يميز بين السماء والأرض.

وكل هذا ورد النهى عنه، وقد جاء فى الصحيحين عن أبى عمر (رضى الله عنهما) أن رسول الله ﷺ قال "إن الله تعالى ينهاكم أن تحلفوا بأبائكم فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت".

فانظر إلى قوله ﷺ "فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت": تعرف أن الحلف بغير الله، ولو مما عظم الله كالكعبة والأولياء منهى عنه شرعاً.

الحلف بالطلاق

ومن بدعهم بالطلاق، وهو عليهم داهية دهياء، وقد وقع الكثير منهم فى بت الزوجة، وبقي معها إشارا للدنيا على الآخرة، فأصبح الكثير من النساء يلدن أولاد الزنى، وقد جاء مصرحا به فى حديث رواه الطبرانى عن أبى ذر أن رسول الله ﷺ قال "إذا اقترب الزمان يربى الرجل جروا: أى ولد الكلب، خير له من أن يربى ولدا له ولا يوقر كبير ولا يرحم صغير، ويكثر أولاد الزنى"، وفى رواية "يأتى على الناس زمان لأن يربى أحدكم جرو كلب أو خنزير من أن يربى ولدا من صلبه"، وجاء فى الحديث عنه ﷺ أنه قال "لا تحلفوا بالطلاق ولا بالعتاق فإنهما أيمان الفساق"، وهذا الأمر لا يخلو منه مجلس من مجالس الناس، بل ربما كان فى بيوت الله التى بنيت لذكره.

أما الأسواق فهى مقره وعشه وموضعه، الطلاقات فيها أسهل على العبد من دراهمه. ودينه عليه أهون من فلسه: فلا تكاد تجد سوقيا لامرأته عنده عصمة إلا ما قل وندر، ويرى الزانى زنى بغيرها، وأما بها فلا. لأنها سبقت لها روجية تبقى معه آخر عمره، وتلد أولاد الزنى، فيسمى هذا مولاي عتر، وهذا مولاي زعتر، ويتبجحون بالشرف بين الأقران، وهم أولاد زنى فى السر والإعلان.

وأفطع مساويهم فى هذا الباب: أمر خارج عن إجماع المسلمين لا يرضى به عالم من علماء الأمة العاملين، ولا يوجد فى المذاهب الأربعة قوا معمول به فيه مناقض لصريح السنة ونص القرآن الكريم، وهو رد المبتوتة لزوجها بدعوى أن طلاق الثلاث يعتبر طلقة واحدة ويتمسكون بخرافات مأثورة عن الخوارج.

ونص الفقهاء على أن هذا خرق للإجماع وحكموا بتفسيق من يفتى به ونقض الحكم به حتى قال بعض الشافعية فى حق ابن تيمية رئيس المحللين أنه ضاى ماضل خرق الإجماع، وقد كثر الأخذ اليوم بقول ابن تيمية هذا فى المشرق: بل حتى فى المغرب وأعرف بعض الناس من أهل هذه الأرض ممن أخذ بهذا القول، وعمل له وأفتى به بعد أن طلقها ثلاثا فى واحدة، والأمر لله. (فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور).

ومن مساويهم طلب الحلف بغير الله: لا يرضى الخصم بقوله بالله ولا والله: إنما يرضى بالحلف باسم الولى أو المصحف أو البخارى أو الطلاق.

ارتكاب المعاصى عند القدوم من الحج

ومن مساويهم: اتخاذ آلات الطرب من موسيقى ومزمار وطبل وغيطة وعايطات وشيخة، وغير ذلك من المناكر عند قدومهم إلا بلادهم من الحج، وهذا منهى عنه، ونحن مأمورون بتلقيهم وطلب الاستغفار منهم. فقد روى الإمام أحمد فى مسنده عن أبى عمر أن رسول الله ﷺ قال "إذا لقيت الحاج فسلم عليه وصافحه ومره أن يستغفر لك قبل أن يدخل بيته فإنه مغفور له".

فانظر بعينيك قوله ﷺ قبل أن يدخل بيته: أى قبل أن يلحقه ذنب: إذا الغالب على المخالطة ذلك. فكيف وهو قادم بالمعصية. من رقص ومزمار وغير ذلك. لقد ضاعت الفضائل، وأهملت الحقوق الشرعية.

وبالجملة فقد قضى أهل هذا العصر على الإسلام بما ابتدعوا، ولم يدعوا ركناً من أركانه إلا أوقعوا الخلل فيه: حتى الحج الذى جعل لغفران الذنوب، والخلوص من أحوال الجرائم، عبثوا به كل العبث.

والسبب الأقوى الموصل لهذا كون تلك الأموال التي تزودوا بها لبيت الله الحرام ليست بطيبة: بل جلها أو كلها من أكل أموال الناس بالباطل وكأن غرضهم الوحيد في ذلك اكتساب لقب [الحاج]. فلهذا لما يرجع الحاج إلى بلاده يقيم معالم الزينة، ويحضر الطبول والمزامير.

ويعلم الله: كم من المنكرات ترتكب في هذه المحافل، وكل هذه الأعمال منكرة لا يقرها الإسلام: بل ينكرها أشد الإنكار، ولكنها مع الأسف أصبحت فتنة لمن لم يعرف الإسلام: فيظن أن ما يفعله هؤلاء من الدين، ويتخذ من صور هذه المنكرات صورة يمثل بها الإسلام.

وبالجملته فالقول ما قال بعض حكمائنا عليهم رضوان الله. أن الإسلام شيء، والمسلمون شيء آخر، وقد أمر الله تعالى الناس إذا انتهوا من أداء المناسك أن يكثروا من ذكره حتى يشغلهم الذكر عن فعل هذه المنكرات. فقال الله تعالى: (فإذا قضيت مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا). وأنى لهم بهذا؟ وغالبهم اليوم إذا رجع من حجه رجع على أسوأ عقيدة وأخبث تجارة، وازداد حرصاً وساء عملاً وأمسك خيره، وأظهر شره، وحسبك ما ترى من حالهم اليوم.

وإننا نلتمن الله أن يوفق المسلمين إلى أداء هذه الفريضة على وجهها الصحيح حتى يسعدوا ويفلحوا، وما ذلك على الله بعزيز، ويعملون بقول عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) "من أتى هذا البيت لا يريد إلا إياه فطاف به طوقاً خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه" حتى لا يولون وجوههم نحو البلاد الأجنبية، والمصطافات اللبنانية. لقصد تجارة أو توصل لشهوة ونحو ذلك، والله الموفق.

حكم الزاروما يتبعه

ومن مساوئ بعضهم الشنيعة التي سجلت عليه حمقًا ما بعده حمق، وخرقًا ما بعده خرق: استحضاره طائفة اكناة لاستخراج الجن الذي حل بذات زوجته أو أمته أو ولده أو عن نفسه اعتقادًا منه أن ببركة حلول هذه الطائفة المجرمة محله ينتقل ذاك الجنى سيما والطائفة نفسها تدعى أنها من أخص سدنه الجن، وهذا كله من قلة عقله، وكثرة جهله.

والنساء لهن اعتقادات في هذه الطائفة وخرافات أو هي من الخرافات الإسرائيلية، وتشبيهات خرجت عن الأوضاع، ومجتها النفوس والطباع.

وهذه الطائفة في نفسها مركبة من نساء أو رجال، وغالبهم من نسل الحراتين، وكلهم فساق لا دين لهم، ولهم لعبات مثل قيام الغارات، أو تعفير الكلاب في الحارات، يدورون دورة، كأنهم في غارة أو غورة، ويدهم طبول وقاقيش وزعيق وعفرة، وصياح وغبرة، يتصدع من فعلهم قلب الولد، ويزداد همًا ونكدًا، وبعض رؤسائهم حامل تلك المجنونة أو المجنون على عاتقه يرقص بها، وصارت بهذه الفعلة مثلة بين الملا، مكشوفة الوجه والذات عند الجلا، وهذا من أقبح أفعالهم، وأتعس أحوالهم إذ لا يجوز هذا في الشرع، ولا يقول به أصل ولا فرع.

ورؤساء هذه الطائفة في لعبها يتلونون تلون الحرباء، فمرة يظهرون في لباس أسود مبرقع بالودع، ومرة أزرق، ومرة أخضر، ومرة أحمر، ومرة أصفر، وتجد النساء في هذه الحالة يبذلن لهم أموالا طائلة، وربما أقبل بعضهم في حالة هذه اللعبة على وجه كالعروس، ووجهه هو كوجه تيوس، ويأخذ بيدها، ويلمس ما شاء من جسدها، وربما أخذها ووضعها فوق رأسه وصار

يرقص بها، ويذكر لها أشياء يوهمها نه قد اطلع على مغيبات تقع لها إلى غير ذلك مما ينبغي أن تنزه قلمنا عنه .

البدع التي يفعلها الناس يوم عاشوراء ونصف رمضان

ومن عوائدهم الشنيعة شراؤهم لأولادهم يوم عاشوراء ونصف رمضان صوراً محرمة من الصور الحيوانية القائمة بنفسها ولها ظل وليس بها نقص، وهذه الصور النظر إليها حرام، ولا تدخل الملائكة بيتاً هي فيه .

انظر في هذا الموضوع كتابتا [الكشف والتبيان، عن حال أهل الزمان]، وكذلك شراؤهم لما يوضع من الحلالات على صورة الحيوانات التي عاشت اليوم ويدخلون ذلك دورهم ويجمعون عليه، وذلك حرام بلا كلام .

ولكن الحرام ي زماننا هذا صار واجباً، والواجب صار حراماً، نعوذ بالله من السلب بعد العطاء .

ومن مثالبهم في يوم عاشوراء تبرج النساء الجميلات بأنواع الزينة لزيارة القبور فيتأهبن يوم ذلك من طلوع الفجر بالزينة الفاخرة والملابس الزاخرة ويقصدون المقابر للزيارة، ومنهن من لا قصد لها بذلك، وإنما غرضها الأهم ما يحدث فيها من كثرة تلك المجموعات على اختلاف أنواعها المعدة في هذا اليوم المعروفة بالحلاق المهيأة للعب واللهو وجميع أنواع الباطل نظير ما يكون عشية كل يوم بجامع الفناء عندنا بمراكش .

وهناك ترى اختلاط الرجال بالنساء كاختلاط الدم باللحم فتوصل المرأة في ذلك اليوم لمتهى غرضها من الزنى، سيما والزيارة للقبور خارج البلاد ولا سكنى هناك ولا مراقبة، وقد توصلت للحرية من كل وجه، والشيطان

فى ذلك اليوم يفعل أفعاله المعروفة به من جلب الرجال على النساء وميلهن لغير أزواجهن، ومتى توصلت المرأة لشهوتها رجعت لديوثها حاملة شاكرة له على تلك النعمة العظمى التى أسدل عليها بها فى هذا اليوم، ألا وهى خروجها لتلك المقابر، ولو رأيت تبسمها فى وجهه وفرحها به وكثرة طاعتها له فى هذا اليوم طاعة لم يكن يراها لرأيت لعجب؟ فيظن الديوث المتعوس أن ذلك ببركة زيارة تلك القبور الرميمة فيتمنى أن لو كانت الأيام كلها عاشوراء، ولم يدر أن تلك الطاعة من وضع تلك البضاعة التى كانت سبباً فى اختلاط النسب وفساده.

ولعله يتحقق بها عند بروز تلك النطفة وإخراجها لعالم الظهور، فيرى إذن صورة لا تشابه صورته ولا صورة زوجته ولا صورة أقاربه: بل ربما يراها فى صورة عبد أسود أو أزرق العينين أو أجلف غليظ الأنف إلى غير ذلك من الصور التى تحزنه وتخزيه فى الدنيا والآخرة، (وما ربك بظلام للعبيد).

وقد نهى رسول الله ﷺ عن زيارتهن ولعنهن. فقال: "لعن الله زوارات القبور" رواه الإمام أحمد والترمذى عن أبى هريرة، وقد قدمنا ما يقع من المفاسد فى هذا اليوم فى جبانات المسلمين بين الفتيات والشبان: بل والكهول، ولذلك سد هذا الباب رسول الله ﷺ بالنهى عنه، وقد أجاز لعلماء زيارة المتجالة التى انقطع منها أرباب الرجال أو التى لا ينظر إليها بشرط الأدب والدعاء أو القراءة أو التصديق لا غير. وأما إذا كانت تفعل حراماً فحرام زيارتها.

وأما زيارة الرجال فمندوبة ووردت بها السنة. فقد كان رسول الله ﷺ يزور أهل البقيع ويدعو لهم. وقال "كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا

فزوروها. فإنها ترق القلب، وتدمع العين، وتذكر الآخرة، ولا تقولوا هجرًا" رواه الحاكم عن أنس. والهجر بضم فسكون: فحش الكلام.

ومن المناكر الشيعة التي ترتكبها عامة أهل هذه الأرض في ليلة عاشوراء وقبلها بنحو عشرة أيام استعمالها للعبة المعروفة عندهم بالدقة هكذا وهي لعبة قائمة من ثلاث آلات: تعريجة وبندير وقرقيش. أما أصحاب التعريجة فعدد كثير جداً، وأما البندير فواحد لا غير كالقرقيش، والتعريجة على لغتهم آلة من تراب مجوفة مجلدة بالجلد، والبندير آلة كورية من عود مبطن بالجلد، والقرقيش آلة من حديد معروفة، أما نوع التعريجة فيباع بكثرة بعد استهلال المحرم، ولأهل هذه الحركة رواج وربح كبير فتجدهم يستعدون لهذه الحركة من أول السنة إلى آخرها، وربما يبيع كل يوم من هذا النوع آلاف عديدة بداخل البلاد وخارجها حيث صار شراء هذه الآلة في هذا الإبان من الفرائض العينية، على كل أحد من أهل هذه الحضرة، وكذا بخارجها من جميع القبائل المتصلة بها واستوى في ذلك العالم والجاهل، والعالى والسافل. والخابل والنايل، والرفيع والوضيع، والغنى والفقير، والمأمور والأمير. والعزیز والحقير، والكبير والصغير، ومن هذا الإبان والبلاد وأهله السلمون من هذه اللعبة الباقية من آثار الجاهلية الأولى في فتنة عظيمة من صياح تلك التعاريج على كثرتها ليلاً ونهاراً.

ولا تسأل عما تقاسيه المرضى من هذا الصداع في هذه الأيام: أى الأيام التي اجتمع فيها الحمق بجميع أنواعه.

وكيف لا وقد قام بهذه اللعبة نساء أهل مراکش كلهم إلا ما قل وندر، وكذا الصبيان والمراهقون والشبان والكهول والشيخوخ، ولو رأيت حالهم فى

هذه اللعنة خصوصاً الليلة العاشرة من المحرم المذكور، وحلقتهم كسلسلة منظمة بها من هؤلاء المجانين ما يقرب من الخمسمائة: بل زيد وهم فى عناء شديد من أجل تلك اللعبة التى كانت بدايتها من الثلث الأول من الليل وأخرها بعد طلوع الفجر .

وهكذا فى كل حومة من أحواء مراكش، والنساء كذلك فى الطرق والأزقة والدروب متبرجات بأنواع الزينة والملابس الفاخرة لحكمت على الجميع بالجنون والانسلاخ من الإنسانية، وبأن البلد فارغة من العلماء وممن بيدهم الحل والربط .

وهذه اللعبة إحدى المناكر الفظيعة التى عم بمراكش ضررها، وشاع شررها .

ولو اهتم علماء الوقت بهذه المعضلة أيما اهتمام، وأمروا جناب أمير الوقت حفظه الله ليأمر بتجنبها والانسلاخ عن خبثها لانقطعت مادتها .

ويقرب من هذه الليلة: الليلة السابعة والعشرون من رمضان . فلا تسأل عم يقع فيها من اختلاط النساء بالرجال بالزينة الفاخرة، والملابس الباهرة، وذلك من الثلث الأول من الليل إلى طلوع الفجر .

ولا مفهوم لمراكش فى هذا: بل حتى فى حضرة فاس وغيرها من المدن المغربية، وأعظمها فى ذلك مدينة فاس، ولا ناهى ولا منتهى، والأمر لله .

طواف الطائفة العيسوية على البيوت قرب

إبان المولد النبوى .

ومن المناكر الشيعة أيضاً: تطوف الطائفة العيسوية على أبواب الديار المراكشية قرب إبان المولد النبوى .

وهذه الطائفة التسعة النحسة الشيطانية قد افتقرت على عدة فرق كادت أن تكون كفرق بنى إسرائيل الاثنتين والسبعين، وكل حومة من أحوام مراكش بفرقة منها، ويبد كل منها طبل وشبابات ويناديون ورفع الأعلام، وآلاتها هذه لها أصوات بشعة تمجها الأسماع وتأبأها الطباع، وتتصدع من صياحها الرءوس خصوصاً المرضى، ومهما توجهت إحدى هذه الطوائف المنحومة لدرب من الدروب تجد النساء مصطفة بأبواب الديار وفوق السطوح تنتظر إقبالها عليها لأجل دفع الزيارة والنذور.

فمنهن من يرمى لهم ثياباً أو سكرًا أو طعامًا أو مالا، وهذا حال الصالحات منهن، وأما الفاجرات فيخرجن إليهن ويخالطن مخالطة الزوج لزوجته. فمنهن من ترقص بين أيديهم عند زيادة ارتفاع أصوات تلك الآلات حتى تنكشف عورتها بمرأى منهم، ومنهن من يأخذ بيد من أسكره حسننها وخبل عقله وأعمى بصره وبصيرته، ويصبر إذن يبرق عليها ويلحس يدها لأجل أمتها من لسع العقارب الصيفية كما يزعم، وليس مقصوده هذا بل ليرجد السبيل وساعده من كان من زميرته لأفرغ حاجته منها بين أيديهم، وربما كان ذلك سبباً لوقت آخر، وربما قدم زوجها وهي على تلك الحالة فلا يتكلم معها بكلمة تغضبها: لأنه كذلك يعتقد أن هذه الطائفة المجرمة من صلحاء الوقت .

وغاب عن الديوث الأعمى أن هذه الطائفة أقوام اتخذوا حيلة شيطانية لاقتناص الدنيا، وهم شياطين متعددة. فمنهم من يمسك الحية العظيمة، ويدور بها على الأبواب وفي الأزقة والشوارع ويقول المدد يا ابن عيسى، وما ذاك إلا أنه جوع تلك الحية حتى أشرفت على الموت ولم يبق من قوتها الأَمْحَض الحركة لأجل ما نقاسيه من الجوع، ومنهم من يزيل أسنانها حتى لا يمكن لها أن تلدغه، ومنهم من يدهن يديه بأدهان خاصة لدفع ألم السم وهي معروفة. انظر هذا الموضوع في كتابنا [اليواقيت العصرية] تر العجب، ومنهم من يقطع شوكة العقرب، وهكذا، والحيل كثيرة في كل حركة، ومنهم صاحب بندير لا حركة له إلا السعى على الأبواب لأجل أن يجد فرصة في سرقة أو نكاح امرأة، وغالبهم لصوص إلا أنهم تستروا بالسؤال، وكم لهم من نظير، ومنهم أولاد سد البقال أصحاب الكذب الحبريت والترهات الغريبة.

وبالجملته فكل من أعطى لهؤلاء شيئاً من المال فقد أعانهم على ما هم فيه من الضلال، على ضلالهم وقبائح هؤلاء أشهر من أن تذكر. وسنفردها تأليفاً ولغيرها من مساوى أهل كل طريق: خصوصاً هذه الطرق الوقتية، ويسمى [سبيل التحقيق]، في كشف الغطاء عن مساوى أهل كل طريق] زيادة على ما أشرنا به في هذه الرحلة، والله الموفق، ولا رب سواه.

حال غالب الناس في إخراج زكاة الفطر

ومن مثالب غالب أهل هذه المدينة التساهل في زكاة الفطر فتارة لا يخرجها الرجل أصلاً وتارة يخرجها ن نفسه فيط، مع أن الشارع أوجبها عليه

عن نفسه، وعمن تلزمه نفقته كأب وأم فقيرين وأولاد وزوجة، وقد ورد "صوم شهر رمضان معلق بين السماء والأرض لا يرفع إلا بزكاة الفطر" قال الحافظ المنذرى رواه أبو حفص بن شاهين فى فضائل رمضان عن جرير (رضى الله عنه)، وقوله لا يرفع إلا بزكاة الفطر: أى بإخراجها عنه وعمن تلزمه نفقته ولو بتسليف إن وجد من يسلفه ويرجو الوفاء، بل ربما أخرجها نظراً لوجوبها عليه وأعطاهما لأمه الفقيرة مثلاً جهلاً منه بالحكم والفقه: إذ كل من تلزمه نفقته لا تدفع له الزكاة، وكثيراً ما تقع العامة فى مثل هذا فلينبهوا.

ما يصنعه الناس فى جلد الأضاحى

ومن مثالبهم أنهم يبيعون جلد الأضاحى وهو ممنوع شرعاً لقوله ﷺ "من باع جلد أضحيته فلا أضحية له" رواه الحاكم عن أبى هريرة، ولو تصدق به لكان ألقى بشأنها حيث أنها خارجة مخرج الصدقات، ويجوز الانتفاع به فى منافع البيت إن لم يتصدق به فاعلم ذلك.

تغيير الناس ألفاظ الذكر والتسبيح والاستغفار

والصلاة على النبى ﷺ

ومن منكرهم الشنيعة أيضاً تغييرهم لألفاظ الذكر الواردة فى السنة والزيادة فيها بما ليس منها كقولهم لا إله إلا الله رب وحده لا شريك له الخ ولفظه رب زيادة عن الوارد، ولا يخفى أن الزيادة فيه ممنوعة بالاتفاق. وأيضاً فالزيادة مانعة من ورود النفحات.

ومن ذلك الاستغفار فالغالب على السنة أهل الوقت أنهم يقولون حالة اشتغالهم بالاستغفار أستغفر الله بسكون الراء: أى بصيغة الأمر لا بصيغة المضارع، وهو ضم الراء.

فلهذا تراهم لا يؤثر فيهم الاستغفار، وإن استغفروا آتاء الليل وأطراف النهار، وذلك حيث أخرجوه عن قانونه الرعى. ولأجل هذا قيل استغفارنا يحتاج للاستغفار: لأن الأشياء كلها إذا أخرجت عن قوانينها الوضعية لها تعد وزراً فاعلم هذا.

ومن ذلك قولهم: اللهم صل علىك أرسول الله بهذه الصيغة التي لم ترد في السنة، ولا يخفى ما فيها من البشاعة: لأن المعنى الذي يقتضيه هذا اللفظ هو أنهم يطلبون من الله على نفسه الكريمة ثم بعد ذلك يقولون: أرسول الله بتقديم همزة الاستفهام، والمشهورون بهذه الهمجية والتصلية التي لم يأت بها كتاب ولا سنة: الطائفة المعروفة بالسياقة لأضرحة بعض أولياء مراكش يوم الأربعاء. فهي دينهم في جميع مجالسهم.

ولقد كلموا مراراً في شأنها والانسلاخ منها فأبوا إلا بالعكوف على اتباع الأهواء، والميل عن جادة الهدى. زيادة على ما هم فيه من تلك الحالة السيئة.

ومن ذلك قول غالب الناس إذا فرغ من شغل أصلا على النبي بهذا اللفظ البشع، ومعناه النار على النبي. قال في المختار: صليت اللحم وغيره من باب رمى: شويته، ويقال أيضاً صليت الرجل ناراً إذا أدخلته النار وجعلته يصلها. فإن ألقيته فيها إلقاء كأنك تريد إحراقه. قلت أصليته بالألف وصليته تصلية، وقرئ (ويصلى سعيراً) ومن خفف فهو من قولهم: صلى فلان النار بالكسر يصلى صلياً: أى احتراق. قال الله (هم أولى بها صلياً) اهـ.

ومن ذلك قولهم فى الدعاء الله يعمل سيدى ربه بهذه الصيغه المنكرة
المقتضية للتشريك، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

وبالجمله فغالب أذكار الناس اليوم، وكذا أدعيتهم كلها على صورة
منكرة، واستوى فى هذا العالم والجاهل، والأمر لله .

عوائد غالب الناس فى ليالى رمضان

فقال الشيخ عبد الهادى لعبد الباسط: وما قولك فى عوائد أهل أرضك
فى شهر رمضان؟ قال عبد الباسط: أما عوائدهم فيه فأمور تزرى بأمر الدين،
وذلك من تأخر الزمان وفساد الخلق، وهمجية الطباع .

من ذلك قولهم . انكسر ظهره: يقوله الصائم إذا اشتد عليه حال
الصيام . قال ابن حجر فى الزواجر: تمنى زوال رمضان من الكبائر ا هـ . وهو
وإن كان بغضاً للعبادة يخشى منه الكفر، وأمثال هذا القول .

ومما يخالف تعظيم شعائر الله: قول العوام آخر رمضان أنه: أى رمضان
كادت روحه أن تخرج .

ومنه أيضاً قولهم: رمضان فى هذا العام صعب أو مر أو ثقيل أو
ضايقنا أو متى يفارقنا، وهذا كثير .

فبعد أن كان ينتظره المسلم كما ينتظر حبيباً غائباً ويفرح بقدمه كما
يفرح لقدم غائبه: أصبح عند بعض المسلمين مكروه المجرى .

ومن مثالبهم اعتناقهم الصوم دون الصلاة، وربما صام بعضهم الأشهر
الثلاثة رياء وسمعة .

فانظر إلى هذا الغبى الجهول كيف هانت عليه مقاساة الجوع والعطش

ولم يرغب فى أداء أربع ركعات زمنهن أربع دقائق، وكذا أخواتها، وفيهن نجاحه، وكيف اعتقد أن الله يقبل منه صومه مع تركه عماد الدين وأساسه، ألا وهى الصلاة.

وكثيراً ما نرى هذا الأمر فى النساء وسكوت الرجال على ذلك مع اختلاف العلماء فى جواز نكاحهن بهذه المثابة.

ومن الناس اليوم من لا يصومه البتة مع كمال صحته. وإنما جوز له ذلك التداخل مع الأوروبيين، وربما صام بعضه وترك الباقي.

ومن عيوب غالبهم اتخاذ سهرات فى دورات أهل الفسق خارجة عن طور أهل الدين متمثلة بالاعتياب والذهاب والمجىء فيما يضر ولا ينفع، وربما كان هناك قارئ اتخذوه شهرة كما هى عادة الناس اليوم لأجل أن يغسلوا تلك الجرائم والكبائر التى أحببت أعمالهم وتركتهم فى غيهم يعمهون وهيئات هيات، بل ما يزيدهم ذلك إلا فتنة وضلالة حيث لم يعملوا به ووضعوه فى غير محله.

ثم نجد فى مثل هذه المجالس الشيطانية منهم المنكب على اللعب بالشطرنج، ومنهم المنكب على اللعب بالنرد أو الضامة أو الكرطة، ومنهم المنكب على سماع الأوتار والمزامير، ومنهم المنكب على قراءة الأزلية والعنترية وألف ليلة.

وضف لهذا استعمالهم لشرب الدخان بكثرة حتى ترى الدخان متصاعداً من بينهم كغبار ظهر بقوة صير من حل به لا يكاد ينظر ما أمامه، فترى الكل غرقى فيما هم فيه حتى إذا حان السهر تناولوا لذائذ الأطعمة وناموا نومة الغفلة فلا يصحو أحدهم إلا والشمس فى رابعة النهار.

ومنهم من لا يستيقظ إلا بعد العصر أو قرب المغرب. وهؤلاء لما انعكست طبيعتهم عكسوا الزمان قصيراً ليله نهار ونهاره ليلاً.

وكان الناس فى القديم فى هذا الشهر ما بين قائم يصلى وذاكر وملح فى الدعاء، وصار غالب أهل الوقت ما بين معتاب وسباب وغافل رافل فى حلل الشقاء.

ومن عيوبهم أيضاً فى هذا الشهر صرف أوقات النار فى الباطل. فنقد رأيناهم إذا سئموا الصوم واستطالوا اليوم عمدوا إلى قطع اليوم فى النوم كما قدمنا أو إلى أكاذيب دونها البطلة من الغافلين لجمع الحطام الفانى كقصة ألف ليلة وليلة، أو الأزلية، أو العترية، أو كتاب الملك الهضام، أو رأس الغول، أو كتاب أبو زيد الهلالي، أو كتب الروايات فى الغول والهزل، والجراند المجموعة من حيث هيان بن بيان، فيمضون اليوم يملأون صحائفهم بأكاذيب الكاذبين وأحاديث المبطلين، يرون فى ذلك أكبر لذائذهم، وحق إن القلب إذا صرف عن الله وعزب عن الحق عشق الغفلة واللهو، وفى الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ أنه قال "لست من دد ولا الدد منى" رواه البخارى فى الأدب عن أنس (رضى الله عنه). والدد: اللهو واللعب.

فانظر إلى تبرى رسول الله ﷺ من اللهو وأهله، وبعضهم يقضى اليوم فى لعب الكرطة أو الضامة أو غير ذلك:

ويا ليت أمورهم تقف عند هذا الحد، بل ربما ضربوا الدف، أو المزمار، اشتغلوا بالغناء.

حكم اتخاذ الفونوغراف

ولقد زاد عتوهم فاتخذوا آلة تسمى عند الفرنجة " الفونوغراف " وهي المعروفة عندنا بمكنة الغناء، لا يتخذها إلا من لا خلاق له عند الله، ولا يتكلم فيها بالحيلة إلا أهل الأهواء الضالون المضلون.

إذ لا فرق بينها وبين آلات اللهو المحرمة بالكتاب والسنة.

فاتخاذها حرام، والتعيش بكرائها من أكل أموال الناس بالباطل، وكل ما يجرى على آلات اللهو يجرى عليها، بل هي أعظم لكونها اشتملت على مناكر عديدة، كحكاية أصوات النساء التي تكاد تحرك دواعي العشق والشهوات، ولو من الشيوخ. ولا يخفى أن سماع أصوات النساء على سبيل التلذذ حرام.

وزد على ذلك حكاية أصواتهن في الموالات المشرقة، والمغربية، والتونسية، والأندلسية، والجزائرية، والأوروبية، والتكسر، والتفنج الذي يقتضى فناء الحس، حتى يغيب السامع عن حواسه.

وربما خيل له الاستمداد الشيطاني حالة تلك الأصوات المتنوعة كأنه بين أيدهن، وربما خرج ذلك الخيال إلى دائرة الوجود، فيصبر يجتهد في تحصيل نظير ما سمعه من تلك الأصوات المتنوعة بأي وجه كان: من سرقة، أو خيانة، أو ادعاء حق على الغير بباطل، أو بشهادة زور، ولو يبيع بعض ما يملكه، حتى يدركه على وفق مراده.

إذ القائم بهذه الأصوات على اختلاف أنواعها اليوم موجود عندنا بمراكش، بل وفي كل مدينة من مدن المغرب.

والنساء المختصون بهذه الحركة معروفون، ولهن رئيس ومراقب، فكل من أرادهن لأجل هذا العمل أو غيره كما لا يخفى، ذهب إلى رئيسهن وعين له منهن ما يريد ولو واحدة، فينفذ له ذلك بعد إعطاء شىء من المال.

وهذا الأمر شائع فى الوقت لا لوم على مرتكبه من جهة المتولين، والأمر لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وهذه إحدى المناكر التى صار عملها فى جنس الدين كعمل المنشار فى جسم الخشب، وكاد الدين وأهله أن يموت كمدا.

وزد على ما ذكر مما يتعلق بهذه الآلة المحرمة التصريح بالقصائد الملحونة الممزوجة بالسفه، والفحش، والوقاحة. والعشوق.

وزد على ذلك الحكايات والتمثيلات الموضوعه بها، المشتملة على مساوى الخلق، والتلاعب بالدين، وكشف جلباب الحياء إلى غير ذلك مما يطول بنا ذكره، فإن لم تكن بهذا حراماً، واتخاذها حراماً، وبيعها وشراؤها حراماً، وسماعها حراماً، فليس لله على وجه الأرض حرام.

وفى الحديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال "لعن المغنى والمغنى له" رواه الديلمى فى الفردوس.

وهذه الآلة الخبيثة الذميمة، والداهية العظيمة، التى أصيب بها أهل هذا القرن الرابع عشر، قد انتشرت وعم ضررها، فلا تجد طريقاً من طرق مراكش، ولا سوقاً من أسواقها سالماً منها، بل وكذا غيرها من مدن المغرب.

وقد اتخذها اليوم عدد من أرباب الحوانيت تجارة، وقد قدمنا أن التعيش بها من أكل أموال الناس بالباطل، وكل ما يجرى على آلة اللهو يجرى

عليها، بل هي أكبر في الإثم بسبب تلك الوجوه التي قررناها، خلافاً للزاعمين أنها من ثمرات هذا العصر الذي هو عصر المدنية والعلم كما يزعمون وهذا هو الزعم الزيفي، الذي صير أبناء هذا الزمن كالذين قال الله فيهم [لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام، بل هم أضل، أولئك هم الغافلون].

وهل هذه الثمرات التي ادعوها؟ نافعة أو ضارة، وهل وصلت إلينا من طريق المقت والاختيار، أو من طريق المنة والاعتبار.

بل والله أنها لمن طريق المقت والاختبار، ولكن أهل هذا العصر لا يشعرون.

ولما كان حالهم هكذا توالى فيهم الزايات، وتعاقبت عليهم النكبات فلا ترى مصراً من الأمصار في الكرة الأرضية، ولا قرية من القرى إلا وقد انتشرت في أفنانها الفتن، وتوطنت في بيوتها الرزايا والمحن: إما دينية، وإما دنيوية.

ومن المعلوم الضروري أن الرزايا الدينية لا تصيب سعيداً أصلاً، ولا تطرق إلى قلوب أهل الإيمان. وأما الرزايا الدنيوية فقد يصاب بها السعداء كما يصاب بها الأشقياء، وذلك لأن الله تبارك وتعالى يعطي الدنيا لمن يحب ويبغض، ولا يعطي الآخرة إلا لمن يحب، كما قال رسول الله ﷺ. والدين هو طريق الآخرة، وهذه الطريق هي طريق النجاة للسعداء، فلو رزئ فيها سعيد لأصبح شقيماً.

وأما رزايا الدنيا فقد تكون سبباً لنعيم الآخرة، فإذا رزئ السعيد في الدنيا فقد تمت سعادة آخرته. نرجع لما نحن بصدده.

ومن أعظم آفات هذه الآلة: أن الرجل الجهول يساعد زوجته على كرائها أو شرائها، إن كان غنيًا فيصرف فيها الأموال الباهظة، ويعلم أنها جمعت فنونًا من ضروب العشق والفساد والتغنى والرقص على أفضع تلك الهيئات المنكرة المتعددة من عدة أرضين، بل من المعمورة كلها، فيصبح الرجل وقد امتلأت حافظه زوجته بتلك المناكر على أنواعها.

ولكن الناس اليوم لا يفرقون بين الضلال والهدى، أليس من الفسق، بل من العار أن يساعد الرجل زوجته على إدخال منكر صريح لبيته، وذكر مساوى جمة كانت عنها بمعزل، وكذا إدخال العيافات والشيخة والحدرة لأجل الحناء التي ترتكبا في كل سنة، بل في كل شهر.

وهي من أعظم شبكاتهن الشيطانية، وكم لهن فيها من المساوى الفظيعة التي ينبغي لنا أن ننزه قلمنا عن إفشائها.

فتجد الرجل إذن يتحمل حول تلك الحافات والمهاوى ما يكاد يصيره رفا خالصًا للديون العقارية، وخلا لتلك الأزمة التي يعانى بوجودها ما يغيبه عن الضرورات الدينية، ولكل [فإننا لا تعمى الأبصار، ولكن تعمى القلوب التي فى الصدور].

البدع المرتكبة فى الصوم

فقال عبد الهادى: حسبك أتمم لنا عوائد قومك فى الصوم، قال نعم ومن مثالبهم اشتغالهم بالفطور عن الصلاة، فيجلس الرجل فى بيته للأكل والشرب، ويصلى المغرب مع العشاء إن لم يبيتهما، فهذا ترك دينه بحظ الطعام والشراب، والمغرب عندنا معشر المالكية وقتها الإختيارى الذى

من أحرها عنه لغير عذر شرعى، فقد أثم إنمًا كبيراً هو بعد غروب الشمس بقدر فعلها بعد تحصيل شروطها.

وقد أورد أن عبد الله بن عمر بن الخطاب (رضى الله عنهما) آخر المغرب حتى رأى نجمين فى السماء، فأعتق رقبتين كفارة لذلك التأخير.

وبعضهم من أهل الدين يشتغل بالصلاة من غير تقديم فطر على تمر أو غيره، وذلك أيضاً مخالف لعمل أهل الدين من المسلمين. إذ السنة تقديم الفطر على تمر أو تمرات مثلاً، أو جرعة ماء لا غير ثم يصلى المغرب.

فى الحديث الشريف أن رسول الله ﷺ قال " لا تزال أمتى بخير ما عجلوا الفطور، وأخروا السحور " رواه أحمد فى مسنده عن أبى ذر.

ومن مثالبهم تقديم السحور، فيتسحرون فى نصف الليل، ولو لم يكن فيه إلا مخالفة السنة المحمدية، وإرشادات النبى ﷺ التى جمعت الحكم السنية التى تدق عن نظر الجاهل لكفى ذمًا.

ولتعلم أن الحكمة فى تقديم الفطر لإراحة النفس من بعض حظها، وفى تأخير السحور إعانة لهم على معاناة الأشغال الدينية والدينية.

إذ من أكل قبيل الفجر بقليل فكأنه تناول غذاء الصباح، فىكون ذلك أعون له على أمره.

وفى صحيح الإمام البخارى عن أنس بن مالك (رضى الله عنه) " أن نبى الله ﷺ وزيد بن ثابت (رضى الله عنه) تسحرا، فلما فرغا من سحورهما قام نبى الله ﷺ إلى الصلاة فصلى: * قلنا لأنس كم كان بين فراغهما من سحورهما ودخولهما فى الصلاة؟ قال كقدر ما يقرأ الرجل خمسين آية *"

قلت: وقد قدر المحققون ذلك بقدر ما يقرب من عشرة دقائق في القراءة المتوسطة، خلافاً لمن زعم أن ذلك قدر عشرين دقيقة.

ومن مثالبهم الشنيعة اتخاذهم أصحاب النفير بداخل بيوت الله فوق الصوامع في شهر رمضان خصوصاً مساجدها الكبار.

ولا شك أن هذا الفعل من البدع القبيحة التي حدثت في الدين. وأيضاً فأصحاب هذه الحرفة من السفه بمكان.

ومنهم من يرتكب أعلى وجوه الفسق من زنا ولواط وشرب خمر، وشرب دخان بداخل المسجد، أو بمنارته. ولا فرق بين أصحاب النفير والشباب: أي الغطاء، فحكم الكل واحد.

ومن أغرب ما يسمع أنك ترى السواد الأعظم من المسلمين، وفيهم الأمراء والعلماء، والكل يدعى الصلابة في دينه، فتراهم لا يتألمون من هذه البدعة الشنيعة التي تزرى بالدين وأهله، بل قصاراهم فيها إذا عرضت عليهم المساوىء الحالة بها والمتولدة منها أن يسلبوا أنفسهم بأن هذه المفضعات كانت سابقاً، والحجة على السابق، وهذا العذر لا يجدى شيئاً.

على أن الأولى والأليق بأهل هذه الحرفة أن يؤمروا بالمرور في تلك الساعات على أبواب الديار، ويدورون على الدروب دورة بعد دورة إلى أن يتموا ذلك القدر المعروف من خدمتهم بأعلى الصوامع.

وهذا أعظم منفعة للناس في الاستيقاظ بخلاف العمل الذي هم عليه اليوم، فمن الناس من يسمعهم إذا كان قريباً منهم، ومنهم من لا يسمع إما لبعدها الصوامع، وإما لخياتهم التي ارتكبوها في هذه الأيام من كونهم يروحون

على أنفسهم حتى يخرج ذلك النفخ من بين أشداقهم خفيماً وهو يقتضى خفة صوت النفير ولا بد.

وهذه الخيانة قد شعر الناس بها اليوم، واشتكوا من ذلك مراراً، والأصوب في حقهم ما ذكرنا.

عيوب غالب القراء اليوم

ومن عيوب غالب القراء اليوم خصوصاً أصحاب التراويح أنهم غيروا كتاب الله بمغانيهم وأصواتهم التي يستهون بها عقول البسطاء من أهل الإسلام الذين لم يتذوقوا روح الدين ولم يعرفوا معنى الإيمان، فيجربى القارئ على حسب غنائه، لا على حسب قاعدة القراءة، فيأثم ويأثم اخاضرون.

فلا تشك في حرمة هذه القواعد من هذا القارئ، ووزر من دعاه إليها وسمعه، لأن القرآن نزل على رسول الله ﷺ بأحكام مخصوصة وتلاوة معروفة من حاد عنها فسق عند أهل العلم قاطبة.

فتراه يذهب ويجيء في التغنى بكتاب الله حسب هواه حتى لا تظنه إلا رب عود أو شباة، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

وبالجملة فقد أصبح أمر الدين لهواً عند البعض وتركوا عند الآخرين.

ومن المثالب والمناكر التي لا يحل السكوت عنها ما يقع في ليلة القدر من لعب الصبيان وإقدامهم على الإمامة التي ليسوا لها بأهل. وسكوت من بيدهم الحل والربط على ذلك.

المنكرات التي يرتكبها الناس في زكاة الفطر

ومن منكرهم في صدقة الفطر زيادة على ما قدمنا، وإن كان جلهم يخل بها كل البخل. ولكن لهم فيها منكر: منها إعطاء الرجل أمه أو أمه زكاة فطره، وهي بهذه المثابة باطلة، إذ لا يجوز شرعاً إعطاؤها لمن تلزمه نفقته، والأم والأب الفقيران تجب نفقتهما عليه، فلا تجوز لهما، بل يخرج عنهما كما ينفق عليهما، ومثلهما في ذلك كل من تلزمه نفقته، بل وخدام أحد أبويه الرقيق كما نص على ذلك الفقهاء.

ولا ينبغي للرجل أن يولى زوجته أمر الزكاة، لأنها لا تصرفها إلا لغير مستحقها، وذلك كإعطائهما لقيمة الحمام والخباز والقابلة والكراب، وأمثال هؤلاء.

ومن مثالبهم دفع ردىء الحب فيها، فتراهم يبحثون على ردىء الزرع أو الشعير ليخرجوها منه، وهذا لا يجوز.

ومن مثالبهم إخراجها نم غير غالب القوت، وذلك لا يجوز إلا إن كان المخرج من أعلى مما هو غالب القوت كأن يخرج برأء، وغالب قوت البلد الشعير، فهذا مستحسن لا كلام فيه، وأما العكس فلا يجوز كما شاهدناه من عدد من البخلاء.

ومن مثالبهم تساهل الفقراء في إخراجها مع أن الفقه يوجب إخراجها مما فضل عن قوته وقوت عياله يوم العيد ولو كان صاعاً واحداً، بل وجب أن يخرجها متى قدر على التسلف عن نفسه ومن تلزمه نفقته كوالديه وأولاده وزوجته ومن ذلك من ولد قبل فجر العيد. وفي الحديث الشريف أن رسول الله ﷺ قال "صاع من بر أو قمح على كل امرئ صغير أو كبير حر أو عبد

ذكر أو أنثى غنى أو فقير" رواه الإمام أحمد في مسنده. وعن ابن عمر (رضى الله عنهما) قال "فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر من رمضان صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير على العبد والحرة والذكر والأنثى والصغير والكبير من المسلمين" رواه البخاري ومسلم.

وعن ابن عباس (رضى الله عنهما) قال "فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين، فمن أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات". ولا بد من إخراج زكاة الفطر قبل صلاة العيد لتكون زكاة مقبولة كما جاء في الحديث، ولينتفع بها الفقير والمساكين في وقت الحاجة.

ويجوز إخراجها قبل العيد بيوم أو يومين كما قال البخاري نقلاً عن أفعال السلف، والأولى تخصيصها بالفقراء والمساكين دون غيرهم من بقية الأصناف الثمانية، لأن رسول الله ﷺ كان يخصهم بها، ومن تفكر في أحوال المسلمين، وعلم أن إخراجها في ليلة العيد أو قبلة بيوم أو يومين من الحنطة لا يكاد يفيد الفقير ولا يغنيه في ذلك اليوم عن المسألة وجد أنه لا مانع من إخراج قيمة الحب والحنطة ونحوهما، لأن القيمة أنفع للفقير وأيسر، ومراعاة بقاء الروح والمقصود في التشريع أولى من الوقوف عند الألفاظ، والأعمال بالنيات.

حكم النذر لأضرحة الأولياء وشد الرحال إليها

ثم إن الشيخ عبد الهادي كان الله له ورضى عنه قال: لعبد الباسط وما قولك في عوائد أهل بلدك في النذور لأضرحة الأولياء، وشد الرحال إليهم؟ فقال: أما من حيث النذور في بلادنا اليوم، فلهم فيها ابتداعات قضت على

أمر الدين، وتمكن إبليس اللعين من إدخال الفساد على الإسلام وهله من هذا الباب حتى لا ترى مسلماً اليوم إلا وهو بالثنى أشبه إلا ما قل.

جاء الإسلام بعقيدة التوحيد ليرفع نفوس المسلمين ويغرس في قلوبهم الشرف والعزة والأنفة والحمية وليعتق رقابهم من رق العبودية لغير الله فلا يذل صغيروهم لكبيرهم وولا يهاب ضعيفهم قويهم، ولا يكون لذى سلطان بينهم سلطان إلا بالحق والعدل.

وقد ترك الإسلام بفضل عقيدة التوحيد ذلك الأثر الصالح في نفوس المسلمين في العصور الأولى فكانوا ذوى أنفة وعزة وإباء وغيره يضربون على يد الظالم إذا ظلم، ويقولون للسلطان إذا جاوز حده في سلطانه قف مكانك ولا تغل في تقدير مقدار نفسك، فإنما أنت عبد مخلوق، لا رب معبود واعلم أنه لا إله إلا الله.

هذه صورة من صور نفوس المسلمين في عصر التوحيد. أما اليوم، وقد داخل عقيدتهم ما داخلها من الشرك الباطل تارة والظاهر أخرى. فقد ذلت رقابهم، وخفقت رءوسهم، وصرعت نفوسهم، وفترت حميتهم، فرضوا بخطة الخسف واستناموا إلى المنزلة الدنيا، فوجد أعداؤهم السبيل إليهم فغلبوهم على أمرهم، وملكوا نفوسهم وأموالهم ومواطنهم وديارهم، فأصبحوا من الخاسرين.

والله لن يسترجع المسلمون سالف مجدهم، ولن يبلغوا ما يريدون لأنفسهم من سعادة الحياة وهنائها إلا إذا استرجعوا قبل ذلك ما أضاعوه من عقيدة التوحيد، وأن طلوع الشمس من مغربها وانصباب ماء النهر في منبعه أقرب من رجوع الإسلام إلى سالف مجده ما دام المسلمون يقفون بين يدي

السبى والجزولى والغزوانى والتباغ والسهلى والىحصى وأمثالهم فى سائر الأقطار كما يقفون بين ىدى الله .

يا قءاءة الأمة ورؤساءها عءرنا العامة فى إشراكها وفساء عقاءءها . وقلنا أن العامى أقصر نظراً وأضعف بصيرة من أن ىتصور الألوهية إلا إذا رآها مائءة فى النصب والتمائىل والأضرحة والقبور ، فما عءركم أنتم وأنتم تتلون كتاب الله وتقرأون صفاءه ونعوته ، وتفهمون معنى قوله تعالى (إنما الغيب لله) وقوله مخاطبا لنىه مولانا محمد ﷺ (قال لا أملك لنفسى نفعاً ولا ضراً) وقوله (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) .

أنتم تقولون : فى صباحكم ومسائكم وغءوكم ورواحكم : كل خير فى اتباع السلف ، وكل شر فى ابتداء الخلف .

فهل تعملون أن السلف الصالح كانوا ىجصصون قبرا ، أو ىتوسلون بضريح ، وهل تعملون أن واحد منهم وقف عند قبر النبى ﷺ ، أو قبر أحد من أصحابه وآل ىبته ىسأله قضاء حاجة ، أو تفريج كربة وهل تعملون أن السبى والىلانى والءسوقى وأمثالهم أكرم عند الله وأعظم وسيلة إله من الأنبىاء والصحابء والتابعين .

وهل تعملون أن النبى ﷺ حىما نهى عن إقامة الصور والتمائىل ، نهى عنها عبثاً ولعباً ، أم مخالفة أن تعىء للمسلمين جاهلىتهم الأولى . وأى فرق ىن الصور والتمائىل وىن الأضرحة والقبور ما ءام كل منهما ىجر إلى الشرك وىفسء عقىءة التوحىء .

والله ما جهلتم شىئاً من هذا ، ولكنكم آثرتم الحىاة ءءنا على الآخرة فعاقبكم الله على ءلك بسلب نعمتكم ، وانتقاص أمركم ، وسلط علىكم

أعداءكم، يسلبون أوطانكم، ويستعبدون رقابكم، ويخربون دياركم، والله شديد العقاب.

فالتفت إليه الشيخ عبد الهادي وقال: لله درك، فلا أصلح للوقت من درء هذه المفاسد التي قد عم ضررها، وشاع شررها. زدنا من هاتيك المحادثات لعلها تكون دواء لأهل عصرنا، ونقبل مرارتها بدون استئقال. ومن المعلوم أن من لم يتحمل المرارة لم يتذوق الحلاوة، والدواء المر يكون في الغالب مفيدا للجسم.

فقال عبد الباسط: ذكر الإمام الشاطبي في الاعتصام أنه ثبت في الصحاح عن الصحابة (رضى الله عنهم) أنهم كانوا يتبركون بأشياء من رسول الله ﷺ.

ففي صحيح البخاري عن أبي جحيفة (رضى الله عنه) قال: "خرج علينا رسول الله ﷺ بالهاجرة، فأتى بوضوء فتوضأ، فجعل الناس يأخذون من فضل وضوئه، فيتمسحون به" الحديث. وفيه "كان إذا توضأ يقتلون على وضوئه".

وعن المسور (رضى الله عنه) في حديث الحديبية "وما انتخم النبي ﷺ نخامة إلا وضعت في كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده.

وخرج غيره من ذلك كثيرا في التبرك بشعره وثوبه وغيرهما، حتى أنه مس بإصبعه بيده، فلم يحلق ذلك الشعر الذي مسه عليه الصلاة والسلام حتى مات.

وبالغ بعضهم في ذلك حتى شرب دم حجامته إلى أشياء كهذه كثيرة

فالظاهر فى مثل هذا النوع أن يكون مشروعاً فى حق من ثبتت ولايته واتباعه لسنة رسول الله ﷺ، وأن يترك بفضل وضوئه، ويتدلك بنخامته، ويتشفى بآثاره كلها، ويرجى نحو ما كان فى آثار المتبوع ﷺ.

إلا أنه عارضنا فى ذلك أصل مقطوع به فى متنه، مشكل فى تنزيهه وهو أن الصحابة (رضى الله عنه) بعد موته عليه الصلاة والسلام لم يقع من أحد منهم شىء من ذلك بالنسبة إلى من خلفه، إذ لم يترك النبى ﷺ بعده فى الأمة أفضل من أبى بكر الصديق (رضى الله عنه)، فهو كان خليفته ولم يفعل به شىء من ذلك، ولا عمر (رضى الله عنه)، وهو كان أفضل الأمة بعده، ثم كذلك عثمان، ثم على، ثم سائر الصحابة الذين لا أحد أفضل منهم فى الأمة.

ثم لم يثبت لواحد منهم من طريق صحيح معروف أن متبركاً تبرك به على أحد تلك الوجوه أو نحوها، بل اقتصروا فيهم على الاقتداء بالأفعال والأقوال والسير التى اتبعوا فيها النبى ﷺ، فهو إذن إجماع منهم على ترك الأشياء، وبقي النظر فى وجه ترك ما تركوا منه.

ويحتمل وجهين: أحدهما أن يعتقدوا فيه الاختصاص وأن مرتبة النبوة تسع ذلك كله للقطع بوجود ما التمسوا من البركة والخير لأنه عليه السلام كان نوراً كله فى ظاهره وباطنه. فمن التمس منه نوراً وجدته على أى جهة التمس، بخلاف غيره من الأمة، وإن حصل له من نور الاقتداء به والاهتداء بهديه ما شاء الله لا يبلغ مبلغه على حال توازيه فى مرتبته ولا تقاربه به، فصار هذا النوع مختصاً به كاختصاصه بنكاح ما زاد على الأربع وإحلال بعض الواهبات نفسها له وعدم وجوب القسم عليه للزوجات وشبه ذلك. فعلى هذا المأخذ لا يصح لمن بعده الاقتداء به فى التبرك على أحد تك الوجوه ونحوها.

ومن اقتدى به كان اقتداؤه بدعة كما كان الاقتداء به فى الزيادة على أربع نسوة بدعة .

الثانى أن لا يعتقدوا الاختصاص ولكنهم تركوا ذلك من باب سد الدرائع خوفاً من أن يجعل ذلك سنة كما تقدم ذكره فى اتباع الآثار والنهى عن ذلك، أو لأن العامة لا تقتصر فى ذلك على حده، بل تتجاوز فيه الحدود وتبالغ بجهلها فى التماس البركة حتى يداخلها للمتبرك به تعظيم يخرج به عن الحد، فربما اعتقد فى التبرك به ما ليس فيه .

وهذا التبرك هو أصل العبادة، ولأجله قطع عمر (رضى الله عنه) الشجرة التى بويج تحتها رسول الله ﷺ بل هو كان أصل عبادة الأوثان فى الأمم الخالية، حسبما ذكره أهل السير، فخاف عمر (رضى الله عنه) أن يتمادى الحال فى الصلاة إلى تلك الشجرة حتى تعبد من دون الله . فكذلك يتفق عند التوغل فى التعظيم .

ولقد حكى الفرغانى مذيّل تاريخ الطبرى عن الحلاج: أن أصحابه بالغوا فى التبرك به، حتى كانوا يتمسحون بيوله ويتبخرون بعذرتة، حتى ادعوا فيه الإلهية، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، ولأن الولاية وإن ظهر لها فى الظاهر آثار، فقد يخفى أمرها لأنها فى الحقيقة راجعة إلى أمر باطن لا يعلمه إلا الله، فربما ادعت الولاية لمن ليس بولى، أو ادعاها هو لنفسه، أو أظهر خارقة من خوارق العادات: هى من باب الشعوذة، لا من باب الكرامة، أو من باب السحر، أو الخواص، أو غير ذلك .

والجمهور لا يعرف الفرق بين الكرامة والسحر، فيعظمون من ليس بعظيم ويقتدون بمن لا قدوة له، وهو الضلال البعيد إلى غير ذلك من

المفاسد، فتركوا العمل بما تقدم وإن كان له أصل لما يلزم عليه من الفساد في الدين! هـ.

ثم قال عبد الباسط: ولندكر بعض ما شاهدته تنبيهاً لمن آمن بالله ورسوله ﷺ عساه يكون زجراً لمن سبقت له السعادة.

فمنها ذهابهم إلى قبر الصالح بالهدايا لذبحها هناك لأجل غرض دنيوى لهم أو لدفع بلاء حل بهم، أو لأجل امرأة عاطلة من الحمل لتحمل، أو بائرة لم تتزوج، أو تملك محل من المحلات، ونحو هذه الدواهي.

قال الإمام مالك (رضى الله عنه) فى المدونة: سوق الهدايا لغير مكة بدعة وضلال.

فلا يجوز الذهاب بكبش أو غيره إلى قبر ولى لما فيه من تغيير معالم الشريعة حيث أشبه فى ذلك هدى الكعبة، ولم يرد به نص عن صاحب الشرع ﷺ، وهو من البدع والضلال كما قدمنا.

ولهم فى النذور إلى قبور الأولياء تسوء من آمن بالله واليوم الآخر فمنها أن بعضهم إذا أراد أن يقدم هديته لولى من الأولياء خصوصاً إذا قوى اعتقاده فى ذلك الولى بحيث صار عنده فى منزلة الألوهية من كونه يضر وينفع، فتراه يوجه ثوراً من أحسن ما يكون مزيناً بأنواع من لباس الحرير، والطبول تضرب عليه، والأعلام فوق رأسه، والناس ذكوراً وأناثاً دائرون به دور الخاتم إلى أن يصل بهذه العادة التى غابت عن الجاهلية الأولى من تلك الوجوه التى كانت تتقرب بها للأوثان والأصنام. هناك تجتمع تلك الكلاب على تلك الجيفة.

فيبادر أولئك اللصوص القائمون بتلك الأضرحة لأخذ تلك الجيفة فيوزعونها حسب شهواتهم الشيطانية، ويرجع المتقرب بذلك الهدى وهو في سخط الله وغضبه ولغته حيث انغمس في دائرة الشرك انغماساً، ومنها دفعها إلى من يدعى أنه خادم الضريح ونقيبه على صورة، وهي أن يدفع له ذلك النذر، فيعطيه الآخر غرفة من التراب أو غباراً مما يتعلق بالقبر أو خرقة من تلك الأغطية التي على القبر أو شمعة أو قطعاً أو حجراً يدعى أنه كان يتيم عليه حال حياته في مرضه أو نعلا كان يلبسه، وهكذا من أنواع الملموس.

ولما اشتهرت الأضرحة بجلب الدنيا إليها ممن لا يعرف من الدين إلا اسمه. قام إليها حثالة الوقت مما ازداد بهم السخط والمقت، واجتهدوا في التوصل لتلك الفتوحات الشيطانية التي هي أحد أنواع أكل أموال الناس بالباطل، واستولوا عليها بواسطة متفعل من المتفعلين الجاهلين، وازدادوا بتلك الفتوحات توسعة في المنكوحات والبناءات والمطعمومات والمشروبات والملبوسات، ومن هؤلاء قوم يدعون في العلم والدراية، ومنهم قوم يدعون المشيخة بل القطبانية:

وإذا حققت النظر لا تجد فيهم من يهتدى برأيه، ولا من يقتدى بعلمه وما هم إلا كشبان فسقة أو كسفهاء الوقت من الكهول.

ولقد تبين من أعمالهم أنهم مستهزئون بآداب أديانهم ومستخفون بأوامر ربهم لأنهم لم يتبعوا من أوامر الله شيئاً في هاتيك المهمة التي يختص بها جناب الحق سبحانه، فلذلك استهزأ الله بهم وتركهم في طغيانهم يعمهون.

ولا يخفى أن هذه النذور والأموال التي تصرف في القبور من ضياع المال في الباطل مع وجود أرباب الحاجات والضروريات في القربى والمساكين،

وها نحن نرى بعض الأضرحة عندنا بمراكش، بل وبغيرها من عدة مدن المغرب والمشرق تدخل عليها كل يوم أموال باهظة دون النذور من البقر والغنم والمعز والدجاج والحمام والبيض والسمن والزيت والشمع والصوف وغير هذا.

وربما تحصل في كل شهر من تلك الأموال ما يزيد على الستة آلاف ريال فضلا عما يختلسه حفظة الضريح ونقباؤه كل يوم وليلة، وما هم إلا أحد رؤساء اللصوص الوقتية، ويصرف المال المذكور في غير وجهه على حسب الشهوات وأنواع الباطل، والأمر لله ما شاء فعل.

ومنها شد الرحال بالزيارة للنذور على صورة منكرة، ولقد شاع هذا الأمر وذاع في قطرنا المغربي خصوصا في أوقات المواسم التي تعمل كل سنة لأصحاب القبور، فترى هؤلاء الناس ما هم إلا قوم لا يعرفون إلى الدين سبيلا ذلك أنهم إذا كان عندهم نذر للشيخ فلان: قاموا فاتخذوا الدواب أو الأوتومبيلات وركبوا فيها مع نسائهم متبرجات بزيتهن تبرجا يسرق أحلام الشبان ويلفت أنظار من لا دين لهم، ومعهم الأعلام والكوبات يضرين ويغنين ويولولن بالزغاريد بين يدي أزواجهن، وهن مكشوفات الوجوه والأيدى المخضبة بالخضاب الزينة بالأساور مع ما في رقابهن وأذانهن من الحلى الباهر، كل ذلك ويمرون بهن على البلدان ومعهم الطبول والمزامير والكاسات تضرب، فإذا أحس شبان هذه القرية أو هذا البلد، ولا مفهوم لهذا البلد خرجوا ليتمتعوا بمشاهدة تلك الصور الجميلة، والوجوه الجديدة فإذا شاهدوا هذا المشهد افتتوا وسعوا كل السعى فى الزنى، وربما ساعدتهم الزمان على التوصل لذلك.

ثم إن أهل النذور الزوار للشيخ لا يزالون هكذا حتى يدخلوا مشهد
الولى، فإذا أدخلوه كانت لهم ضلالات: منه أن نساءهم يعتزلن عنهم بمكان
مخصوص بهم فيجدن بذلك فسحة في الحرية، فيكون أهم شيء عندهم من
تلك الزيارة هو الزنى، ويعتقدون أن تيسير طرقه من عطفة ذلك المزور،
فينال من ذلك كمال مقصودهن سما وقد استصحبن أعظم تلك البواعث،
والذئاب في كل بلاد موجوده.

وخادم الضريح لا شيء له إلا أخذ النذور وإن زنى بضريح الولي،
وربما كان هو أول من يقدم على تلك العقبات الشيطانية التي اقتضتها اليوم
همجية البلاد والعباد، بل ربما توصل أحدهم لزوجة الآخر.

فانظر بعينك هذه الصورة التي اشتملت على هذه الفظائع كم فيها من
جرائم فاتكة بالإسلام، وانظر هل ترى منها في الأمم الأجنبية؟.

أما شد الرحال عارياً عن هذه الجرائم تغير المساجد الثلاثة ففيه الخلاف
بين العلماء لاختلاف أفهامهم في حمل حديث " لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة
مساجد المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى " رواه الإمام أحمد
في مسنده عن أبي هريرة، والجمهور على جواز شدها لزيارة الصالحين أو
لطلب علم أو غيره. وقد كانت تسد سلفاً وخلقاً.

ومنها نذر حلق شعر رأس الطفل في مقام الشيخ، هذه من بدعهم أيضاً
وربما تركوا قروناً من الشعر في رأسه، فيقولون هذا مسند للشيخ فلان، وهذا
للشيخ فلان.

ومنهم من يرى أنه إذا لم يسنده على الشيخ فلان، ويعط عليه الضرائب
في كل موسم من تلك المواسم السنوية لا يعيش له الولد، وهكذا من الأقوال

الزائغة والاعتقادات الفاسدة، وما نذرهم الشمع والزيت والكسوة والدرهم للقبور. وقد سبق لنا الكلام على هذا، وأنه من ضياع الأموال في الباطل.

ونرى كثيراً من التجار يندرون الأموال الباهظة لأبي العباس السبتي لأجل نحو سلعتهم وروجانها وكثرة الربح فيها، وما ذاك إلا من فساد عقيدتهم، وخبث طويتهم، ولا عبرة بشطح الضالين المضلين، فلقد زاغوا وزاغت قلوبهم.

ومنها نذر ختان الولد بقبر الولى هذه كسابقتها مرادهم بها أن يعيش الولد، فيقولون نذرنا ختانه فيك يا ولى الله ليعيش.

ومنها نذرهم لشراء دار أو بيعها أو تزوج بامرأة أو فراقها، وهكذا.

فانظر فساد نذرهم بطبع الحال مع ما فيه من المفاسد والمحرمات، والأمر لله، ما ذكرنا بدعة إلا جئنا بأقبح منها، فانظر رحمك الله إلى نذور أهل هذا الزمن مع اشتغالها على جرائم عظيمة كيف ينفذونها مع اختلاف العلماء فى النذر المباح كما هو مبين فى محله تعرف أن الفساد قد ملأ البر والبحر.

ومن هذا القبيل نذر المرأة استحضار أصحاب اللهو والمناكر من النساء كالعياطات المومسات والشيخة المجرمة إن رزقت ولدًا من زنى، وهذه أكبر المفاسد. وقد ملأت أرضنا، وكذا غيرها من مدن المغرب.

وبالجملته فالإسلام اليوم قد حاز به أهله وضعفه المنسوبون إليه خصوصاً منهم المتصوفة الذين أكثروا على الله كذباً وزوراً، وفارقوا شرع ربهم وخانوا عهد نبيهم، وابتدعوا فى دينهم، والأمر لله، إنه لا يخفى عليه خافية. فليتبته الناس من غفلاتهم وليفبقوا، فكم من محار للإسلام، وهو لا يشعر.

عكوف شبان الوقت على قراءة الجرائد والمجلات

القبيحة وضررها بهم

ثم قال عبد الباسط: ومن مساوى غالب أهل هذا العصر خصوصاً الشبان منهم عكوفهم على قراءة الجرائد الهزلية التى هى أشبه شىء بالخرافات الإسرائيلية.

وغالبها قد جر على الدين وعلى المسلمين ويلات ونكبات وأمراضاً يبعد شفاؤهم منها بعد قرن كامل.

ولقد أصبح علماء العصر فى نظر أصحابها كأنهم قوم لا يعقلون - وإذا مروا بهم يتغامزون - لاعتقادهم أنهم فاقوهم بتلك الخرافات التى تنقل عن الأخبار والرهبان الأقدمين الذين كانوا يكذبون فى دينهم ويدلسون ويلعبون الألاعيب التى يسمح لهم بها مبدؤهم الدنيوى ورياستهم الكاذبة فكانت لهم أعظم قاطع عن قراءة الكتب الدينية وحرموا بركتها والعمل بها. وصاروا كلما راجوا فى مبدأ فطيع انتقلوا إلى أفطع منه. ستة أهل الزيف والإحاد. واغتروا بزخرف من القول، وانخدعوا بنوع من السفسطة وتاهوا فى بيداء تضل فيها القطة - ومن يضل الله فما له من هاد - فتنة عمياء صماء حلت بهم ولم يتفطنوا لها وظنوا أنهم على شىء، وليسوا بشىء، وأنهم لم يحصلوا من العلم ولا قلامة ظفر.

عوائد حملة القرآن وطلبة العلم

فقال له عبد الهادى حسبك ما ذكرت، فأخبرنا عن عوائد حملة القرآن وطلبة العلم عندكم، فقال عبد الباسط: أما مناصر حملة القرآن اليوم فلا تكاد

تخصر من وجوه الفساد والمضادة لما شرع الله ورسوله، ولنذكر لك شيئاً منها تنيهاً لهؤلاء الغافلين عن الله واليوم الآخر. فمن ذلك إخراجهم الصلاة عن وقتها لقراءة ختمة أو وليمة فتراهم يشتغلون بالقراءة لأجل الدرهم حيث أصبح القرآن تجارة إذ قل من يحفظه لوجه الله اليوم، فتراهم يتنافسون في قراءة عدد من الآيات إما بقراءة السبع أو غيرها لأجل أن يأخذوا أجره على ذلك.

وقد روى الديلمي عن على كرم الله وجهه: من اقترب الساعة إذا تعلم علماؤكم ليجلبوا به دنائركم ودراهمكم واتخذتم القرآن تجارة. وفي الحديث الشريف أن رسول الله ﷺ قال "من قرأ القرآن يتأكل به الناس جاء يوم القيامة ووجهه عظيم ليس عليه لحم".

ومن بدعهم زيادة على ما قدمنا إخراجهم الصلاة عن وقتها من أجل القراءة فتراهم تمضى عليهم الأوقات لا يصلون فيها الفرائض ثم يجمعونها جمع تأخير من أجل القراءة، وربما قرأوا في ذلك الوقت قوله تعالى (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً) أو (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى) أو (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) أو (فخلف من بعدهم خلق أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا) ومع ذلك - فإنها لا تعمى الأبصار، ولكن تعمى القلوب التي فى الصدور - ويرحم الله الإمام الهبلى المغربى إذ يقول:

أما الذين يقرأون القرآن فإنهم على سبيل الشيطان ترك الصلاة عندهم مشهوران تكن يفوتها الحضور، وروى أبو نعيم والحاكم أن رسول الله ﷺ قال: "يكون فى آخر الزمان عباد جهال، وقراء فسقة". وروى أبو نعيم أيضاً

عن أبى أمامة أن رسول الله ﷺ قال "سيكون فى آخر الزمان ديدان القراء، فمن أدرك ذلك الزمان فليتعوذ بالله منهم".

ومن بدعهم إخراج القراءة مخرج الغناء بحيث لا تفرق بين المعنى على العود والقارئ، فتراه يحرك حاجبيه وأهداب عينيه، ويخرج الصوت من الخيشوم والأنف، ويتفعل فى أحرف القرآن نقلا يفوق تفعلات المخنثين فيهبز أعطافه، ويميل على خاصرته كما تميل الأنتى.

وغاية الأمر أنه يود إدخال السرور على من حضره من طغام الجاهلين وأراذل الفاسقين.

والمطلوب من كل قارئ أن يقرأ القرآن كما قرأه رسول الله ﷺ وأصحابه بلحون العرب التى يعرفها علماء القرآن، لا كما يقرأ هذا المشبه أهل الكتاب، إذ أهل الكتاب فى قراءتهم الإنجيل والتوراة لا يعولون إلا على أصواتهم.

وقد روى الطبرانى فى الأوسط والبيهقى فى شعب الإيمان عن حذيفة أن رسول الله ﷺ قال: "اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها، وإياكم ولحون أهل الكتابين وأهل الفسق، فإنه سيجىء بعدى قوم يرجعون القرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح لا يجاوز حناجرهم مفتونة قلوبهم وقلوب من يعجبهم شأنهم" والقرآن له أحكام مشروعة نص عليها علماء القراءة كما روى السلف عن رسول الله ﷺ يسمونها التجويد من خالفها فهو فاسق. قال ابن الجزرى:

والأخذ بالتجويد حتم لا زم من لم يوجد القرآن آثم
لأنه به الإله أنزلا وهكذا منه إلينا وصلا

والأدهى من ذلك أنهم يفخمون حروف الترقيق فيملاً بالباء فمه ملاً متفاحشاً ويفتحة بالواو على صورة معجرفة ويصعدون وينزلون في المد والقصر، كنعلمات الأغاني، وهؤلاء الجاهلون أمرهم كله رياء وسمعة.

ومن فظيع بدعهم كما رأيناه وسمعناه: قراءتهم القرآن بنخضرة من يشرب الدخان أو يستنشق تابغاً، وهم يعلمون أن ذلك حرام. وأصحابه ممقوتون عند الله وعند المؤمنين، وربما قرأ أحد القارئین وشرب الآخر أو استنشق غباره، وربما قالوا حرمتها لم يذكرها الله في القرآن.

وغاية العجب صدور هذا من مدعى العلم مع أن كثيراً من الأمور التي يحكم عليها الشرع اليوم بالحلل أو بالحرمة لم تكن في عصر رسول الله ﷺ وإنما الشأن عرضها على قواعد الحل والحرمة، فإن تناولتها قواعد الحل حلت أو قواعد الحرمة حرمت.

ومن بدعهم دخول النساء الأجنبية عليهم في البيوت التي يقومون فيها ويتحدثون مع النساء الجميلات، وربما قرأ شوطاً وحادثها شوطاً.

فانظر بعينك هذا المخالف ما فعل من الجرائم في دخول المرأة الأجنبية عليه يخلو بها. وماذا يكون حال إبليس بينهما والشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم في العروق.

وقد روى الطبراني أن رسول الله ﷺ قال: "ياكم والخلوة بالنساء والذي نفسى بيده ما خلا رجل بامرأة إلا دخل الشيطان بينهما".

اتخاذ القراء القرآن حرفة

ومن بدعهم قراءة القرآن يسألون بها عرض الدنيا، فتراهم فى المساجد أو فى الطرقات كثيرا، وعلى أبواب البيوت يجلسون ويقرأون شيئا، فبدل أنه يسأل الناس بقوله أعطونى يسأل بالقرآن، وهذه بدعة شوهاء أضاعت منزلة القارئ، وكانت إهانة لكتاب الله يخشى على فاعلها الخطر.

وفى الحديث الشريف كما فى الترمذى عن عمران بن حصين (رضى الله عنه) أنه مر على قارئ يقرأ، ثم سأل فاسترجع، ثم قال "سمعت رسول الله ﷺ يقول: من قرأ القرآن فليسأل الله به، فإنه سيجىء أقوام يقرأون القرآن يسألون به الناس".

وبالجملة فلحمة القرآن بدع كثيرة تسوء الإسلام والمسلمين خصوصا حالهم على المقابر.

الأفعال الذميمة للقراء المعلمين للقرآن

وأما مساوئ المعلمين منهم لكتاب الله، فحدث عن البحر ولا حرج. ومن أفظعها كون بعضهم من بقية قوم لوط، فلا يراعون فى هذا الفساد صغيرا ولا كبيرا.

ومنهم من يمكث بتلك الجنابة، هو مع ذلك يعلم الصبى المفعول به كتاب الله، ولا تخفى فظاعة هذا الذنب، وربما جر إلى الكفر، وعبادا بالله. ويسبب هذا الفعل القبيح المجرم من المعلم لكتاب الله سرى ذاك الفساد فى الصبيان، فتجدهم متى خرج لبعض أغراضه صار بعضهم ينكح الآخر، اقتداء بفعل المعلم المنحوس، واعتقادا منهم بسببه أن هذا الفعل لا شىء فيه ولا لوم على فاعله.

وهذا أحد الأسباب التي منعت كثيراً من الناس من دفع أولادها لمعلم كتاب الله، وذلك لعدم الثقة به، ولما يسمع عنه من تلك الفضائح الشنيعة وسبب هذا فقد غالبهم من العقل، إذ لو رزقوا العقل لما ارتكبوا هذه المناكر ولقد أحسن من قال:

وكيف يرجى العقل والحلم عند من يروح إلى أنثى ويغدو إلى طفل
قال الجاحظ: عقل مائة معلم عقل امرأة، وعقل مائة امرأة عقل حائك.

ومن حمقهم في التعليم أيضاً أنك ترى الطفل اليوم في سورة (سبح اسم ربك الأعلى) مثلاً، وبعد مدة قريبة يجعله في سورة (الرحمن) وعملهم معه في هذه الحيلة والخيانة هو: أما أن يكتبوا للصبي ما لا يطيق حفظه، والأهم عندهم هو أخذ الدرهم لو بالباطل، وأما أن يكتبوا له سورة ويتركوا الأخرى يسرون في ذلك سير الفرس، إلى غير ذلك من دسائسهم التي أورثتهم إهانة وزولا، وليس في البلاد حاكم يرجع إليه، والأمر لله وحده، وكل ذلك من غربة الإسلام.

فقال له الشيخ عبد الهادي: أعندك زيادة على ما ذكرت لنا؟

قال عبد الباسط: نعم، قال قل، قال: بلغنا عن مؤدب لقن صبياً، (وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا، وأكد كيدا فمهل الكافرين أملهم رويدا)، فقيل له ما هذا؟ فقال إن أباه يدخل المشاهرة شهر في شهر، وأنا أدخله من سورة إلى سورة لثلاث يحصل على شيء كما لا أحصل أنا على شيء، وقرأ صبي على معلم (وإن عليك اللعنة) وأخذ يكرر ويقف، فقال عليك وعلى والديك، فصار الصبي

يكرره . وقرأ آخر على معلم (اخرج منها فإنك رجيم)، فقال ذاك أبوك القرآن . وقرأ آخر على معلم (ما لنا فى بناتك من حق) وأخذ يكررها كالمستفهم، فقال لا ولا كرامة لك .

وفد سعيد بن عبد الرحمن على الخليفة هشام العباسي، وهو صبي ردىء الوجه، فبعث به هشام إلى عبد الصمد مؤدب ولده الوليد ليؤدبه، فراوده عبد الصمد عن نفسه، فخرج من عند المؤدب مغضباً، ودخل على هشام وهو يقول:

أنه والله لولا أنت لم ينج مني سألما عبد الصمد
فقال وما ذاك؟ قال:

أنه قد رام مني خطة لم يرمها قبله مني أحد
فقال وما ذاك؟ قال:

رام جهل بي وجهلا بأبي يولج في خيس الأسد
فأمر الخليفة بطرد عبد الصمد عن داره .

فقال عبد الهادي: حسبك أخبرنا عن مناكر طلبة العلم عندكم .

فقال عبد الباسط: أما مناكر طلبة العلم فحدث عنها ما تشاء، فقد ملأت البدو والحضر وما شاءوا فعلوا غير مقيدين بكتاب ولا سنة، وسعوا آمالهم ونسوا مآلهم، وعكفوا على الفانيات، وتركوا الباقيات الصالحات، وشمروا للفساد كل التشمير، وأرادوا العبودية عارا على الكبير منهم والصغير، والأمر لله العلى الكبير .

فمنهم من أظهر للناس شأنه، وهو عنها عار، بل نفاق نافقه . ومنهم

من جمل هيئته، وحلق لحيته، ولبس ذهباً وحريراً - ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين فوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً.

ومنهم من أصبح ينكر الدين ويدعى أنه تعليمات وضعية لا تناسب هذا الزمن، فاجتهد في هذا العمل الذى هو من أعمال الصبيان الألعابية، وظن أن يكون فى ذلك قدوة.

نعم قدوة يسوغ للسفهاء الاقتداء به، لكن من جهة تحقيق النظر أنه بسبب هذا العمل أوسع سفاهة من غيره، وأشدّ شراً وأكبر حماقة.

وهذا القول والعمل والتجاهر به لا يخرج إلا من ضلال الرأى وطمس البصيرة، ومنهم من تشبه بسفهاء الأوروبايين الذين يتبعون أهواءهم فى أعمالهم الشيطانية التى لا تسوغ للعامّة من أهل الإسلام، فضلاً عن علمائها التلبس بها. سيما وغالب أعمال الأوروبايين لا قاعدة لها فى الدين، ولا فى أعمال العقلاء ولا فى شئون الأدباء.

ومنهم من زين له مطالعة كتب أهل الضلال الذين اتخذوا من لسانهم وجدالهم معارج للتعالى بغير حق، فتراه معتكفاً آناء الليل وأطراف النهار على روايات غرامية، أو جرائد هزلية، أو كتب تضليلية، أو أخبار مكذوبة سياسية تهدم صرح الأخلاق الفاضلة.

وها أنت ترى منها نشرات فى الأسبوع تملأ السهل والجبل كشقيقتها التى تذكر بقصة القط والفار.

ومنهم من إذا ناداهم منادى طيش وفتون، أو لهو ومجون، أجابوا

دعوته بلا تودة ولا ترو: كالأنعام التي إن أبصرت مرعاها التفت حول ذلك المرعى. ثم إذا دعاهم إلى حقيقة من الحقائق واعظ، أو ناصح من الفريق الذى أراد الله به خيراً ليهديهم إلى سواء السبيل اتخذوه عدواً، وكانوا فى الترامى على ما هم عليه من الملامى المهلكة كالهمج الذى هو ذباب صغير يقع على وجوه الحمير. وربما عاملوا ناصحهم معاملة الرعاع الذين هم أوغاد الناس بلا مبالاة ولا خجل لم يهتدوا إلى الآداب سيلاً.

ومنهم من أداه علمه إلى متابعة المضلين الداعين إلى المدنية الأوروبية والعلوم العصرية، فما سعيه إلا فى المسارعة على تلبية المنادى، وهجران أهل ذاك الوادى.

ومنهم من تظاهر بأوصاف المخادعين، وخصال المنافقين، وهذه الخصال فى نظر غالب علماء زماننا من أشرف ما يتخلق به الإنسان، لأنها خصال أوروبية، وهذان الوصفان ملازمان لكل من خالف أوامر الله ونواهيه. ومنهم من يدندن على نغمة الصحف المنتشرة، فيحسن برأيه كل ما يخالف القرآن الحكيم، والسنة المحمدية.

ومنهم من خالط الأغنياء والسلاطين، وتقرب بعلمه إلى من لا يعرف سبيل المؤمنين، وأفرط فى الأمر، حتى هجر الشريعة المحمدية فى نفسه واقتدى به الكثير من الجاهلين من أبناء جنسه.

وهذا مصداق قوله ﷺ "من اقترب الساعة إذا كثر خطباء منابرهم وركن علماءكم إلى ولاتكم، فأحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال، فأفتوهم بما يشتهون". رواه الديلمى عن على (رضى الله عنه).

ومنهم من أعرض عن العمل حتى نحانحو الطائفة الوهابية واعتزل أهل السنة وادعى الاجتهاد وفارق التقليد.

ومنهم من لا يسعه بين الناس إلا التبجح بما ليس من شأنه، وكل ذلك لبعده روحه عن هدى المهتمدين، وليته وقف هذه الوقفة، بل تراه ربما طغى عليه الضار، فانقلبت عليه الحقائق، فأنكر هدى من اهتدى وعوق الناس عن ربهم لجهل قلبه وإن فقه لسانه.

وفى الحديث "إن أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان" رواه الإمام أحمد عن عمر فى مسنده.

ومنهم من لا زال طغيان العلم يجره إلى جرائم الدعوى حتى أصبح يقول فلان أخطأ فى تفسيره، وفلان كذب فى مؤلفه، وفلان أغش من حاطب ليل، والشيخ فلان أى شىء يكون ممن تقدم عصره، من علماء الأمة المتفق على جلالتهم.

ومنهم من يأخذ يطعن على الأئمة الأربعة الذين وقع الإجماع على عدالتهم، ولكن ماذا يقول هذا المفترى الحسود إذا قال البعوض للبعير أنا أقوى منك، أو قال الكلب للأسد أنا أجراً منك، ولكن لما مات العلماء كما فى الصحيحين عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال "إن الله تعالى لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء" الحديث جعل هؤلاء الذين طرقوا العلم من أبواب النفوس يتقدمون على الذين طرقوه بدخول حضرة القدوس.

فأعجب إذا تقدم الطالح على الصالح، والبصير على الأعمى، والجاهل على العالم، والوضيع على الشريف، والخبيث على الطيب، والفاسق على المتقى والزنديق على الصديق، إن ذلك للشىء عجيب.

ولما كان مدعو هذا العصر وصل بهم الافتراء فى الدعوى حتى كان من جرائمهم دعوى الاجتهاد المطلق، وقالوا بعدم جواز تقلد الأئمة الأربعة حتى قالوا: نحن رجال وهم رجال ولا نأخذ بأراء الرجال، وجعلوا يتعبدون بما يرون فى الكتب من الأحاديث ولو منسوخة لعدم إحاطتهم بالسنة، وبما يرون من كتاب الله تعالى برأيهم، ويدعون مع ذلك أن عملهم هذا لإحياء السنة وأمانة البدعة، بل ما هى إلا سنة كل وهابى مفتون، لأن هذه الدعوى هى دعوى أئمة تلك الطائفة من مبدأ ظهورهم فى القرون الماضية إلى ما شاء الله، وما هى والله إلا كدعوى العاهرة التى تريد أن تجعل نفسها فى مصاف المخدرات الحسان، فتصف نفسها بما ليس فيها من أوصاف الغوانى.

وهذه الدعوى التى هى دعوى إحياء السنة وأمانة البدعة هى الفتنة الضارة التى أخذت بنواصى كثير من بسطاء الأمة الإسلامية إلى مصارع الزيف ومهالك الغرور، وقد مزقوا بتلك الفتنة دين العوام تمزيقًا، وأعنى بالعوام كل مسلم لم يتفقه فى دينه، إذا علمت هذا فاعلم أن الاجتهاد المطلق قد انقطع من نحو أكثر من ألف سنة.

قال العلامة ابن حجر عن ابن الصلاح أنه قال: إن الاجتهاد قد انقطع من نحو الثلاثمائة، وكان ابن الصلاح فى القرن السادس، قيل ولم يوجد بمصر بعد عصر الشافعى مجتهد مستقل، قال الشهاب ابن حجر، وإذا كان بين الأئمة نزاع طويل فى أن إمام الحرمين وحجة الإسلام الغزالى، وناهيك بهما هل هما من أصحاب الوجوه أولا؟ فما ظنك بغيرهما، بل قال الأئمة فى الروياتى صاحب البحر أنه لم يكن من أصحاب الوجوه هذا مع قوله: لو ضاعت نصوص الشافعى لأمليتها من صدرى فإذا لم يأهل هؤلاء الأكابر

لمرتبة الاجتهاد المذهبي، فكيف يسوغ لمن لم يفهم أكثر عباراتهم على وجهها أن يدعى ما هو أعلى من ذلك؟ وهو الاجتهاد المطلق، (سبحانك هذا بهتان عظيم).

والأئمة مجمعة على أن الاجتهاد قبل هذا العصر بعصور كثيرة كما سمعت قد انقطع. وقد كان في هذه العصور فحول لو ادعوا ربما سلم لهم، ومع ذلك لما ادعى الجلال السيوطي ما ادعاه مع جلالته في العلم وتفوقه على أقرانه لم يسلم له معاصروه ورموه عن وقس واحدة.

فأين حال هؤلاء الذين لا يفرقون بين الخل والعسل مذاقاً، بل هم في مرتبة العوام الذين يحيرهم رفع فاعل ونصب مفعول.

لعمرك إن مرتكب هذه الجريمة مفارق للجماعة، مبتدع في دينه بل أعمى ضائع العكازة، يصدمه الحجر والمدر، ويهوى في مهاوى الحفر. وفي الحديث "من فارق الجماعة شبراً فقد خلع ربة الإسلام" رواه مسلم أحمد في مسنده. قالوا والمراد بذلك الابتداع.

وهؤلاء المهوسون تركوا ما عليه الجماعة، فإن الأمة من نحو عشرة قرون آخذة بالمذاهب، وبعد انقراض المجتهدين، وعند تأخر الزمن أجمعوا على عدم وجود مجتهد، لفقد أهلية الاجتهاد وشروطه. وهؤلاء فتحوا باب الاجتهاد المطلق لرعاة الماشية، وهم منها أضل سبيلاً.

فيا أيها الباقي في إدراكه وعقله اجعل بينك وبين هؤلاء الأوباش الأغمار الضالين المضلين بعد ما بين المشرقين والمغربيين، وإلا كنت أسير ضاللتهم.

ومنهم من هجر العمل بالبدعة الحسنة وقال: كيف تكون بدعة وتكون حسنة، وتجمد؟ وأنكر أمرها، وعمم حديث كل بدعة ضلالة وأعمل يده ولسانه في مقارنة من يعمل بذلك، ولم يدر أن البدعة على أقسام خمسة.

الأول من الخمسة: بدعة واجبة إجماعاً، وهي كل ما تناولته قواعد الوجوب وأدلته من الشرع: كتدوين القرآن والشرائع إذا خيف عليها الضياع فإن تبليغها لمن يعدها واجب إجماعاً، وإهماله حرام إجماعاً.

الثاني: بدعة محرمة إجماعاً، وهي كل ما تناولته أدلة التحريم وقواعده كالمكوس، وتقديم الجهلاء على العلماء، وتولية المناصب الشرعية بالتوارث لمن لم يصلح لها.

الثالث: بدعة مندوبة كصلاة التراويح، وإقامة صور الأئمة والقضاة وولاية الأمور على خلاف ما كان عليه الصحابة، فإن التعظيم في الصر الأول كان بالدين، ولما اختل النظام وصار الناس لا يعظمون إلا بالصور كان مندوباً حفظها لظلم الخلف.

الرابع: بدعة مكروهة، وهي ما تناولتها قواعد الكراهة كتخصيص الأيام الفاضلة بنوع من العبادات، ومنه الزيادة على القرب المندوبة كالصاع في صدقة الفطر، وكالتسبيح ثلاثاً وثلاثين، والتحميد والتكبير والتهليل فيفعل أكثر مما حده الشارع، فهو مكروه حيث أتى به لا لشك لما فيه من الاستظهار على الشارع، فإن العلم إذا حد شيئاً تعد الزيادة عليه قلة أدب، ومن البدع المكروهة أذان الجمعة بصوت واحد.

الخامس: بدعة مباحة، وهو كل ما تناولته قواعد الإباحة كاتخاذ المناخل لإصلاح الأقوات، واللباس الحسن، والمسكن الحسن، وكالتوسعة في لذيذ المأكول والمشروب على ما قاله العراقي.

ومن البدع المباحة اتخاذ الملاعق، والضابط لما يجوز وما لا يجوز مما لم يكن في زمنه ﷺ عرضه على قواعد الشرع، فأى القواعد اقتضته ألحق بها.

فعلم من هذا التقسيم أن قوله ﷺ "وكل بدعة ضلالة" محمول على البدعة المحرمة. وقد نقل عن الإمام الشافعي تقسيمها خمسا كهذا:

ولقد اتفقت كلمة العلماء من أهل السنة على مثل ذلك قديماً وحديثاً. ولكن هؤلاء الأغمار طرَقوا باباً لم يطرَقه الشافعي ولا غيره من أهل السنة وعمموا ذلك.

فيا ليت شعري ما يقولون في قول عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) نعمت البدعة لما زاد القيام عشرين ركعة، وجمعهم على إمام يسمعهم كلام ربهم ولم يكن ذلك في عصر رسول الله ﷺ.

وما يصنعون فيما رواه مسلم في صحيحه عن جرير أن رسول الله ﷺ قال: "من سن في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء" الحديث. وهل تأليف الكتب، وبناء القناطر والقلاع كان في عصر الرسول، أم حدث فيترك؟

وبالجملة: فإن قائل ذلك خارج عن إجماع العلماء من أهل السنة سائر وحده "ومن فارق الجماعة قيد شبر، فقد خلع ربة الإسلام من عنقه"

فيا أيها المدعون سيروا خلف سلفكم قدماً بقدم، واتركوا الدعوى، فإنها بكم أهوى، فهم رجال ولستم برجال.

كان منهم من يكتفى بزيبتين ولوزة في اليوم واللييلة، ومن منكم إلا من يكتفى بثلاث أكلات في بياض النهار، ومن أكل في اليوم ثلاث مرات فليين له معلفة.

كان منهم من يقطع الليل كله فى العلم الشريف وتحريره، وما منكم إلا من يقطع الليل فى اللهو والسمر، أو يقطعه بالنوم، فإذا أصبح ادعى الاجتهاد.

كان منهم من يجتمع برسول الله ﷺ كل ليلة. وما منكم من يجتمع إلا بإخوان الضلال، بل كان من مقلديهم من إذا انتهى من مراجعة دروس الغد، وأطبق الورق، إذن مؤذن الفجر على طقطقة المحفظة. وما منكم إلا من يصلى الصبح بعد الشمس.

وإنى لأرى خطاب أمثال هؤلاء عبثاً، والحازم لا يعبث - وما يذكر إلا أولوا الأبواب - إذ تكليم الأصم حيث لا يسمع لا ينفع، والإشارة للأعمى لا تجدى نفعاً.

ومنهم من ظن بنفسه أنه فوق الأئمة ذكاء وعلمًا، وأنه أقدر على استنباط الأحكام من طريق الكتاب والسنة، وأن التقليد بأمثاله لا يجوز ورأى أن المذاهب ضلالات، واستدل بقوله تعالى (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا لست منهم فى شيء) واستدل على زكاة نفسه بقوله ﷺ "مثل أمتى مثل المطر لا يدرى أوله خير أو آخره". أى فعلة خير من الإمام مالك (رضى الله عنه) حجة الله فى أرضه، والشافعى عالم قریش، وأبى حنيفة عالم فارس، وأحمد بن حنبل إمام العراق.

أما الآية التى يتمسك المعشر الزيع عن السنة على أن المذاهب الأخذ بها ضلالة، فقد نزلت فى حق أمثالهم من أهل الضلالة والبدع من هذه الأمة، إذ هم فرق مختلفة فى العقائد لا مذاهب فى الشرائع أجمعت الأمة على الأخذ بها، إذ العقيدة واحدة لا تغيير ولا تبديل عند الأئمة الأربعة، وإنما الاختلاف

فى بعض الشرائع لاختلاف اجتهاداتهم فىما أخذوا. وقد كان ذلك فى أصحاب رسول الله ﷺ، ولم يعب على أحد منهم.

وحتى أجمعت الأمة سلفاً وخلفاً على الأخذ بها، فمن شذ فهو من المارقين المبتدعين، إذ إجماع المسلمين حجة. قال تعالى (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً).

وهؤلاء قد اتبعوا غير سبيل المؤمنين. وقال ﷺ "إن أمتى لن تجتمع على ضلالة، فإذا رأيتم اختلافًا فعليكم بالسواد الأعظم" رواه ابن ماجه عن أنس، وهو حديث صحيح.

فانظر بعينك إرشاد النبى ﷺ إلى العمل فى الاختلاف حيث قال "فعلبيكم بالسواد الأعظم" أى فإذا رأينا اختلافًا فى الأمة من حيث الدين وافقنا السواد الأعظم، وهى الجماعة الكثيرة بناء على إرشاد النبى ﷺ فإن الله جعل الحق معهم، وترك القليلين، فإن الله جعل الهلاك رائدهم.

قال ﷺ "فإن يد الله مع الجماعة" وهؤلاء أقل الناس، إذ إمامهم ابن عبد الوهاب، كان وحده فى عصره، وكان كل الناس ضده، وقد حط عليه علماء عصره وأنكروا عليه حيث أتى بعبارات فى جانب الحضرة المحمدية مشعرة بالقبض.

وأعجب ما بلغنا عن هذه الطائفة الوهابية أنهم فى باب إنكارهم المذاهب: يقولون ملة واحدة، فما لنا نجعل مذهب كذا ومذهب كذا، حتى صارت الملة الواحدة مللاً، فلا داعى إلى التفرق ويتمسكون بالآية المتقدمة.

وقد روى الشعراني في ميزانه الكبرى كما روى الطبراني مرفوعا أن رسول الله ﷺ قال " إن شريعتي جاءت على ثلاثمائة وستين طريقة، ما سلك أحد طريقة منها إلا نجا " اهـ.

وهذه الطرق في الأعمال الدينية مأخوذة من الكتاب والسنة لا طرق تفرقية في الدين التوحيدي، أما سمعت الله يقول: (قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين) فالمراد بالصراف المستقيم، والدين الذي قال فيه (ملة إبراهيم حنيفا) هو التوحيد لا غير.

ويؤيد ذلك كل التأيد قوله تعالى بعد (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له) وهذا هو ملة إبراهيم التي هي الدين القيم والصراف المستقيم.

ولم يرد عن رسول الله ﷺ أنه جاء بفعل واحد في الطاعة وأمر بالتزامه، ورواه عنه كل أصحابه، حتى لو خالفهم واحد خطئوه، وإنما هي روايات مروية عن أجلائهم، واجتهادات أخذ بها الأصحاب وأقرهم عليها.

فقد كان لعلى مذهب، ولعمر بن الخطاب مذهب، ولأبي بكر الصديق مذهب، وكل على قدر مشربه من بحر رسول الله ﷺ، ولذلك قال ﷺ " أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم " رواه البيهقي، فلم قال ذلك رسول الله ﷺ إذا كانت الشريعة واحدة؟ ولم تعددت شرائع الرسل إذا كان لا يجوز تعدد المجتهدين في الفروع في نظر الجهال الساقطين؟.

وقد أعطى الله الأئمة الأربعة من الاقتدار على تناول الشريعة القويمة

من الكتاب والسنة ما لم يعطه غيرهم من علماء عصرهم، ولا من بعدهم، إذ مذاهبهم أقوم المذاهب إلى الله تعالى، فأجمعت الأمة على الأخذ بها وترك غيرها من المذاهب، فمن تعداها أو تركها فقد فارق إجماع الأمة، وخرج عن الجماعة.

وقد أسلفنا لك أن الاجتهاد منذ قرون أقفل بابه، إذ فترت الهمم، وضعفت العقول، إذ الناس عجزوا عن حفظ حديث بسنده حتى يعرفوا صحته أو ضعفه إلا تقليداً لأقوال السابقين، فكيف يدعى العاجز الاقتدار؟ أم كيف يدعى الأعمى الاستبصار؟ وكيف تسنى لهؤلاء إنكار المذاهب؟

وقد نص الشعراني في هذه المسألة عن شيخه زكريا الأنصاري رحمه الله أنه قال: إياكم أن تبادروا إلى الإنكار على قول مجتهد أو تخطئه إلا بعد إحاطتكم بأدلة الشريعة كلها، ومعرفتكم بجميع لغات العرب التي احتوت عليها الشريعة ومعرفتكم بمعانيها وطرقها، فإذا أحطتم بها كما ذكرنا ولم تجدوا ذلك الأمر الذي أنكروتموه فيها، فحينئذ لكم الإنكار والخيرة لكم، وأنى لكم ذلك؟ ثم أعقبه بحديث "أن شريعتي جاءت الخ" الحديث المتقدم.

فانظر بعينك ما قال هذا الإمام وقس عليه هؤلاء الأوغاد الذين لم يعرفوا ما في شرح الكفراوى حتى يعرفوا جميع لغات العرب، الذين يحارون في معرفة حال أو تمييز، ولا يعرفون بين البهم والبهيم.

وربما عرض عليهم الحديث المتواتر، فقالوا: وهل هذا حديث، ومع ذلك قالوا نحن مجتهدون، فاتلهم الله أنى يؤفكون.

وأما احتجاجهم بقوله ﷺ "مثل أمتي مثل المطر، لا يدرى أوله خير أم آخره" ويتناولونه لأنفسهم على معنى أنهم الآخر الخير من الأول، وأنهم

أفضل من الإمام مالك [ومن أظلم من افتري على الله كذباً] لكن قضية العقل مسلمة أن القدرة صالحة أن يوجد الله كما لك وأفضل منه، ولو قيل الساعة، لكن هل هم كما لك رضى الله عنه علمًا عملاً وأدبًا، طبق أحوالهم على ما تعرف من أحواله، وعلومهم على علومه، فإن ساووه فهم مثله. وإن زادوا فهم أفضل، وأنى يكون ذلك؟ والوجود يفهمونه هؤلاء الطعام هو المعنى بالحديث فإنه مناقض للأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ، فقد روى ابن ماجه عن ابن عمر (رضى الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ "احفظونى فى أصحابى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم" الحديث.

وروى الحاكم عن أبى سعيد الخدرى (رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ "أما أنه لا يدرك قوم بعدكم صاعكم ولا مدكم".

وروى ابن ماجه عن أبى هريرة (رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ "لا تسبوا أصحابى، فو الذى نفسى بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصفه".

وروى الترمذى والحاكم أن رسول الله ﷺ قال "خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم" الحديث، وهذا الحديث أيضًا فى الصحيحين.

وروى الطبرانى والحاكم عن جعدة بن هبيرة "خير الناس قرنى الذى أنا فيهم ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، والآخرى أرادل".

وروى مسلم عن أبى هريرة (رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ "خير أمتى القرن الذى بعثت فيه ثم الذى يلونهم ثم الذين يلونهم" الحديث.

وروى الترمذى عن أبى الدرداء "خير أمتى: أولها وآخرها، وفى وسطها الكدر"، والمراد بالأول سيد الخلق ﷺ، والآخر عيسى ابن مريم عليه السلام، والكدر أمثال هؤلاء الدجالون.

فقد جاء كما روى أبو نعيم فى الحلية مرسلًا أن رسول الله ﷺ قال "خير هذه الأمة أولها وآخرها. أولها فيهم رسول الله ﷺ، وآخرها فيهم عيسى ابن مريم عليه السلام، وبين ذلك نهج أعوج ليسوا منى ولست منهم".

فانظر بعينك تفسير رسول الله ﷺ الأول والآخر، وهم يفسرون الآخر يكون أفضل من الأول بأنفسهم الشاذة عن نهج السنة إلى البدعة، وعلى ذلك فيجب ألا يطلق معنى الحديث كما أطلقوه وإلا كانوا أفضل من أبى بكر وعمر وعثمان وعلى، ولا يقول بذلك إلا مبتدع مارق، بل وأفضل من التابعين وتابعيهم المشهود لهم بالفضل، ولا قائل به أيضاً، بل يقال فى "مثل أمتى المطر لا يدرى أوله خير أم آخره" أى فى غير من نص الشارع على أفضليته.

ومنهم الأئمة المجتهدون، وبعد إخراج القرون الثلاثة نقول: إن رسول الله ﷺ قال "مثل أمتى مثل المطر" فتشبيه الأمة بالمطر واضح جلى فى الخير قد يكون أولاً فقط، وقد يكون آخرًا فقط، وقد يكون فى الأول والآخر معاً كما سبق فى حديث أبى نعيم بقوله ﷺ "أولهم فيهم رسول الله ﷺ، وآخرهم فيهم عيسى ابن مريم".

وحيث عين الرسول الآخر بعيسى ابن مريم، فأين زمن هؤلاء المدعون من زمن عيسى ابن مريم، بل هم من الوسط الأعوج الذى تبرأ منهم رسول الله ﷺ بقوله "ليسوا منى ولست منهم"

فبهذا تفهم أن الحديث معناه ليس بقاطع بوجود الخير في الآخر فقط يؤيده التشبيه بالمطر، إذ قد يكون الخير في الأول والآخر معاً، وقد يكون في الكل، وليس ببعيد، وها قد عرفت معنى الأول والآخر، ومن نص على فصله من طريق الكتاب والسنة.

فلتفرض كلام هؤلاء المشوشين الذى لا يفهمون معنى حديث كهذا: ومع ذلك يدعون الاجتهاد. اللهم إلا فى الدراهم والدنانير فمسلم لهم، وإلا فلا يتعدوا حدود أنفسهم الحقيرة القاصرة.

ولهم مسائل تشوه وجه العلم، كتحويل المبوته وردهم الأحاديث إلى ما وافق أهواءهم، وتعطيهم مجالس الأذكار، وردهم أوراد الصالحين وأخلاق الصوفية المسلمة بالكتاب والسنة إلى غير ذلك مما يطول بنا ذكره.

ومنهم من تظاهر بما ينفر القلوب السليمة من كتب المقالات اليومية ونشرها فى الصحف على أن قارئها يكاد يحكم على كاتبها بأنه ما دخل فى حضرة أدب ولا علم، ولا جالس صالحاً، ولا عاشر طيباً.

ومنهم من تظاهر بمجموع قصص تتلى للفكاهة، أو أساطير تنقل فى المسامرات، أو منظوم من القريض يمتاز بحسن الاستعارة، ورقة التشبيه مع مراعاة المحسنات اللفظية والمعنوية: من التورية والجناس ونحوهما من فنون البديع، أو منشآت من الرسائل التى تتضمن مبالغة فى المدح، أو غلوا فى القدح، فإن هذا لا يتصل بمعنى من معانى الأدب.

وإنما الأدب فى كل أمة هو الفن الذى يقصد به تهذيب عاداتها، وتلطيف إحساسها، وتنبهها إلى خيرها لتجليه، وإلى ما يخشى منه من الشر فتجتنبه.

فالأدباء فى الحقيقة هم ساسة أخلاق الأمم، بل هم أجنحتها تطير بهم إلى ذروة فلاحها، فإنهم بما يعلمون من طرق التفهيم يمكنهم أن يقربوا إلى العقول ما يبعد عن إدراكها، ويسهلوا على الأذهان ما يعسر عليها النظر فيه ويعبروا عن المعنى الواحد بالطرق المختلفة، فتستفيد منه العامة ولا تنكره الخاصة، فيأخذون على الظالم ظلمه، ويعظونه بسوء عواقب الظلم، وينكرون على الفاجر فجوره ويحذرونه مغبة الفجور، حتى يردوا كلا عن غيه بما يرضون من طبعه بدون أن يقولوا له: إنك ظالم، أو فاجر.

وإذا رأوا فى امتهم عادات يأبأها سليم الذوق، أو وجدوا منها أخلاقاً وأعمالاً لا تتفق مع شريعة الفضل، ولا مع قوانين الشرع، عمدوا إلى تغيير العادات وتطهير الأعراق، وأخذوا فى ذلك سبلاً متنوعة فى إنشاءاتهم تارة بالقصص والحكايات التى تمثل شناعة الرذيلة وبهاء الفضيلة، وما آل إليه أمر المتدنيين بالأولى، وما ارتقى إليه حال المتحلين بالثانية، وتارة بقريض الشعر يخيلون ما يحرك الهمم، ويبعث الأفكار، وينبه خواطر الكمال، وإحساس الشرف الصحيح، لا ما يوقظ الشهوة، ويقوى الغرور ويخرج الأنفس عن أطوارها. كصنيعنا فى هذه الرحلة المراكشية، ولله الحمد والشكر.

والأخذ بالأدب من وجهه، والدخول إليه من بابه هو الذى بلغت به العرب أقصى غايات الرفعة، وهو الذى وصل بالأمم الأوروبية إلى ما وصلوا إليه مما لا يخفى على ذى بصيرة.

وأنا لتأسف على ما نراه من أدباء المسلمين وشعرائهم، فإنهم يقصرون منشاتهم وأشعارهم على الذم، أو المدح، لا للإصلاح بل للانتقام ويحصرن قصصهم فى حكايات مضحكة، وقصص هزلية، ونحوهما مما لا يكاد يفيد وينفع بدون أن يلاحظوا تأثير ما يكتبون وما ينقلون فى أفكار الأمة.

ورجاؤنا أن يسلكوا مسلك أدباء الأمم المتقدمة أو المعاصرة لهم، حتى يكون للأمة الإسلامية تصيب من فوائد ذكائهم وفطنتهم وسعة علمهم وحسن بيانهم وطلاقة ألسنتهم، وأن يأخذوا في منشأتهم وأشعارهم طريقاً كطريقتنا هذه، ولله الحمد.

وبمثلها تنهض الهمم الخاملة، وتحرك القلوب الجامدة. وعسى أن تكون هذه البداية سائرة إلى حيث يحب المخلصون للأدب وأهله، وللقطر وساكنيه بفضل الله ورحمته [رجع].

ومنهم من برع في الكذب وفي الخداع حتى جعل التفتن فيهما ضرباً من ضروب السياسة، وباباً من أبواب الفوز في الحياة.

وهذا كلام لغو لا يفيد شيئاً إلا في الأغراض الفاسدة، وترويح الأفعال والأقوال الباطلة الكاذبة.

ومع هذا يموهون على ما ينكر عليهم هذه الخيانة، ويعيب عليهم هذا الكذب، ويقولون إنا لسنا من معاوية، ولا من عمرو بن العاص فقديمًا كان لهما مع علي بن أبي طالب وشيعته مثل ما لنا الآن. والله يعلم أنهم ي فعلهم ظالمون، وفي ادعائهم كاذبون.

فما كانت الخيانة في أي حال، ولا في أي عصر مقبولة، أو مسكوتاً ومرضياً عنها إلا في حالة الحرب، وفي حالة التخلص من ظلم الأعداء وأذاهم.

أما أن المسلم يخدع المسلم ويغشه جهراً أو سراً لينال من عرضه، أو من جاهه، فليس لذلك مسوغ من العقل ولا من الشرع.

وأقبح أنواع الخيانة أن يصاحب الرجل الرجل، فيتردد على بيته، ويتودد إلى أهله وزوجه، ثم يخونه فيها كحال غالب أهل الوقت، ويكون مفسداً لماعونه ومورثاً ماله من لا يستحق أن يرثه.

الخيانة لفظ بشع، ومدلوله مخوف مروع، الخيانة هي الويل ينزل بالإنسانية الصافية، فيكدر ماءها، ويعكر صفاءها، الخيانة هي انتحار أدبي يقترفه من ودعوا حياة الكرامة والشرف، وهجروا فردوس الذمة والوفاء. كل الآثام يهون احتمالها، وكل الجرائم يمكن الإغضاء عنها، واحتقار ما عظم من خطرها وبلواها. اللهم إلا الخيانة، فهي الجريمة التي لا تغتفر، والإثم الذي لا يعذر فيه الأثمون، إنها مآثم الضمير، ومنفذه إلى عذاب السعير، دع المتكبرين والمغرورين جانباً، ودع الذين يفرطون في غضبهم ونهورهم، أو يسرفون في أموالهم وفي أوقاتهم.

وحدثني عن الخيانة حديث الألم، فإن الخيانة مؤلمة في أحاديثها وأخبارها في سيرها وفي آثارها.

حدثني عن الخائن يعاشر الزوجة، فتمضى معه شبابها وتفخر به على ترابها، وما هي إلا جولة يجولها في ميدان الأهواء، فإذا به يخون عهدها ويخلف ظنها.

حدثني عن الصديق يعاشرك، فتعطيه من نفسك مكانة الحب والإيثار وتنزله من قلبك منزلة الود والإكبار، وثبت إليه ما في سريرتك من ودائع الأسرار، وتسخر كل ما في حياتك من وقت، وما في جهدك من حول، وما في ثروتك من نائل وطائل، وتقدم رغائبه على حاجاتك، ومآربه على ضروراتك، وتجعل من شئونه أول واجباتك ومجهوداتك، يتصدع قلبك

لقرحة فى إصبعة، وتهمل عيناك مدراراً لضيق صدره، ثم تعقد رجاءك فى السعادة وآمالك فى البقاء برضاه عنك.

وبينما أنت مشغوف ومشغول به عن مشاغلِكَ، ومأخوذ به عن نفسك وعن غيرك، إذا به يقلب لك ظهر المجن، ويبدل النهار الساطع من الوفاء، ليلاً حالكاً من الغدر والجفاء، ويتخلى عن قرابة روحك، ومودة قلبك، فيذيع أسراركَ، وينشر بالأكاذيب أخباركَ، ويغري بك أعداءكَ وخصومكَ، ويبعد عنك كل من قرب منك، ويبغض فيك كل عين ناظرة، وكل أذن سامعة، ويصوركَ أمام الدنيا بصورة شيطان ممقوت.

فإذا لم يجد فى عاداتك وخلالك ما يأخذه عليك الناقد، ويحاسبك عليه المحاسب، ابتكر من نفسه تهماً وآثاماً يلصقها بسمعك، رجاء أن ينقلب خيرك شراً، وعرفك نكراً، وأن يملك الناظرون، ويتجافى عنك المخلصون. ويومئذ يروى من بليتك غليل حقه، ويطفىء بدموعك نيران حسده.

ذلك هو صديقك الذى صافيته، وحبيبك الذى أحببته وأوليته من فضلك وإحسانك، وسقيته كوز المروءة نم برك وحنانك، وأفضت على بؤسه ومسكته رحيقاً صافياً، بدلت به غمه فرحاً، وشقاه سعداً، وهوانه كرامة ومجداً.

وماذا أنت صانع بعد ذلك؟ أتقابله يمثل أفعاله لتكون خائناً مثله، أم تحتفظ بقديم عهده، وتغضى العين على القذى، وتخفى عن الأسماع والأنظار عيوبه ومثالبه وأنت على مضض الألم ومضض البلوى، وتكتفى بالشكوى لمن يعلم السر والنجوى.

ما أظفح الخيانة وما أشنع جرمها، إن للخائنين جزاء هو فوق جميع

العقوبات البشرية كلها، إن لم يكن من ضمائرهم، فمن مقت الله، ولعنة التاريخ

الخيانة هي التي أشعلت نيران الحقد في كل بقعة، وفي كل مكان، وفي البيت الواحد بين الأخ وأخيه، والابن وأبيه.

الخيانة هي التي أوهنت تلك الثقة الغالية بين أبناء الأسرة الواحدة، وسكان المنزل الواحد، حتى فسد نظام التربية، وانحل نظام الروابط بين كل اثنين تجمعهما جامعة أو تتصل بينهما صلة، فاستبدل الناس من طمأنينتهم خوفاً، ومن سكينتهم هلعاً واضطراباً.

وأصبح ميسوراً أن يرتاب المرء في أقاربه الأذنين، وخلافه المصطفين وأن لا يثق برفيقه في الطريق، ولا بجاره في الدار، ولا بعشيرته في المنزل، ولا بنفسه التي بين جنبيه.

وانتهى بنا سير الحياة إلى بحر لجى من المطامع يتحكم فيه سلطان المادة، ويغرى بألوان المظاهر إغراء جلب على الآداب شقاء وفتنة، وعلى الأخلاق بلاء ومحنة. وعمد الناس إلى أساليب المجاملة والرياء يخدعون بها الناس، وهي لا تعبر حقيقة ولا مجازاً عن حقائق النفوس ومشاعر القلوب تراهم في هذه الحالة لا يقدمون على الخير إلا مضطرين، ولا يحجمون عن الشر إلا متهيئين.

فمتى وجدوا مخلصاً من أعين الشرطة، ومنفذاً من أيدي العقوبات كانوا أسبق إلى الخطيئة من إبليس وجنوده، وأوغل في الفتنة من النار في الحطب، وأدنى إلى الإضرار بالناس من بلية السقم إلى بدن السليم، يتكلفون الحياة الجميلة، فيخطئهم جمالها وتعييبهم تكاليفها.

ثم ترى أحدهم لا يتتهى به السير إلا وقد كشفت الأيام ذنوبه، وأبانت الحوادث عيوبه.

لقد أصبح المرء فى حياته غير المرء فى حياته العامة، وأصبحت الغرف والمنازل غير النوادى والمحافل، وصارت الحياة نفسها ذات لونين، لا يعلم أيهما شر من الآخر، واشتبه فيها البار بالفاجر، والوفى بالغادر، والصریح بالمكابر، وأصبح الداعى إلى الإصلاح متهمًا فى إصلاحه، مستهدفًا لكن سهم من النقد، ولكل جارح من العدوان، إن لم يكن فى شخصه فى كرامته، وإن لم يكن فى كرامته، فى سمعته، فالحكم فى هذه الأيام إنما يكون حمدًا وذمًا على مقدار الوجاهة والخمول.

أما الحقيقة فهى وحدها المظلومة المهضومة التى تبكى إلى غير راحم وتستجير بمن لا يجير، إن الفضيلة إن شكت أو بكت، فمن قومها شكواها وبلواها، فهم الذين حفروا بأيديهم لحدها، وباشروا وأدها. إن الله ما ابتلى الإنسانية ببلاء أشد خطرًا على كيانها ومصيرها من الخيانة، فمتى تطهر الأرض منها؟

إن كثرة الخائنين فى الدنيا هى التى تجتث منها أصول المحبة، وتطفى مصابيح المروءة، وتقلل من أسباب التواد والتراحم. فالأمانة الأمانة، والوفاء الوفاء، أيها العلماء والخطباء، أيها الأزواج والعشراء والأصدقاء، أيها الولاة والقضاة، أيها المتعاملون والشركاء، فإن كانت المحبة غرسًا، فبالأمانة تنمو، وإن كانت النعمة قصرًا، فبالوفاء يعلو ويسمو، فكونوا إخوانا أمناء وعشراء أوفياء.

ومنهم من يتصدى للتدريس مع كونه لم تتوفر فيه شروطه، لا جلها

ولا بعضها، فتراها بليداً جافى الطبع نائى الفكر عن المدارك، بعيداً عن الفهم والحفظ، فتعليم هذا تعنت وتكلف، سيما إذا كان صاحب نفس غليظة التى هى منبع الظلمات، ومعدن الآفات.

فمثل هذا يزيد النفوس شراً، والمريض ضراً، كالمتكلم فى هذه الأيام، وهو فوق كرسى الأقرء بكلام لا يرضاه صريح القرآن، وصحيح السنة. فعارضه من كان حاضراً بين يديه، حيث ابتدع كلاماً غير معروف ولا مألوف، وسلك فى درسه طريقاً غير مذكور ولا موصوف، فامتعض لذلك أى امتعاض، وانقبض له صدره أى انقباض، وأداه شيطانه إلى أن نزل من الكرسى، وصار يضرب المعترض على رأسه ووجهه بمرأى الناس، وأخرجه عن دائرة الإسلام، ورماه بالجهل والقصور فى فهم الأحكام. ولم ينفعه إلا أنه خرج من المسجد مذموماً مدحوراً خوفاً من أن يمسه بكذب أو يشهد عليه بزور. كحاله المعروف المقرر المشهور. والأمر لله الذى لا تخفى عليه خافية، إنه كريم غفور. فالمعلم هادى الأمة وبانيها وقائدها. وهو الذى بيده مستقبلها، بل مستقبل العالم يصوغه ويوجهه حيثما أراد وعلى حسب نفعه وقيادته تكون النتيجة.

فإن صلح استطاع المجتمع الإنسانى الوصول إلى الأغراض السامية والأخلاق العالية التى يسعى إليها، وإلا فما أضيع الجهود وما أضل الطريق وما أظلمه، إن التعليم فن وصناعة لا كسائر الفنون والصناعات، بل أعظم منها جميعاً وأكبر خطراً لأنه يتصل بتكوين الأمم أخلاقاً وعلماً إلى غير ذلك من أغراض الحياة المختلفة التى تنبنى عليها حياة المجتمع. فوجب لذلك ألا يعهد برتبة التدريس إلا لمن يكون صالحاً لها، ولا يترك أمرها للمصادفات

إذ ليس كل امرئ يصلح أن يكون مدرسًا، اللهم إلا القليل الذى توهب له تلك الصفة، وهذا لا يمكن الاعتماد عليه لندرته، بل لابد من العناية بتدريب كل من يرى نفسه صالحًا للتعليم تدريبًا يؤهله للقيام بأعباء عمله على الوجه الأصلىح .

وهناك صفات يجب أن توافر فى كل من يتصدى لصناعة التعليم حتى يكون نافعًا ومؤديًا الغرض المقصود منه .

وأول تلك الصفات ما يتعلق بالأخلاق، فإن لها المكان الأول فى حياة الأفراد والجماعات ويتعلق بها بقاء الأمم أو فناؤها .

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

فيجب أن يكون المعلم قدوة حسنة فى أخلاقهم، فإن المربى لا ينجح فى مهمته حتى ينجح فى مهمته حتى ينجح أولاً فى تهذيب نفسه، لأن تعليم الأخلاق للتلاميذ لا يكون تلقينًا، بل إنه يأتى عفواً وبلا عمد، وذلك بالأمثلة الواضحة أمامهم ومن أهمها مكارم أخلاق المعلم .

ومن أمثلة الأخلاق الفاضلة فى المعلم أن يكون محبًا لتلاميذه كثير العطف عليهم واجدًا السرور كله فى الاشتراك معهم فى أعمالهم، وتبوع غرائزهم وميولهم، وأن يتحلى بالصبر فى معاملتهم، فإنهم شتى فى الشيم والطباع .

والمربى الحقيقى من يتخذ من ذلك الاختلاف تجاريب يضيفها إلى قوته، ويجب عليه كذلك أن ينسلخ بالأمل مهمًا أظلم الجو أمامه، وأن يطارد القنوط ما استطاع إذا رأى تقصيرًا من تلاميذه .

وليعلم أنه ليس شيء ألد في الوجود من فوز يسبقه جهاد طويل، ويجب عليه أيضاً أن يكون حازماً ذا عزم ثابت وإرادة قوية إلى غير ذلك من الصفات الجليلة التي لا بد للتلاميذ من أن يأخذوها عنه فتكون لهم عادات بلا عناء ولا كد.

ويتلو الجانب الخلقى فى الأهمية الجانب العلمى فلا بد أن يكون المعلم ملماً إماماً تاماً بما يقوم بتدريسه من العلوم والفنون، فذلك يضاعف الثقة المتبادلة بينه وبين تلاميذه ويجههم فى الاستزادة، ولهذا كان حتماً عليه ألا ينقطع عن المدارس والتنقيب، وإلا كان عمله آلياً لا لذة فيه ولا سرور، وأن يكون كذلك ملماً بخير الطرق وأمثلها فى التعليم منتفعاً بتجاربه وتجارب غيره فى هذا الطريق.

وأن ينضم إلى ذلك ميله وشغفه بعمله واستعداده له، فليس أشقى على النفس من التصدى لعمل ليست له أهلاً، ولا ينقص عن هذه العوامل معرفته بغرائز الأطفال.

وهذا يستدعى دراسة علم النفس، فإنه معاون له فى تحقيق غرضه، وأن يكون كذلك سريع البديهة صادق الملاحظة.

وإذا نظرنا من جهة أخرى إلى صفاته الجسمية رأينا أن لها أثراً عظيماً فى التربية، فإن التلاميذ كما يقلدونه فى أخلاقه يقلدونه فى مظهره وحركاته، فيجب أن يكون مثالا للكمال على قدر الإمكان فى ظاهره وباطنه ليؤدى ذلك الواجب المقدس الملقى على عاتقه بأمانة وصدق.

هذه الصفات المختلفة إذا اتصف بها المعلم استطاع أن يخرج للعالم إنساناً قوياً وعقلاً وجسماً، وأن يبعث أناساً عاملين لنعيمهم ولسعادة أوطانهم

وعالمهم الذى يعيشون فيه بهذه الصفات القيمة، فنستطيع أن نسمى المعلم ذلك الأب الرحيم والمربي الحكيم والمخلص الأمين.

ولما كان أمر غالب المدرسين اليوم على عكس ما ذكرنا نرى حال جل تلامذتهم منغمسين فى حمأة الرذيلة وارتكاب الجرائم الوقتية والنهش فى عرض الإنسانية والتساقط على سفاسف الدنيا وأهلها والتكالب على الأشياء الحسيسة التى تشوه وجه المعلم.

ومنهم من تراه معتوهاً ضائع العقل سىء الفكر فاقد التمييز كالصبي الذى لم يبلغ رشده فتراه لا يميز الضار من النافع.

ومن ضلال رأى عدد منهم وطمس بصيرته اتخاذ النزهة السنوية التى احتوت على مفتريات تضليلية، وترهات جاهلية، ولهو ولعب يأباه العلم، وتنزه عنه الإنسانية. كقول خطيبهم على رءوس الأشهاد: روى عن سهلب ابن مهلب عن زنطاح بن النطاح بن قليل الأفراح أنه قال: كان رجل من العرب إذا قام من منامه ولذيد أحلامه وأكل فى فطوره فصيلاً ابن عامين وصبر إلى صحوة النهار فأكل أربعين دجاجة محمرة بالسمن البقرى وشرب زقين من خمر ونام فى الشمس فمات ولقى الله شبعان سكران ريان.

وكقوله فى أول الخطبة أيها الناس مالى أراكم عن الزردة بالعسل النحل غافلون، وعن الأرز المخلوط باللحم الضانى تاركون، ونحو هذه اللغات التى ينبغى لجانب العلم تنزيهه عنها. وموضوع هذه النزهة الشيطانية أربعة: أمير وباشا ومحتسب وقائد دور، وكل من هؤلاء يظهر من اللهو واللعب والحمق ما لا يكاد يصدقه العقل لولا مشاهدته من ذلك الكيفية المختصة بأبهة أمير الوقت، وكذا ولاته، ولكن كلها معكوسة.

ولما علمت الحكومة أن هذا الحال السيء ليس من الدين فى شىء وإنما هو محض لعب قطعت عنهم تلك الأبهة العسكرية المختصة بالحضرة السلطانية وعوضتها بصياح النفارة، ولعلها فى العام الآتى تعوضها بعمل المداحة أو العيادات أو بحليفة الشيخ برغوت.

ولو كن لهؤلاء فكرة علمية وأخلاق إنسانية لما رضوا بهذا الهوان والانحطاط، وأنى لهم الانسلاخ عنه؟ وقد غلبت عليهم تلك الهمجية وصدتهم عن العمل بالقوانين العلمية، ولا مفهوم لهؤلاء، بل حتى طلبة أهل فاس كذلك، وعملهم هذا أحد الوجوه التى حكمت بها الأوروبيون على انحطاط الدين الإسلامى، ويسرنا وأيم الحق كما يسر كل مسلم اهتمام علماء الدين برفع هذه الداهية الدهماء عن هذا الشعب المغربى الذى كان فى القديم شديد التدين كثير التمسك بالشرع المطاع.

ومنهم من تصدى للفتوى ولج فى غمرات أهوالها وتورط فى مخاوفها اغتراراً بزخارفها وكثرة المنازعات الوقتية المتعلقة بها التى زينت له بتلك الفتاوى الموضوعية على الأهواء وجلب الدرهم بالباطل أن يضرب الناس بعضهم ببعض حتى تسيل دماؤهم فيمتصها كما يضرب القادح الزند بالزند ليظفر بالشرر المتطاير منهما.

وبهذا تزايدت الدعوى الباطلة فى الوقت وضاعت الحقوق الشرعية ولا خليل فى الوقت من جورهم إليه المشتكى، ولا أمير يهيم للمضطرين من تلك الشبكات مسلکاً، وينسخ بصبح رأيه من مكايدهم ظلاماً حالکاً، فلعمر الإنصاف أن الكثير منهم لا يفرق بين ظلمة الليل وصبحها، ولا بين هجو الأعراض ومدحها، صم بكم عمى بالأهواء، أموات غير أحياء.

وفى الحديث عنه عليه السلام أنه قال " أجرؤكم على النار أجرؤكم على الفتوى " وروى عن سلمان الفارسي (رضى الله عنه) أن أناساً كانوا يستفتونه، فقال هذا خير لكم وشر لى، وعن عبد الرحمن بن أبى لىلى قال: أدركت مائة وعشرين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فما كان منهم محدث إلا ود أن أخاه كفاه الحديث ولا مقت إلا ود أن أخاه كفاه الفتوى، وعن ابن سيرين أنه قال: قال حذيفة بن اليمان إنما يفتى الناس أحد ثلاثة: من يعلم ما نسخ من القرآن، أو أمير لا يجد بدأ من ذلك، أو أحمق متكلف، وكان ابن سيرين إذا سئل عن شىء يقول لست بأحد هذين وأكره أن أكون الثالث.

وفى الصحيحين عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا"، وفى رواية " فبقى ناس جهال يستفتون فيفتون برأيهم فيضلون ويضلون ".

قال الشاطبى فى الاعتصام بعد كلام فى هذا الموضوع إنما الترجيح بالوجوه المعتمدة شرعاً، وهذا متفق عليه بين العلماء، فكل من اعتمد على تقليد قول غير محقق أو رجح بغير معنى معتبر فقد خلع الربقة واستند إلى غير شرع اهـ بلفظه.

قال أبو الليث فى البستان: لا ينبغي لأحد أن يفتى إلا أن يعرف أقاويل العلماء، ويعلم من أين قالوا؟ ويعرف معاملات الناس، فإن من عرف أقاويل العلماء ولم يعرف معاملات الناس ومذاهبهم، فإن سئل عن مسألة يعلم أن العلماء الذين ينتحل مذهبهم قد اتفقوا عليها فلا بأس بأن يقول: هذا جائز،

وهذا لا يجوز. ويكون قوله على سبيل الحكاية، وإن كانت مسألة قد اختلفوا فيها فلا بأس بأن يقول هذا جائز في قول فلان، ولا يجوز في قول فلان، ولا يجوز له أن يختار قولاً، فيجيب بقول بعضهم ما لم يعرف حجته اهـ.

وقال الشيخ مرتضى في شرح الأحياء ما نصه: وأما الصفات المعتبرة في المفتى فيعتبر فيه الإسلام والبلوغ والعدالة والتيقظ وقوة لضبط، ثم إنه لا يخلو إما أن يكون مجتهداً أو مقلداً، فأما المجتهد فيعتبر فيه أمور.

الأول: العلم بكتاب الله تعالى، ولا يشترط العلم بجميعه، بل بما يتعلق بالأحكام ولا يشترط حفظه عن ظهر القلب.

الثاني: سنة رسول الله ﷺ لا جميعها، بل ما يتعلق منها بالأحكام، ويشترط أن يعلم منها الخاص والعام والمطلق والمقيد والمجمل والمبين والناسخ والمنسوخ، ومن السنة المتواتر والآحاد والمرسل والمتصل وحال الرواة جرحاً وتعديلاً.

الثالث أقاويل علماء الصحابة ومن بعدهم إجماعاً واختلاقاً.

الرابع: القياس فيعرف جليته وخفيه، ويميز الصحيح من الفاسد.

الخامس: لسان العرب لغة وإعراباً لأن الشرع ورد بالعربية.

وبهذه الجهة يعرف عموم اللفظ وخصوصه وإطلاقه وتقييده وإجماله

وبيانه، ولا يشترط التبحر في هذه العلوم، بل تكفى معرفة جمل منها.

وأما المقلد فهو يجوز له الفتوى أم لا؟ خلاف يبنى على أن موت

المجتهد هل يخرج عن أن يقلد ويؤخذ بقوله أم لا؟

والمسألة فيها وجهان: أحدهما أنه لا يخرج منه، بل يجوز تقليده بعد

موته فعلى هذا يجوز لمقلده الفتوى بمذهبه بعد موته، لكن يشترط أن يكون عارفاً بمذهبه متبحراً فيه بحيث يستحضر أكثره ويعرف المظان ويطلع على المآخذ حتى يتمكن من تخريج ما لا يجده منصوصاً لإمامه على قواعده اهـ منه .

فتأمل هذا مع ما عليه عمل غالب أصحاب الفتوى اليوم حتى صارت فتاويهم كلها نقضاً وتزييفاً حتى عند الحكومة، وذلك لما فيها من تلبيسات الحق بالباطل وتخريج الكذب الحبريت فى صورة الواقع الذى لا ريب فيه . ماذا نصنع، ونحن نرى الباطل ينتشر فى وطننا، بل وفى غيره من مدن المغرب من طريقين: طريق أعداء الدين، وطريق هؤلاء المفتنين الفتانين على ما عرفوا، وإن لم يكن حقاً ولا راجحاً .

ومن أغرب ما يسمع ويرى أن أكثر المتعاطين للفتوى اليوم لا يتقنون حتى الأجرومية، ولا يستحضرون عن ظهر قلبهم الزقاقية ولا العاصمية . وأما حديثو السن منهم فلا يسأل، ولو كنت أعجب من شىء لعجبت من هؤلاء .

والمرجو من أمير الوقت حفظه الله، وأيد به الدين المحمدى أن يسرع فى درء هذه المفساد التى ظهرت على يد هؤلاء الذين ليسوا بأهل قبل أن تكون العاقبة وخيمة .

ومنهم من تصدى للعدالة وأحدث فيها ما ليس منها، وكثر فى ذلك ترداده، وحمله على اقتحام تلك المساوىء والمهالك شهونه وقلة دينه وأهله وأولاده، فصار يقطع تلك الأوحال فى طلب المال . يعجن الوحل بأقدامه

ويحمل راية الزور على هامه، والخزى يبصق فى لحيته، وميازيب القطيعة تنصب على وجته. فباءً بصفقه مغبون، وعيشة محزون.

فالعُدول زاغوا عن السبيل السوى زيغا لا يعرف قدره إلا من خالطهم وعاثوا فى الأرض بالفساد، فصب عليهم ربك سوط عذاب إن ربك بالمرصاد. أسرعوا إلى جر ذيل الويل، والبلايا على أناس لأجل رضى الوسواس الخناس.

وبالجمله فما هم إلا فتنة أرادها الله تعالى لأهل هذا الزمان وساعدهم على انتشار تلك الفتنة سكوت من بيدهم الحل والربط عن محاربة هذا الداء الويل وإغضاؤهم على هذا القذى الذى يعمى العيون ظناً منهم أنهم سيرجعون بزاجر دينى، فإذا هم قد ألقوا تلك الزورية والأكاذيب التى تركت عابهم فى الأرض حيران.

وانظر فى هذا الموضوع كتابنا "الكشف والتبيان عن حال أهل الزمان" فقد مزق غالبهم شر ممزق بأدلة واضحة وبراهين ساطعة [وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى].

ومنهم من لا يهنأ له عيش، ولا يهدأ له بال إلا إذا ظفر برتبة القضاء فإذا تمكن منها بأى وجه كان تراه مشتغلا عنها بمنكر صيرته أخط من البعوضة فى جانب النسر، ومن الفأرة فى جانب الأسد، ومن الطفل فى جانب الشيخ، ومن القرود فى جانب الفيل، ومن بيت العنكبوت فى جانب بناء البيت بالحجر، لا-يستطيع إبداء السبيل للعمل بالشرع المطاع.

نعم استطاع أن أكل لحم هذا، وشرب دم هذا، وامتش عظم هذا ومص مخ هذا، ذلك ديدنة فى سائر أوقاته الليلية والنهارية، حتى تكون النار مثواه،

وبهذا صار حاملاً لراية الكفر والظلم والفسوق كما أخبر الله تعالى عن حاله حيث قال [ومن لم يحكم بما أنزل الله، فأولئك هم الكافرون - ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون - ومن يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون].

قال أبو وائل سمعت عمار بن ياسر (رضى الله عنه) يقول في بعض القضاة كان كافراً، فقلت ما نقول؟ قال الله تعالى يقول [ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون].

وأخرج أبو داود والترمذي واللفظ له، وقال حسن غريب، وابن ماجه والحاكم وصححه عن أبي هريرة (رضى الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال "من ولى القضاء أو جعل قاضياً بين الناس فقد ذبح بغير سكين".

قال الخطابي معناه أن الذبح بالسكين تحصل به راحة الذبيحة بتعجيل إزهاق روحها، فإذا ذبحت بغير سكين كان فيه تعذيب لها.

وقيل إن الذبح لما كان في ظاهر العرف وغالب العادة بالسكين عدل ﷺ عن ظاهر العرف والعادة إلى غير ذلك ليعلم أن مراده ﷺ بهذا القول ما يخاف عليه من هلاك دينه دون هلاك بدنه، ويحتمل غير ذلك.

وعلى كل حال فالمراد بذلك الكناية عن أن القاضى عرض نفسه بقبوله القضاء إلى حصول مشقة له لا تطاق في العادة، وهى ما يلحقه من عذاب الله وغضبه.

ومن ثم نفر السلف عن ذلك نفوراً عظيماً، ولم يفسق الممتنع عن قبوله، وأن تعين عليه لعذره بخوفه من وقوعه فى ورطاته وغوائله الكثيرة القبيحة الغالب حصولها لمن دخل فيه.

وأخرج أبو داود والترمذى وابن ماجه أن رسول الله ﷺ قال " القضاء ثلاثة: واحد فى الجنة، واثنان فى النار. فأما الذى فى الجنة فرجل عرف الحق قضى به، ورجل عرف الحق فجار فى الحكم فهو فى النار، ورجل قضى للناس على جهل فهو فى النار".

وأخرج الترمذى، واللفظ له، وقال حسن غريب وابن ماجه أن رسول الله ﷺ قال "القضاة ثلاثة: قاضيان فى النار، وقاض فى الجنة. رجل قضى بغير الحق يعلم بذلك فذلك فى النار، وقاض لا يعلم فأهلك حقوق الناس فهو فى النار، وقاض قضى بالحق فذلك فى الجنة".

فأخبرنى بالله عليك هل رأيت فى وقتك هذا أو سمعته من ثقة أن قاضياً من قضاة الوقت تحفظ من المحاباة والمداهنة، ومراعاة خواطر الناس مراقباً لله تعالى وحده، لا يخشى فى الله لومة لائم، كلا، بل لا تراه إلا ظالماً جباراً عنيداً غشاشاً طماعاً، أكالا أموال الناس بالباطل، حريصاً كل الحرص على اتصال إذابة كل من حصل بشبكته.

سئل أبو القاسم الحكيم: هل من ذنب ينزع الإيمان من العبد؟ قال نعم: ثلاثة أشياء تنزع الإيمان من العباد. أولها: ترك الشكر على الإسلام: والثانى. ترك الخوف على ذهاب الإسلام. والثالث: الظلم على أهل الإسلام.

وروى الإمام أحمد فى مسنده أن رسول الله ﷺ قال "ليأتين على القاضى العدل يوم القيامة ساعة يتمنى أنه لم يقض بين اثنين فى ثمرة واحدة فقط".

وروى الطبرانى "من ولى شيئاً من أمر المسلمين أتى به يوم القيامة حتى

يوقف على جسر جهنم، فإن كان محسناً نجاً، وإن كان مسيئاً انخرق به الجسر فهوى فيه سبعين خريقاً.

وروى أحمد في مسنده أن رسول الله ﷺ قال " ما من رجل يلى أمر عشرة فما فوق ذلك إلا أتى الله به مغلولاً يوم القيامة يده إلى عنقه، فكه ره أو أوثقه إثمه.

وقال محمد بن واسع: أول من يدعى يوم القيامة إلى الحساب القضاة.

وقال علي (رضي الله عنه): سمعت رسول الله ﷺ يقول ليس من قاض ولا وال إلا يؤتى به يوم القيامة حتى يوقف بين يدي الله عز وجل على الصراط، ثم تنتشر سيرته فتقرأ على رءوس الخلائق فإن كان عدلاً نجاه الله بعدله، وإن كان غير ذلك انتفض به الجسر انتفاضة فصار بين كل عضو من أعضائه مسيرة كذا وكذا، ثم ينخرق به الجسر إلى جهنم.

وقال محكول: لو خيرت بين القضاء وضرب عنقي لاخترت ضرب عنقي ولم اختر القضاء.

وقال أيوب السخيتاني: إنى وجدت أعلم الناس أشدهم هرباً منه.

ولما كان هؤلاء أجهل الناس اشتد شغفهم بها، وصاروا يتهافتون عليها تهافت الفراش على النار، وصارت تجارة في الوقت تباع وتشتري.

فمنهم من ملكها بعشرة آلاف ريال، ومنهم من ملكها بعشرين ألفاً ومنهم من ملكها بخمسين ألفاً، ومنهم من ملكها بمائة ألف ريال.

وترى القاضى الداخل لها بهذه الأموال لا يمكث فيها سنة إلا وقد تخلص من ربة ذلك القدر المدفوع فيها مع زيادة توفير يناظر ما دفعه فيها،

وذلك بسبب فكرته وفكرة عدوله للأئذنين به الراغبين فى ارتكاب ما يرضيه، فتراهم يجتهدون طول يومهم وليلتهم فى كيفية التوصل لشهادة الزور حتى يجدوا ما يأتون به لسيادة القاضى من ذلك الوجه، ويعلم القاضى أن ذلك زور محض، ولكن لكثرة النفع الممدود له منهم بسببه تمنى أن تكون القضايا التى تروج بين يديه كلها زوراً، وأن تعظم الفتن والخصوم بين الزوج وزوجه، وترامى الناس على أملاك بعضهم بعضاً بالباطل والعدوان، حتى لا يجد مسلم راحة من هاتيك الفتن.

وحق لى أن أقول كلمات، وهى أنا نرى من تسمو بالمسلمين الآن لم يحرزوا من الإسلام إلا اسمه، ولم يدركوا من الدين إلا رسمه، رفضوا جميع آداب الإسلام وابتعدوا عن كل خير أمرهم الله به، وليتهم بعد هذا الخزى الميين كانوا على فطرتهم التى فطرهم الله عليها. بل عمدوا إلى محارم الله فاستباحوا حماها ومنهياته فأخذوا فيها كل مأخذ.

وإن أشد العصاة المذنبين خطراً فى هذه الحياة شاهد الزور، فشاهد الزور مصيبة على العامل أجمع، شاهد الزور لا يدرى إلى من أساء بشهادته، أساء أولاً إلى نفسه فقد باع آخته بدنيا غيره، أساء إلى من شهد له فقد أعانه على الظلم وأوقعه فى الإثم، وأوقعه يوم الفرع الأكبر بين يدي جبار لا يرحم من ظلم ولا يغفر لمن أساء إلى خلقه، أساء إلى من شهد عليه، فقد أضاع حقه وخذله فى وقت احتياجه إلى الناصر والمعين، أساء إلى القاضى، فقد أضله عن طريق الهدى، وطمس عليه معالم الحقيقة، ولولا شهادة هذا الأثيم لكان من المهتدين، أساء إساءة أكبر من ذلك كله، أساء إلى مولانا محمد ﷺ إذ خالف أمره ورفض هديه واتبع هواه (فخسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران الميين).

لست أدري ما الذى يدعو شاهد الزور إلى شهادته إن كان ما يأخذ من المال فقد خسر من يبيع جنة عرضها السموات والأرض بدراهم لا تغني فقيراً ولا تشيع جائعاً، إن كان صداقته لمن شهد له فبئست الصداقة التى يجربها على صديقه الخزى والعار فى يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون، إن كان الخوف من شهد له فيعلم أن ما يصيبه من الضرر فى الدنيا إذا استقام فى شهادته لا يقاس بعشر ما يصيبه من العذاب الأليم والعقاب الشديد إذا هو شهد شهادة الزور.

تجاهر القضاة فى أخذ الرشوة

وزد على ما ذكرنا تجاهر القضاة فى جميع أحكامهم بأخذ الرشوة والتصريح بذلك بمرأى الناس حتى أن أحوج الناس لا يسلم منهم ولا يشوه فى وجهه ألماً يدفعها ولو بخمسة فرانك أو دجاجة، وهذه الفتنة قد عمت فى هذا الوقت حتى صارت الأغراض لا تقضى إلا بوجودها، واستوى فيها الحاكم والمحكوم والظالم والمظلوم، وهذا شئ فى الوقت مقرر معلوم.

ومما جاء من الوعيد فيها قوله تعالى (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون) أى لا تصانعوا الحكام بأموالكم ولا ترشوهم ليقتطعوا لكم حق غيركم.

وأخرج أبو داود والترمذى وقال حسن صحيح عن عبد الله بن عمر (رضى الله عنهما) قال "لعن رسول الله ﷺ الراشى والمرتشى". وأخرج الحاكم عن أبى هريرة (رضى الله عنه) قال "لعن رسول الله ﷺ الراشى والمرتشى فى الحكم والذى يسعى بينهما". وأخرج الطبرانى بإسناد صحيح عن ابن مسعود (رضى الله عنه) قال: الرشوة فى الحكم كفر وهى بين الناس

سحت. قلت وكون الرشوة فى الحكم كفر لأنها تؤدى إلى أن يحكم القاضى بالباطل ولابد، فإذا حكم به، فقد دخل فى قوله تعالى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)

وقد تقدم لنا عن أبى وائل أنه سمع عمار بن ياسر يقول فى بعض القضاة كان كافراً، فقلت ما تقول؟ قال إن الله تعالى يقول (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون).

ورد على هذا استنباط المنازعات فى القضايا التى تروح بين يديه لأجل طولها بحيث تكون القضية بنت ساعة فيولدون فيها منازعات وإشكالات حتى تصير بنت سنة، بل إلى عشرين سنة، بل ربما امتدت إلى وقت الصاعقة الكبرى، وكل ذلك لأجل اختلاس الدرهم والدينار، وهذا دأبهم مدة مكثهم فيها، وفى الحديث "الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها".

ومنهم من يمكث فى القضاء نحو الأربعين سنة فأزيد وربما دخل له وهو لا يجد ما ينفق وخرج منها بموت أو عزل، وقوم ما بين يديه بالملايين العديدة التى لا توجد إلا عند أمير الوقت، وما ذاك إلا من أجل ما ذكرنا لك سابقاً.

وقد قال علماء الدين: من الأمور المستحسنة أن لا يبقى العامل أكثر من سنة، لأن العمال محمولون على الظلم والطغيان ولا تحتاج فى إثبات ظلمهم إلى بينة لا سيما إن طالت ولايتهم كبعض الفراغة فى وقتنا هذا وإلا فينقلونه إلى جهات متعددة مدداً وجيزة، ولله در من قال:

لا تنكر الظلم ممن دام فى عمل فإن طول مداه فيه أطغاه

وكثيراً ما أسمع عنهم أموراً يستنكفها العقلاء وتوجب القطع واليقين بأنهم ليسوا من المتقين بل ولا من المسلمين، ولكن خوفاً من التعرض بغير حقيقة لم أدخل في أمرهم حتى الآن، ولا مفهوم لهم في هذا الوصف، بل عمال الوقت كلهم على هذا الأتمودج الخالك لا النادر، والنادر لا حكم له بل هم أضل من وجهين. الأول: كونهم لا يعلمون حكم السله المتعلق بهم في توليتهم، بل حتى في الضروريات الدينية، وربما تجد منهم من قطع عمره في سرح الدواب أو في التلصص. ومنهم من له مسكة من العلم لكن لما يدخلها يصير عدواً للعلم الوجه الثانى: كون غالبهم يدخلها بالشراء ودفع الأموال الباهظة فيها لا يخفى أن المناصب الشرعية اليوم كلها بالبيع والشراء، عكس ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه الأبرار ومن بعدهم من أهل الدين.

وهذا من بدع أهل الوقت التى طغى فسادها على الإسلام وعظم به الجهل واستحكم أمره.

وبالجمله فمغربنا أصبح من السنة خالياً ناهجاً نهج الجاهلية الأولى.

وانظر إلى قوله ﷺ حسبما رواه أبو موسى الأشعري كما فى الصحيح " أن رجلين دخلا على رسول الله ﷺ وسألاه فقالا استعملنا على بعض أعمالك فإن عندنا خبراً وأمانة، فقال النبى ﷺ إنا لا نستعمل على عملنا من أراداه وطلبه ".

فانظر هذا مع حال من بذل فيها ألوفاً من الريالات، فلذلك نرى كل من تلبس بها لا فرق بينه وبين اللص فى شىء، بل نراه لا يرحم صغيراً ولا يوقر كبيراً، يحرص كل الحرص على إذاية كل من يلى أمره من قبيلته خصوصاً عند إبان الضرائب المضروبة عليه من قبل الحكومة، فتراه يأخذ من

صاحب العشرة مثلاً عشرين، ومن صاحب العشرين خمسين، ومن صاحب المائة المائتين، بل يوظفها حتى على من لا شئ بيده.

وأما من كان ساخطاً عليه سابقاً لكونه كان يأتيه برأس من الغنم أو بطة زيت أو قلب سكر أو قفة من بيض، وترك ذلك لأجل فقر أو وقوف مع الحديث السابق فلا تسأل عن حاله معه فيها، ومن أبى ذلك وأراد أن ينتصر لنفسه من تلك المهالك أضعف عليه العذاب على مقتضى هواه فيه، وذلك بأن يصنع له شبكة يعجز إبليس اللعين عن إدراكها وتصورها، فإذا وقع فيها لا يكون له سبيل إلى الانسلاخ عما فيه من العذاب إلا بالتخلي عما بيده للقائد ويصبح فقيراً بعد أن كان غنياً، وميتاً بعد أن كان حياً، ودينياً بعد أن كان شريفاً، وفاسقاً بعد أن كان تقياً، وشيطاناً مريداً بعد أن كان ولياً، وتصير حرقته إذن أحد وجوه ثلاثة: إما جمع الخطب أو سرح الدواب أو التلصص فى الطرق والأعتاب، والحكومة لأغرض لها فى البحث عن بواعث الجرائم التى هى فى غالب الأمر مزورة بل غرضها الأكد التوصل للأموال وإنجاز حكم القائد بحق أو بباطل، وهيهات أن يعرف القائد الحق، وبينه ما بين الثرى والثريا.

وبهذه السيطرة الممدودة من قبل الحكومة لكل قائد من قادة المغرب كله أمكن لهم أن يصيروا أصحاب البوادي قبيلة قبيلة كالغنم أو البقر يجزونها حيث شاءوا ويحلبونها أو يتخذونها قد يدا.

ولو وجد عمال الوقت السبيل إلى أن يجعلوا: الخراج على الوحش، والجزية على السمك، والزكاة على الملائكة، بل وجمع الريج والقبض على الماء وحصر الحصا وتحصيل الهباء لفعلوا.

وكيف لا؟ وهم أظلم من حية، وأعدى من الدهر ومن التمساح ومن
الجلندى الذى كان يأخذ كل سفينة غصا.

ولهم فى هذا الظلم الفاحش والجور الشنيع المتفاحش أعوان هم فى
الحقيقة كزبانية النار لا يعرفون وجهًا من وجوه الشفقة والرحمة المدعوون
بشيوخ القبيلة، فإذا قال القائد لأحدهم: افرض على فلان عشرة مثلا فلا
بدله أن يزيد عليه نحو الثلث وهوله، والمفروض للقائد، ولهذا تجد الكثير من
شيوخ القبيلة كاد أن يضاهى القائد فى تموله. وربما حاول بعضهم شراء رتبة
ذلك القائد ويحرض كل الحررض على نيل تلك المسالك التى لا مسئولية عليها
ولا مراقبة.

وبسبب هذا الظلم وكثرة الجور والفجور من القادة أصبح أهل البوادرى
بالمغرب لا يفرقون بين ضلال وهدى وفسق وتقى، بل صاروا همجية محضة
وأضحوكة حتى فى نظر الأوروبيين، وكل ذلك فى صحيفة القادة الضالين
المضلين الفتانين الذين لا ينسلخون من تجشم عقبات الأوحال من إسراف فى
ظلم، وجور فى حكم، وقتل نفس ظلماً وعدواناً، وارتكاب أحسن الأحوال
من زنى ولوط، وفك ختام الأبكار، والتفريط فى كل شىء بشىء، والإفراط
إلى أن لا يبقى عليهم سمة من سمات الإسلام، ولا ما يصح أن يتسموا به
مسلمين.

وبالجملة لو تتبعنا تلك المساوىء التى نراها ونسمعها عنهم صباح مساء
لضاق بنا لأمر عن مرادنا، ولعلنا فى المستقبل نكشف الغطاء عنها، وعن
المساوىء الوقتية زيادة على ما قدمنا، وتسمى "الصواعق السماوية فى كشف
الغطاء عن المساوىء الوقتية" إذ بإظهار ذلك صلاح البرية، ورحم الله الإمام
الأعظم أبا حنيفة النعمان إذ يقول:

من الدين كشف العيب عن كل كاذب وعن كل بدعى أنى بالمصائب
ولولا رجال مسلمون لهدمت صوامع دين الله من كل جانب
وإني كما قال الشاعر:

أحارب الدهر ليس ينفعى إلا الثياب وحسبي من أصافيه
وليس يعجزني عن كسر فيلقه إلا المنايا تفاجئني فتحميني
إن المنايا سهام الله سددها وليس يخطئها ما الله راميه

حال أهل البوادي اليوم في العقائد والعبادات الدينية

ثم إن الشيخ عبد الهادي التفت إلى عبد الباسط وقال: لله درك لقد
شنت الأسماع بمسامرة بديعة الشكل بعيدة المرمى، وإن كانت محبوبة على
تلك الحالة السيئة التي عليها قادة الوقت الذين رماهم الدهر بسهامه وهاجمهم
'الجهل بأنياه، ولكن بلسان الإنسانية نثني على همتك وغيرتك الوطنية بين
أبناء جلدتك المراكشيين الثناء المستطاب، ولكن لا نحب منك أن تكون القضية
انتهت إلى هنا، بل نريد أن نخبرنا عن وصف أهل البوادي اليوم في العبادات
والعقائد الدينية.

فقال عبد الباسط: وأي شيء أعبر لك به؟ قوم مذهبهم قلة الوفاء،
وعدم الأتس والصفاء، لا يؤدون الفرض، ولا يعرفون السنة من الفرض، إن
عاملتهم أكلوك، وإن نصحتهم أبغضوك، وإن أقمت لهم الشرع رفضوك،
وإن ألنت لهم الجانب مقتوك، العالم عندهم حقير، والظالم عندهم كبير،
فمن كثرة معاشرتهم للبهائم والأبقار، وملازمتهم لشيل الطين والفاص
والمحراث والعفرار، وعدم اكتراثهم بأهل اللطافة، وامتزاجهم بأهل الكثافة،

كأنهم خلقوا من طينة البهائم، لا يرحمون صغيراً ولا يوقرون كبيراً، عورتهم عند الاستنجاء على الفساقى مكشوفة، وثيابهم بالنجاسة محفوفة، يجتمعون لحساب المال وللأكل والشرب فى المساجد، وليس فى الكثير منهم راعع ولا ساجد، أولادهم دائماً كالعريانيين، وتراهم فى صورة المجانين، الرحمة فيهم قليلة، والرأفة من قلوبهم متروكة عليلة، لا يلبسون على طهارة قميصاً، وعيشهم دائماً فى تنغيص، نساؤهم يدخلن الأفران، ويضرمن فيها النيران ويعبق عليهن الدخان، وتظهر عليهن روائح كريهة، تنصدع من ننتها' الجوارح والأركان، أغراسهم مثل الغارات، أو تعفير الكلاب فى الحارات يدورون بالعروس دورة وهم فى غارة أو غورة وصراخات، ودواهى وبيليات وزعيق وصياح، والكلاب عليهم تنبح، وشعراؤهم تمدح، والتعريجة والكبرى والبندير تضرب، والنساء فى زيتتهن والصبيان حولهن تلعب. قد نشأوا على التعب والنصب، والههم والغم والطرذ والجري وقلة الدين والجهل لا يجدون من يرشدهم للعبادة والصلاة، ولا يرضون بذلك، ولا يحومون حول تلك المسالك، ولا يعرفون غير الثور والمحراث، والضرب والسب وأكل أموال الناس بالباطل فى جميع الحالات، فهم همج الهمج، بل حكمهم حكم البهائم.

فقال له عبد الهادى أخبرنا عن عقائدهم؟ . فقال عبد الباسط: أما إتقان عقائد التوحيد على الوجه الذى قرره أئمة أهل السنة العارفون الأخيار، فقليل من يقن به من أهل الحواضر فضلاً عن أهل البادية فى هذا الزمن الصعب الذى فاض فيه بحر الجهالات، وانتشر فيه الباطل أى انتشار، ورمى فى كل ناحية من الأرض بأمواج إنكار الحق، وبغض أهله وتزيين الباطل بالزخرف.

وقد شاهدنا كثيراً ممن لم يأخذ في هذا العلم وله نجابة في غيره من العلوم لا يحسن العقائد تقليدًا فضلاً عن أن يحسنها بالنظر، بل وقد شاهدنا في الحواضر كذلك بعض من أخذ في هذا العلم ولم يتقنه. أما العامة فأكثرهم ممن لا يعتنى بحضور مجالس العلماء ومخالطة أهل الخير نتحقق منهم اعتقاد التجسيم والجهة وتأثير الطبيعة، وكون فعل الله تعالى لغرض وكون كلامه جل وعلا حرفاً وصوتاً، ومرة يتكلم ومرة يسكت كسائر البشر ونحو ذلك من اعتقادات أهل الباطل، وبعض اعتقاداتهم أجمع العلماء على كفر معتقدها، وبعضها اختلفوا فيه، وكثير من أهل البادية ينكر البعث.

وفي المعيار قال الشيخ الوغليسي رحمه الله من نطق بالشهادة ولا يعرف ما انطوت عليه لا يقول أحد أنه مؤمن، ومن اعتقد شيئاً من الاعتقادات المجمع على كفر معتقدها فلا ينفعه نطق بإجماع المسلمين اهـ.

وقال أبو القاسم بن خجور رحمه الله من لم يعرف معنى الكلمة المشرفة ولم يفرق بين الخالق والمخلوق، ولم يتيقن بالبعث فهو من الكفار المجوس لا تحل ذبيحته ولا نكاحه حتى يتوب ويتعلم ويدخل بالاعتقاد الصحيح في الإسلام اهـ.

قال القاضي أبو الفضل عياض رحمه الله: الإيمان الموقوف عليه يدخل الجنة معرفة ما يجب لله تعالى وما يستحيل وما يجوز من بعث الرسل عليهم الصلاة والسلام والتكليف وجزاء الآخرة اهـ.

وقال أبو زكريا في نوازله من نشأ بين المسلمين، ويقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله ويصلى ويصوم ولا يعرف معنى الشهادتين أنه لاحظ له في الإسلام، وحكمه كالمجوس إلا في القتل فلا يقتل حتى يمتنع من التعليم اهـ.

وقال ابن أبي الرجال: من أراد مناكحة من ظاهره الإسلام، والغالب عليه الجهل المؤدى إلى الكفر، فيجب عليه البحث في ذلك غاية البحث، وإن لم يكن الغالب عليه ذلك فلا يجب عليه. ثم قال والغالب على الناس في هذا الزمان الجهل والشك الموجبان للكفر ا هـ.

وسئل الشيخ الوغليسي عن رجل اختبر زوجته، فوجدها تجهل الوحداية، وتشك هل لله ولد، وأن الرسول بشر، فأجاب تلك الزوجة كافرة ا هـ. وقال القاضي عياض: لا ينتفع بالشهادتين إلا مع صحة اعتقاد المعنى ا هـ. وفي المعيار قال سيدي أحمد بن عيسى: من يصلى ويصوم ويحج ولا يفهم ما انطوت عليه الكلمة المشرفة، فحكمه كالمجوس في جميع الأحكام إلا في القتل فلا يقتل، حتى يمتنع من التعليم ا هـ.

وقال الشيخ خليل في التوضيح: يحصل الكفر بحصوله في القلب ولو لم ينطق به لأنه مقام خسة ا هـ.

وقال الإمام البكري: الكافر على قسمين: معاند وجاهل، وكلاهما مخلد في النار بلا خلاف، وسواء عالم بجهله أم لا ا هـ.

وبالجملة فإن أكثر الناس في زماننا هذا خصوصاً في البوادي ليسوا في التقليد الموافق للحق، بل في الاعتقاد الفاسد والجهل المركب، وما ذاك إلا لقرب هجوم أشرار الساعة الكبرى.

فقال عبد الهادي: أخبرنا عن صلاتهم. قال فإن لهم في الصلاة، بل وجميع العبادات فظائع يتنأى عنها المجنون، فمن ذلك ما بلغنى عن بعضهم أنه لما أراد أن يصلى قرأ الفاتحة ووضع يده على رأسه. وقال آه يا رأسى فقال له رجل منهم قد بطلت صلاتك، فقال المصلى: أنا لم أشتك إليك حتى

تبطل صلاتي، وإنما اشتكيت إلى الله وجع رأسي، ثم إنه ركع وصلى وأتم صلاته، ولم يبال بالكلام ولا اعتبر بقول الرجل.

وصلى آخر فأجزم بالصلاة، وقال يارب خل لنا بهائمنا وكلابنا وقططنا رحميرنا وأدياكننا، وأكثر زرعنا، واخل لي ولدي، فقال له زجل بطلت صلاتك، فقال المصلي أنا سمعت هذا الكلام من أبوي وجدى قبل موتهم كلهم يقولونه في صلاتهم، ثم إنه ركع وأتم صلاته.

وصلى آخر فلما ركع بان إيره وانكشفت عورته، فقبض عليه رجل آخر من خلفه، فصرخ بقوله: أطلقني، فضحك وأطلقه، ثم إنه أتم صلاته على هذه الحالة.

وصلى آخر، فلما كان في الركعة الثانية نادى زوجته اكطيفا فأجابته فقال لها اسقى البهيمة، فإني قد غفلت عنها، وأتم صلاته.

وصلى آخر فلما جلس للتشهد الأخير جاء ولده فقال له: يا أبت البقرة جاءت من السرحة، فقال له وهو متلبس بالصلاة: اذهب إلى أمك وقل لها تحلبها، ثم سلم بعد ذلك من الصلاة.

وصلى رجل آخر، فلما جلس للتشهد جاء ولده وركب على أكتافه وصكه على قفاه، وأمسك لحيته بيده. فقال له يا ولدي انزل عن حتى أتم صلاتي، ثم إنه تشهد وأتم صلاته.

وصلى رجل منهم، فلما كبر ورفع يديه وقال: والتين والزيتون جئتك يارب بلحيتي وذاتي وقفاي ومركوبي لا تردني يارب خائباً، لا من رحمتك ولا من رجاك الله أكبر: هكذا بهذا اللفظ وركع وصلى.

وصلى آخر، فلما قرأ الفاتحة، وبلغ قوله تعالى (اهدنا الصراط المستقيم) أبدل النون ميمًا، وقال اهدموا الصراط المستقيم، فقال له رجل عارف بطلت صلاتك، وأى غرض عندك فى هدم الصراط المستقيم.

وصلى بعضهم بجماعة، وكانت الصلاة جهرية، فلما قرأ الفاتحة وأتى إلى آخرها قال: ولا الضالون، فقال رجل من خلفه آمون، فالتفت إليه الإمام وقال له: لحت. فقال المأموم: بل أنت كفرت. ثم أتم صلاته وانصرف.

وصلى آخر، فلما سجد لدغته عقرب. فضرط من شدة اللدغة. ثم رفع رأسه بسرعة وقال: يارب أنت تعلم ما ضرطت بخاطرى إلا غضب عنى سامحنى يارب. ثم إنه تشهد وسلم.

وصلى آخر، فلما سجد رأى تحت جبهته انخفاصاً فنادى زوجته اغطيفة أن تأتية بنعله فجاءت به، فأخذها ووضعها تحت جبهته وأتم صلاته عليها.

وصلى آخر، فلما أراد أن يكبر. قرأ دعاء الافتتاح بهذا اللفظ: لقحت وجهى للى شرح السموات والأرض لأنى لا حنيفاً ولا مسلماً ولا من القوم الكافرين. فقال له رجل عارف: كان حاضرًا بين يديه، ومن أى ملة أنت قاتلك الله.

ومنهم من إذا توضع قدم غسل وجهه على استه ويقول: لا أقدم السوء على الوجه لئلا يتلطح وجهى بالعدرة.

وقال بعضهم: كنا نتوضأ وضوءة تكفيننا الأسبوع والأسبوعين حتى جاءنا هذا الشيخ الفقيه وأمرنا أن نتوضأ كل يوم، ولقد أفسد علينا ما كنا فيه، وما كان عليه أسلافنا عليهم الرحمة.

وتغوط بعضهم ثم أقبل، فقيل له ألا تمس ماء فتتنظف به؟ فقال هبوني غسلت ظاهرها، فكيف أصنع بباطنها؟ فقيل له أنت مأمور بغسل ظاهرها: يعنى سوءته، فقال دعوني من هذا، فقد أدركت آبائي وأسلافي وأقاربي على هذا العمل، وليست أيمانكم أصح من أيمانهم، ولا من اعتقاداتهم، فالشقى من قلدكم.

وقال بعضهم: إني لأسبغ الوضوء وما تقع على الأرض منى قطرة، فقال له بعضهم: أتبجح علينا بهذه الكرامة، وقد كان أبى أسبق منك إليها. وكان بعضهم يعاتب ابنه فى تركه الوضوء والصلاة، فلما أكثر عليه قال يا أبت: إما أن أتوضأ ولا أصلى، وأصلى ولا أتوضأ ولا يكون غير هذا. وألزم بعض الولاة أحدهم أن يلازم الصلاة، فقال:

ألم تعلموا أن الخليفة لزنى بمسجده والقصر مالى وللقصر
أصليها كرهاً على غير نية فمالى فى الأولى ولا العصر من أجر
ويحبسنى عن مجلس أستلذه أعلل فيه بالغناء وبالخمر
وما ضره والله يصلح أمره لو أن ذنوب العالمين على ظهري
وكانت امرأة منهم صالحة تكره ابنها على الطهارة والصلاة وهو يأبى،
فألحت عليه، فقال أرضى بأحدهما، فقالت رضيت بالطهارة، فلما تطهر.
قالت له صل بالطهارة بلا صلاة ليست بشىء، فضرط وقال: نقضت
فنقضنا.

وأقام بعضهم يريد الصلاة، فقال على العمل الصالح قد قامت الفلاح
ثم قام يصلى فقال: اللهم حسبى ونسبى، واردد ضالتي، واحفظ هملى،

واحبس زوجتى الضاوياء، والسلام عليكم. فقال له رجل: ما هذه بصلاة ولعلها مردودة عليك، حيث ذكرت زوجتك الضاوياء على ما هي عليه من الفسق، والمصلى لا يذكر الفسق والفساق فى صلاته، فقال له اسكت يا حمار أنا أعلم الناس بالدين فى هذه القرية.

ودخل بعضهم للحاضرة، فقام يصلى فى الصف الأول مع الإمام، فقرأ الإمام (ألم نهلك الأولين)، فتأخر إلى الصف الآخر، فقال (ثم تبعهم الآخرين)، فخرج من المسجد يقول: يا ابن الفاعلة أهلكت الفريقين.

وبلغنا أن أعرابياً كان فى يوم بارد، وقد عمد إلى أكمة، فكنسها بشملته، ثم توجه إلى القبلة فقال:

إليك اعتذارى من صلاتى قاعداً على غير طهر مؤمناً نحو قبلة
فمالي يبرد الماء يارب طاقة ورجلاى لا تقوى على ثنى ركبتي
ولكننى أحصيه والله جاهداً وأقضيكه يارب فى وجه صيفتي
فإن أنا لم أفعل فأنت مسلط بما شئت من صفعى ومن ننف لحيتى

قال بعضهم لرجل منهم كان يأتى صلاة الجمعة من أربعة فراسخ، ويكترى حماراً بأربعة دراهم. أنت تسير أربعة فراسخ، وترجع أربعة، وتضيع أربعة، وتغرم أربعة.

وكان بعضهم يتبطأ عن الجمعة، فرأى من يستعجل ويقول: أخشى أن نفوتنى الجمعة، فقال أنا أخشى أن أدركها.

وقدم بعضهم إلى القائد وقال: إن فلاناً أفطر فى رمضان، فقال الأعرابى إن الله يعلم إنى صائم ولكنى وجدت حماوة فى فؤادى، فأردت أن

أفتأها بشرية لبن. فقال القائد: قم فلا شيء عليك، ولو زدت عليه أكل خبز الشعير أو العصيدة لضربتك عشرا.

تحريف غالب قراء هذا الزمن للقرآن

فقال عبد الهادي: أخبرنا عن قراءة القرآن عندهم، فقال أما قراءتهم للقرآن عند غالبهم، فلا تسأل عن التصحيفات المستهجنة، من ذلك ما بلغني عن بعضهم أنه قرأ ربنا إنك من تدخل النار فقد أخريته بالراء. وقرأ بعضهم بشوال نعجتك بدل قوله تعالى - (بسؤال نعجتك).

ومنهم من يقرأض والقرآن بدل ص. ومنهم من قرأ وفرش مرقوعة بدل مرفوعة.

ومنهم من يصحف ويؤول برقاعته. كقراءة بعضهم، فأوجس في نفسه جيفة، فقيل له، إنما هو خيفة بالخاء، فقال لا بل لأنه توضأ ولم يغسل استه. ومنهم من قرأ: فاسأل به جيرا، فقيل له: من جبير؟ وإنما المراد خيرا. قال لا بل والد سعيد. قيل لبعضهم ما نقرأ في صلاتك؟ قال أم القرآن ونسبة الرب، وهجاء شيخ القبيلة.

وسرق بعضهم غاشية سرج، فدخل مسجداً يصلى، فقرأ الإمام (هل أتاك حديث الغاشية) فقال البدوي: اسكت لقد أخذت في الفضول وأنت تصلى، فقرأ الإمام (وجوه يومئذ خاشعة) فقال ها هي غاشيتكم فلا تخشعوا وجهي، وخرج هارباً ولم يصل، وأحوالهم في هذا كثيرة مشهورة.

تصحيح غالب أهل هذا الزمن

فى قراءة الحديث وروايته

فقال له عبد الهادى: أخبرنا عن تصحيقاتهم فى الأحاديث، فقال حدث عن البحر ولا حرج. من ذلك قولهم كان النبى ﷺ يكره النوم إلا فى القدر. وإنما هو الثوم لا النوم.

ومن ذلك قولهم: لا يدخل الجنة قباب، وإنما هو قتات: أى غمام. ومن ذلك قولهم: كان النبى ﷺ يحب العسل يوم الجمعة، وإنما هو الغسل. ومن ذلك قولهم: عن الرجل ضيق أبيه، وإنما هو عم الرجل صنو أبيه. ومن ذلك قولهم: لا يرث جميل إلا بثينه، وإنما هو لا يرث حمل إلا بيته. ومن ذلك قولهم: إذا أردت أن تنعظ بالنون، فادخل المقابر، وإنما هو تنعظ.

وقال بعضهم: حضرت شيخاً من أهل البادية، فصار يحدث، عن رسول الله. عن جبريل. عن الله. عن رجل. فقلت له من هذا الذى يصلح أن يكون شيخ الله فى نظرك؟ فسكت ولم يبد جواباً.

تخبط الفقهاء وتلاعبهم مع العامة بأمور الدين

فقال عبد الهادى: فأخبرنا عن فقهاءهم، فقال لا تسأل عما يقع منهم من الجهل المركب، وقلة العقل، والتخبط فى الدين. ولنذكر لك بعض البعض من هذا فنقول:

سئل بعضهم: لم يرفع الكلب رجله إذا بال؟ قال مخافة أن ينجس سراويله. وقيل لآخر إذا دخلت النهر لاغتسل، ففى أى جانب أفضل أن أقف؟ فقال فى الجانب الذى فيه ثيابك لبلا تسرق.

وجاء رجل منهم إلى آخر فقال بأى رجل يجب أن يجب أن يبدأ من يدخل المسجد؟ فقال ما هذا مما يسأل عنه ولكن قد قيل للعروس ضعى رجلك اليمنى على المال والبنين.

وقال رجل لفت منهم: أسلمت ثوباً إلى الحائك فالدقيق الذى يكون عليه على من يجب. هل على، أو على الحائك؟ فقال الدقيق ولعنة الله على الحائك.

واستفتى بعضهم فى رجل دخل الحمام وقعد على الحوض، فضرط فيه فتحول الماء زيتاً، فقال إن لصاحب الحمام نصف الزيت لأجل مائه، وللضارط النصف لخط وجعائه، وعليهما أن يعلما المبتاع بنجاسة منشئه، وقدر مبدئه ليستعمله فى أسرجته دون أطعمته.

وجاءت امرأة إلى قاض منهم فقالت: مات زوجى وترك أبويه وولداً وامراً وأهلاً وله مال، فقال: لأبويه الثلث، ولولده اليتيم، ولامرأته الخلف ولأهله القلة والذلة، والمال يحمل إلينا، حتى لا تقع بينكم الخصومة.

وقال قاض منهم: ما من قطرة تسقط من السماء إلا ومعها ملك يضعها فى موضعها ثم يصعد، فقيل له: والقطرة التى تقع فى الكنيف يدخل معها الملك، فقال إن فى الملائكة كناسين كما فى الناس.

وقال بعضهم: الرعد ملك أصغر من نحلة وأعظم من زنبور، فقيل لعلك تريد أصغر من زنبور وأعظم من نحلة، فقال لو كان كذا لم يكن بعجب.

وقال آخر: يا قوم اشكروا الله إذا لم يكن للملائكة نجاسة فكانوا يخربون علينا ويلطخون ثيابنا ونحن لا نراهم.

وقال آخر: احذروا الله، فقليل له كيف؟ فقال أهلك عالمًا في سبب ناقة قيمتها مائتا درهم، وقتل ابن نبي فلم يتطوح فيه عنزان، وربما يأخذ بالقليل ويعفو عن الكثير.

وقيل لآخر: ما تقول فيمن خصى نفسه قال: أما إن قصد الإضرار بامرأته حد. وقيل لبعضهم: إن نصرانيًا قال لا إله إلا الله، فقال يؤخذ بنصف الإسلام، وإن مات دفن بين مقابر المسلمين، ومقابر النصارى. وقيل لبعضهم ما حد الشبع، فقال هو الامتلاء من الطعام حتى لا تشتهي.

وقيل لبعضهم: أتروى شيئًا من الأحاديث؟ قال نعم حديثًا واحدًا، قيل ما هو؟ قال: حدثني أبو زيد عن ابن القاسم عن المقدورى عن ابن العون عن محفوظ عن جحذر عن القاضى أبى عيسى عن شريك عن المغيرة عن إبراهيم مثله، قيل مثل أى شىء؟ قال ما أدرى هكذا سمعته.

وقيل لبعضهم: لما ولد له ولد جعله برًا تقيًا. فقال بل جعله جبارًا عصيًا يخافه أعداؤه، ويؤمله أولياؤه.

قيل لبعضهم: أيما أحب إليك أن تلقى الله ظالمًا، أو مظلومًا؟ فقال بل ظالمًا، قيل ويحك ولم؟ قال ما عذرى إذا قال لى خلقتك قويًا. ثم جئت تستعدى.

وقيل لبعضهم ما تصنعون فى عيدكم، حتى يقال فى لدعاء عليهم باعك الله فى البادية. قال نجيع كبده، ونعري جسده، ونطيل كده، وتكترى جلده.

اشترى بعضهم عبدًا، فقليل إنه يبول فى الفراش، فقال إن وجد فى دارنا فراشًا فليل فيه.

وقال بعضهم لفقيه منهم: رأيت كن على قميصاً رقيقاً وجبة وكساء متخرقة، وفي كمي فلوس، وفي عنقي هاون، وإلى جانبي دابة، فقال له نامت عينك ما أحسن ما رأيت: القميص الرقيق دينك، والجة والكساء المخرقة ضراطك في الصلاة. والفلوس سوف تفلس، والهاون أن تهان بين أقارنك، والدابة أن يدب إليك من يقتلك ولو في بيتك. فقال أهذا تأويل رؤيتي؟ قال ليس غير هذا، فتركه وانصرف.

وقال آخر لأحدهم: رأيت في المنام كأنى مطلى بعذرة وأنت مطلى بعسل فقال هذا عملك السوء وعملى الصالح. قال اسمع تمام الرؤيا، فكنت تلحسنى وأنا أحسك، فقال لست بأعزب يا ظالم.

وتكاذب أعرابيان، فقال أحدهما: خرجت مرة على فرس، فإذا أنا بظلمة فيممتها حتى وصلت إليها، فإذا قطعة من الليل فأنبهتها. فما زلت أحمل عليها حتى اصطدتها. وقال الآخر: رميت مرة ظيباً بسهم. فعدل الظبي. فعدل خلفه، فعلا الظبي ثم انحدر، فانحدر السهم حتى أصابه.

وصاياهم ونصائحهم

فقال عبد الهادي: أخبرنا عن وصاياهم ونصائحهم.

فقال عبد الباسط: من ذلك قول بعضهم: يا بني اكذب على الأموات وباهت الأحياء.

وقيل لآخر: بم غلبت فلاناً. قال أبهت بالكذب، واستشهد الموتى.

ومن وصايا الأمهات أن امرأة زوجت بنتها، فقالت يا بنية اقلعي زج رمح زوجك أولاً: فإن أقر فقلعي سنانه، فإن أقر فاكسرى العظام بسيفه فإن

أقر فاقطعى اللحم وضعيه على ترسه، فإن أقر فضعى الا كاف على ظهره
فإنه حمار، وفي هذا يقول شاعرهم:

عليك يا سييدة البنات معصية الزوج إلى الممات
وداومى غيرته وشمته وقاتلى فى كل يوم أمه
وباعدى ما بينها وبينه وعينها فاسخنى وعينه

نوادر أطباء هذا الزمن

ومن نوادر أطبائهم أن امرأة جاءت إلى رجل منهم يدعى معرفة الطب
بِقارورة، فقال ما يجد صاحبها؟ قالت به حرارة وضيق وبيوسة، فقال ليت
ذاك فى حر امرأتى.

وجاءت أخرى بفسوقة فيها ماء، فقال لو جاز فى الفسوقة لجاز أن
تحمله فى حرك.

عوائد أهل القرى عند الأموات

ومن عوائد بعضهم على ميتهم أن توقف ناقة على قبر ميتهم إلى أن
تموت ويزعمون أن الميت يركبها يوم الحشر.

وبالجملة فكل قرية من قرى البادية لها عادات غريبة ولا فائدة فى
تتبعها، وفيما ذكرناه الكفاية.

ومن وصية الإمام مالك (رضى الله عنه) لا تسكن البادية فيضيع علمك
وورد من أراد الله به خيراً أسكنه الحاضرة ومن أراد به شراً أسكنه البادية أو
كما ورد.

حال الناس فى الحسبة

ثم إن الشيخ عبد الهادى التفت إلى عبد الباسط، وقال له بقيت عليك واحدة وهى الحسبة، فنحب منك أن تكشف عنها الغطاء، فقال نعم، إن من أعظم الولايات: ولاية الحسبة لكونها ولاية عامة على جميع المصالح الدينية والدنيوية.

ولهذا كان المخزن الشريف يختار لها الأكفاء من ذوى العلم والخير والدين والصلاح والأمانة والصدق والصيانة والزهد والورع من باب إعطاء القوس باريها والدار بانيتها.

وكثيراً ما نجد فى بعض التواريخ القديمة أن فلانا المحتسب كان يحرص كل الحرص على إزالة المنكرات الدنيوية والدينية ومحو آثارها ولا يمكن أحداً من التظاهر بها.

ومن أظهر من ذلك شيئاً زجره أبلغ الزجر وعاقبه أشد العقوبة على حسب ما يقتضيه الشرع الشريف أو السياسة السلطانية.

وبمثل هذا صلحت الأحوال وكثرت الخيرات وأمن البلاد والعباد وما دار الدهر دورته وانعكست الأمور وأصبح الباب مغلقاً عمّن كان حاله هكذا، وصار لا يتأهل إلا من كان من الأشرار المفسدين والأوباش الجاهلين أصحاب الغش والخيانة الذين هم السبب الأكبر فى تخريب الممالك وإهلاك الرعايا أصبح الحال كما ترى، فلا تسأل عن تفصيل ما جرى. كل شىء إلى ورا. زماننا كأهله وأهله كما ترى.

ولا يخفى أن الحسبة إذا صلحت صلح كل شىء وإذا فسدت فسدت كل شىء، وما أنت ترى اليوم فسادها السارى فى كل شىء حتى فى المطاعم

والمشروبات والملبوسات حتى ف الفواكه الصيفية والخريفية كالبطيخ والعنب والبرقوق والتفاح والأجاص والمشمش والرطب والرمان والزيتون وغير ذلك بكثرة، والباعث على فساد الفواكه أمران:

الأول: أن أصحاب الحدائق اليوم كالبهائم لا يعرفون إلا التوصل لجلب الدرهم بحق أو بباطل، فلذلك يجنون الفواكه قبل إبان نضجها لبيعوها بثمن مرتفع.

الثانى: كونهم غير مسئولين من جهة المحتسب عن ارتكاب هذا الظلم للفواكه التى لم تنضج والضرر السارى منها فى ذوات أكلها كما لا يخفى أن أكل الفواكه قبل إبان نضجها يورث أضراراً متنوعة، ومنها ضعف المعدة وفساد اللثة وتولد الديدان فى البطن.

ولما كان أمر هؤلاء بهذه المثابة كانت الجائحة نصب أعينهم. فإذا فاتتهم صباحاً أقبلت عليهم مساء (وما ريك بظلام للعبيد).

وهل يا ترى تتحسن حالة الحسبة؟ نعم تتحسن فى المستقبل، وأما اليوم فلا لكون الحكومة أعرضت كل الإعراض عن النظر فى المصالح العمومية كلها واشتغلت بجمع الأموال الطائلة، فإذا بلغت فى العدد ألف ألف مليار ذهبية، تستلفت نظرها إذن فى المصالح العمومية.

وما دام لم يكن هذا فلا مطمع للناس فى استقامة حسبة محتسب، أو ولاية متول، أو قضاء قاض، أو فتوى مفت، أو شهادة عدل أو نصيحة ناصح.

ثم إن أبا زيد عبد الرحمن حصلت له غيرة وطنية على أبناء جلدته

المراكشيين وتأسفت غاية التأسف على ما حل بهم من هذه الأشياء التبعة حتى فاضت آماقه بالعبرات وقال: عار على العاقل إذا سمع الحق أن يكون مع ذلك مصرًا على إنكاره جامحًا في زمام أوهامه معتمدًا على حجج واهية ودلائل عنكبوتية، ولكن يا عبد الباسط لو رأيت ما حل بغيرها من مدن المغرب كله خصوصًا مدينة فاس ومكناس والرباط وسلا والدار البيضاء والجديدة: وأسفى لأنساك ما حل بها، وكل من جال في أرض المغرب يعلم حقيقة ما قلناه.

فقال عبد الباسط: إذا مد الله في العمر فلا بد لي أن أعمل رحلة لأجل ذلك، وأما الآن فلا ينبغي لي أن أذكر شيئًا من أحوال أهله من غير حقيقة.

ثم إن عبد الصمد المصرى التف إلى الشيخ عبد الهادى وقال: لولا أنى أطول عليكم المجلس لذكرت لكم ما حل بأرض مصر من المناكر الفظيعة التى تأبأها الإنسانية، وتكدر صفو راحة القلوب، وتسجل على صفحات أيامه خرقًا وحمقًا ما بعده خرق وحمق.

وبالجملة فحاله يدعو إلى الدهش والعجب. ولكن قد أظهر الله فى هذه الأزمنة الهائلة رجالا لتلافى هذه الأخطار وقطع مادة الأعمال النحسة عملا بقوله ﷺ " لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله " ، ولا مفهوم لأرض مصر، بل المشرق كله، والأمر لله كيف يشاء فعل.

قال جامعة محمد الموقت كان الله له ورضى عنه: ثم انفصل الكلام على هذا، وقمنا لأداء صلاة العشاء.

سمر العامة

ولما فرغنا منها التفت رب المنزل الفقيه أبو عبد الله إلى الشيخ عبد الهادى وطلب منه التجول للوقوف على وقائع ورزايا وبدع ومفاسد تشبث بها عدد من الناس اليوم، وغالبها لا يوجد إلا ليلا، فوقع هذا الطلب موقع القبول والاستحسان لدى الحاضرين.

فخرجنا فبينما نحن فى شوارع المدينة، إذ سمعنا قائلا يقول للآخر: السيدة خديجة بنت فلان التاجر قد جمعت فى خلقها الحسن والكمال، وجرى فى عروقها نشوة الصبا وماء الحياة، فشبت وسط مطاهر النعيم تكتنفها المسرات ويخدمها الهناء، فما كانت لتعتنى بالحياة وما كانت الحياة بحاجة إليها، فقد وجدت من محبة والديها وثروتها وما جعلها تخوض فى غير أحاديث البشر، وترجع على أريكة الطهارة البريئة تحسبها العناية وتحرسها العفة، ولكن الحياة الهادئة كسفينة فى بحر مضطرب خضم، فإذا بالجو يقاوم تلك السفينة، وإذا بالزمان يستسلم لذلك الخطر المحدق به فهوت تلك الصروح العالية، وذبلت تلك الوردة النضرة بموت والديها فجأة فى يوم ما وهى تلك الفتاة فى الحياة، إلا من عمها ذلك الرجل التقى الورع الذى يخاف الله ويخشى سطوته، فانتقلت الفتاة إلى بيت عمها بعد أن أقاموه وصيا عليها يتصرف فى أموالها، ويتعهد تربيتها.

وما كان لفتاة صغيرة مثلها أن تقوى على إدارة شئون نفسها ومراقبة أموالها الكثيرة.

انقلبت تلك الأموال الكثيرة بحكم الوصاية إلى عم خديجة المذكورة، فذهل عقله، وأرخبى لمطامعه العنان، فاستباح مال اليتيمة لنفسه، ونسى ورعه

وصلاحه ومهابة الله نظير المال، فانظمت معالم التقوى فيه وفسدت سريرته، وبات يعبث بالأمانة التي فى عنقه، ويتسفه فى الإسراف بالمال الذى وضع تحت يده ولا من رقيب يمنع ولا مطلع يشفع ويل لهؤلاء الناس يوم يلاقون رب الناس. ويل لهؤلاء الذين يأكلون فى بطونهم ناراً باعتدائهم على دماء الأغرار من الصبيان، يوم يلاقون ربهم وتفتح صحائف حسابهم، ويوم يؤخذون بجريرتهم.

هل فقدت الرحمة من النفوس، هل تلاشت الذمم من القلوب، هل انتزع الإيمان من الرؤوس، ما بال هؤلاء الأوصياء يدعون النار تدخل فى بطونهم، والسعير يلصق بظهورهم، والهاوية تمتزج بلحومهم يوم تكوى جباههم وجنوبهم وظهورهم.

لم يزل الشيخ عبد الله يتظاهر أمام الناس بالتقوى والتدين، فيحيل للرأى أنه شيخ مهيب، والحقيقة أنه شيطان فى صورة إنسان، ذو عمامة بيضاء، قد اتخذ من مظاهر رجال الدين ستاراً يبرر جرائمه الآثمة، ويظهر للناس فى ثوب الورع والنزاهة، وما زالت الفتاة تلعب، لا تذكر مالها، ولا تعرف حالها، حتى إذا ما دنا وقت الحساب، وكبرت الفتاة، وبدأت تفيق من أحلامها الذهبية لتخترق حجب الحياة، ولتتعدى سياج الجهل. كان عمها يفكر فيما ينجيه من تلك الورطة الشديدة، فعمد إلى وصية مزيفة كتبها بخطه عن لسان والدها المتوفى. جاء فيها أنه يهب كل ثروته التى يتركها للشيخ عبد الله.

ولما جاء الوقت، وطالبت الفتاة عمها بما لديه من المال الذى تركه والدها أظهر تلك الوصية المزورة التى تخول له أن يتلغ ثروة المسكينة،

فأسقطت في يدها، وحاولت بكل الوسائل أن تجعل ذلك الوحش يتنازل لها عن جزء من تلك الثروة لتستطيع أن تعيش بها. ولكنه أصم أذنيه عن سماء توسلاتها.

ولما رأت الفتاة المسكينة أن لا رجاء يفيد في ذلك النذل الجبان عمدت إلى مسدس كان فوق مائدة بالغرفة، فتناولته بيد مرتجفة، وأفرغت منه ثلاث رصاصات في صدر ذلك العم، فوقع على الأرض يتلوى، وجروحه يتدفق منها الدم، وعقب ذلك صوبت المسدس إلى رأسها وأطلقتها، فاخرقت الرصاصة جمجمتها، ووقعت تتلوى مما بها من الألم، وحضر الجيران على صوت الطلقات النارية، وجاء البوليس وحمل العم وابنة أخيه إلى المستشفى، وهناك صعدت روح تلك الفريسة إلى خالقها.

أما ذلك الوصى المغتال: فقد برئت جروحه بعد عدة أسابيع، وغادر المستشفى، وهو يعيش إلى الآن متمتعاً بذلك المال الحرام.

ففضينا من هذا الخبر عجباً ومررنا. وإذا برجل عليه أثر العلم وبيده سبحة طويلة يقول للآخر: لقد أغوتني فلانة وأحببتني فأحببتها، وتفانيت في سبيل جها، حتى صرفت عليها كل ما أملك من عقار ومال زيادة على ارتكاب الوزر والعقوق. أما الوزر فظلمي لزوجتي بإهمال حقها وتعذيب لها بهجرى للمنزل مدة ستة أشهر، كل هذا فعلته دون أن أعبا بغضب الوالدين، أو أرحم بكاء زوجتي التي تبيت ليلها متأومة، تترقق الدموع على خديها.

لقد ضحيت أيها الصديق في حب تلك الفتاة شرفي وسعادتي. ضحيت رضاء والدي وثروتى، ضحيت زوجتى وعرضى. وأخيراً ضحيت وظيفتى ومورد رزقى.

آه أيها الصديق . هل لك أن ترثي لحالي ، أو تفوه بكلمة تواسيني بها
فى وحشة هذا المرض الحال بالجسد . لقد كنت واهماً فى إخلاص تلك الفتاة ،
ولقد كنت مخدوعاً بتلك الابتسامة الكاذبة التى أغرتنى وجعلتني أندس
وألقى بنفسى فى تلك الهوة السحيقة .

والآن أندرى ما صنعت معى؟ لقد نبذتني نبذ الخذاء الخلق ، وكأنها ما
عرفتني ولا عرفتها ، وأصبحت تفر من رؤياى بعد أن كانت بالأمس القريب
تمنى قبرى ولقائى ، فقال له صاحبه : ويحك أيها العاق لوالديه لقد غرتك
الدنيا يزخرفها ، فأقبلت عليها تطلب ودها ، فتركت المعاصى والشرور فى
أرضها .

غرتك نضرة الشباب ، فاستمرأت مرعى الفساد ، وغرك الشيطان ، فزلت
قدمك ، واحتجب أمام عينك طريق الهدى ، فترديت فى تلك الهوة السحيقة ،
فتركناهما وانصرفنا .

يقول جامعه محمد الموقت كان الله له : انتهى الجزء الثانى ، وكان الفراغ
منه ضحوة يوم الأربعاء خامس جمادى الأولى عام إحدى وخمسين وثلاثمائة
وألف هجرية . على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية .

ولينتظر القارئ فى القريب العاجل إن شاء الله ظهور الجزء الثالث منها
جعل الله الجميع تميمًا لدواء القلوب التى أضحت سقيمة . ومنتزها ترتاض
فيه الأرواح ، وتستمتع به القلوب المستقيمة آمين . وحسبنا الله ونعم الوكيل .
ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم (فسيكفيهم الله وهو السمع العليم)
سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب
العالمين .

obeikandi.com

فهرس الجزء الثانى من الرحلة المراكشفة

الصفحة

الموضوع

٥	عوائد أهل مراكش وهى كثرفة
٣٩	ببان عقائدهم
٤٥	الكلام على بقفة المناكر
٤٨	مثالب الحمامات
٤٩	مثالب الأذان
٤٩	مثالب الصلاة
٥١	حكم تأخير الصلاة عن وقتها
٥٦	حكم أكل أموال الظلمة ونحوهم
٥٧	مثالب الصلاة أيضاً
٨٤	شغف غالب الناس بأكل الحشفة والأفون وشرب الخمر
٨٧	من عوائدهم المنكرة لعبهم القمار والشطرنج وغيرهما
٨٩	حكم الأيمان الكاذبة
٩٢	الحلف بالطلاق
٩٣	ارتكاب المعاصى عند القدوم من الحج
٩٥	حكم الزار وما يتبعه
٩٦	البدع التى يفعلها الناس يوم عاشوراء ونصف رمضان
١٠٠	طواف الطائفة العيسوية على البيوت قرب إبان المولد النبوى
١٠١	حال غالب الناس فى إخراج زكاة الفطر
١٠٢	ما يصنعه الناس فى جلد الأضاحى

تغيير الناس ألفاظ الذكر والتسبيح والاستغفار والصلاة على النبي

١٠٢

ﷺ

١٠٤

عوائد غالب الناس فى لىالى رمضان

١٠٧

عوائد اتخاذا الفونوغراف

١١٠

البدع المرتكبة فى الصوم

١١٣

عيوب غالب القراء اليوم

١١٤

المنكر التى يرتكبها الناس فى زكاة الفطر

١١٥

حكم النذر لأضرحة الأولياء وشد الرحال إليها

عكوف شبان الوقت على قراءة الجرائد والمجلات القبيحة وضررها

١٢٦

بهم

١٢٦

عوائد حملة القرآن وطلبة العلم

١٣٠

اتخاذا القراء القرآن حرفة

١٣٠

الأفعال الذميمة للقراء المعلمين للقرآن

١٦٦

مجاهرة القضاء بأخذ الرشوة

١٧١

حال أهل البوادي اليوم فى العقائد والعبادات الدينية

١٧٩

تحريف غالب قرا هذا الزمن للقرآن

١٨٠

تصحيف غالب أهل هذا الزمن فى قراءة الحديث وروايته

١٨٠

تخبط الفقهاء وتلاعبهم مع العامة بأمر الدين

١٨٨

سمر العامة